النبي إدريس

بابل - منف - دمنهور

فهرسة أثناء النشر/ إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية. إدارة الشئون الفنية

رحومه، كامل مصطفى
النبي إدريس.. بابل - منف - دمنهور / تأليف: كامل مصطفى رحومه؛ تقديم: هدى درويش، محمد رفعت الإمام. - القاهرة: نيو بوك للنشر والتوزيع/ ط ١ / القاهرة: ٢٠١٨م.
٣٠٨ص؛ ١٧×٢٤سم
تدمك: ٨-٣٩-٦٥١٩-٩٧٧-٩٧٨
رقم الإيداع: ٢٠١٨/٢١٤١٣
١- الدين والحضارة ٢- الحضارة - تاريخ
أ- درويش، هدى (مقدم) ب- الإمام، محمد رفعت (مقدم)
ج- العنوان ٢٠٥٫٣٠١٢

دار النشر: نيو بوك للنشر والتوزيع
عنوان الكتاب: النبي إدريس.. بابل - منف - دمنهور
المؤلف: كامل مصطفى رحومه
رقم الطبعة: الأولى
تاريخ الطبع: ٢٠١٩

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة للناشر

NEW BOOK
نيو بوك للنشر و التوزيع

ويحظر طبع، أو تصوير، أو ترجمة، أو إعادة تنضيد للكتاب كاملًا أو جزئيًا، أو تسجيله على أشرطة كاسيت، أو إدخاله على الكمبيوتر، أو برمجته على أسطوانات ضوئية، إلا بموافقة الناشر الخطية الموثقة

نيو بوك
٦ عمارات الدفاع الوطني - حدائق القبة - القاهرة
ت: ٠١٠٩٢٦٧٣٢٧٤
newbooknb@gmail.com

النبي إدريس

بابل ـ منف ـ دمنهور

تأليف

كامل مصطفى رحومه

تقديم

أ. د. هدى درويش

أ. د. محمد رفعت الإمام

NEW BOOK

نيو بوك للنشر و التوزيع

2019

إهداء

إلى الإمام المرجو له الشهادة.. «**محمد سعيد رمضان البوطي**»..

وليكن دمه لعنة على من أفتى بقتله.. ولعله يذكرنا عند ربه.

وإلى السابح الهائم في ظلال وجده.. «**د. سعيد هويدي**»..

ولعله أن يأتي عليه بقلب سليم.

وإلى الباحث الثائر يبغي خلاصه.. «**سلامة أبو خطوة**»..

ولعله يجد شاطئه.. بعد أن وجد في العلم سفينته.

ثم إلى قارئ نصوص القدماء.. وعالم المصريات الجهبذ «**د. نديم السيار**»..

ولعله بعض مما ينبغي أن يكون.. يرحمه الله.

تقديمات الأكاديميين

(1) تقديم «أ. د. هدى درويش»

يتنــاول هذا الكتاب واحدا من أوائـل الأنبياء وأحبهم إلى الله، رفعه الله مكانا عليا، وعلمه من علمه، عاش في أرض الكنانة مصر، هو نبي العلوم والمعارف والأسرار الإلهية، ظل يعلم الناس الحكمة والمعرفة والأخلاق، ويســن لهم قوانين وأحكامًا، فأحل بينهم السلام. وأوصاهم بعبادة الرب الواحد، واتخاذ التعاليم الإلهية منهاجا لهم يديرون بها شئون حياتهم.

وسـيدنا إدريــس عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ تتفق على مكانتــه العلية كافـة الأديان، بل وتتنازع نسـبته إليها.

ويهـدف هذا السـفر إلى إثبـات نفي الوثنية عـن قدماء المصريين، وفضـل نبيهم إدريس عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ صاحب اليد الطولى في نشر الوحدانية والحضارة الإنسانية.

وقـد بـرع الكاتب في دحض أي ادعـاء أو تعصب غربي أو آري، ينفي النسـب المصري للنبي إدريس عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، واستطاع الانتصار لفكرة تجذر التوحيد عند قدماء المصريين، وهو مـا يعنى إثبات وجـود التوحيد قبل ظهور الكتـاب المقدس بدهور عديـدة، ونفي ما يدعيه اليهـود أنهـم أول الموحدين، ناهيك عن إثبـات هذا التوحيد في مصر بالمـكان والزمان، وأن الحضـارة المصريـة التي أبهرت العـالم؛ نابعة عن تجليات علوم إلهية أرسـلت عن طريق هذا النبي لقدماء المصريين.

كما أجاد المؤلف توضيح أثر تعاليم النبي إدريس في التراث النسكي اليهودي، وفى تجسيد قوة الكلمة في المسيحية، وكذلك الصابئة في تعلقهم وتعظيمهم للهرم الأكبر كونهم يعتقدون أن النبـي إدريـس هو من بنى الهرم، كما أظهر تأثيراته على فكر الصوفية ومنهم: أبو الحسـن الششترى، وابن الرومى، وكتابات جابر بن حيان، وذي النون المصري، والسهروردي، وابن

عـربي، وغيرهم من أقطاب التصوف الإسـلامي ونظرياتهم في الحكمـة الإشراقية والعرفان والفناء ووحدة الكون وغيرها.

وعلى الرغم من صعوبة البحث في هذه الشخصية النادرة، فقد استطاع المؤلف بيان عالمية الأثر الديني لتعاليم إدريس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ على الحضارة الإنسـانية؛ باعتباره أبرز الشخصيات التي تناولتها الأقلام في التاريخ الإنساني.

وقـد وفق المؤلف في الإلمام بجوانـب الموضوع، وصياغته في صـورة قريبة إلى الذهن، واضحة الرؤية والهدف، مكتملة المعالم، تبرز الهوية التوحيدية للمصري القديم.

تحيـة إلى الأديـب والكاتب المبـدع: كامـل رحومه على هـذا الكتاب القيـم، ورؤيته التنويرية التي أظهرت سبق مصر القديمة في عبادة الإله الواحد.

دكتورة هدى درويش

أستاذ ورئيس قسم الأديان المقارنة

جامعة الزقازيق

(2) تقديم «أ. د. محمد رفعت الإمام»

للوهلة الأولى خطف الكتاب البصر، وبعد القراءة استقر في البصيرة. ولا ريب إنه حصاد جهد وجد. واتسم «نبي دمنهور» بمنهجية وموضوعية وحيادية البحث العلمي. واتشح بجماليات الإبداع والإمتاع والإقناع والإشباع في أسلوبه ولغته. واشتمل فى تبويبه ومعالجته على كل شاردة وواردة؛ إذ احتوى السجل التاريخى والعمق الفلسفى والنسق الفكري في خطوط متوازية، التقت جميعها في المحطة الأخيرة؛ الهوية: المكان والزمان والإنسان.

ومما هو جدير بالملاحظة في «نبي دمنهور»: ذاك الصراع المحموم - وإن كان حميماً من المؤلف - لإثبات هوية «النبي»؛ إذ انبثق تياران على النقيض، أولهما محلى - وطني (قومي)-، وثانيهما أجنبي، وفى كلمة: «صراع الهوية بين الداخل المصري والخارج الأجنبي»، وبعبقرية بحثية سبرت أغوار أمهات المصادر وحللت الأطروحات الأيديولوجية المسيِّسة في الأغلب، انتصرت هوية «نبي دمنهور» بامتياز.

هذا عن الكتاب؛ وعن الكاتب أقول: باحث حتى النخاع، حالة نادرة تفوقت فيها الهواية على الاحتراف؛ إذ رغم عدم انتمائه الوظيفي لمؤسسة أكاديمية، فإنه أكاديمي - وبحق - أكثر من أكاديميين كُثر ابتُليت بهم المؤسسات المصرية.

وفى الختام، كامل رحومه نموذج للمصري، ابن البلد، المتماهى حتى الذوبان فى الرافد الدمنهوري من النهر المصري، إنه في كلمة موجزة: مصري الهوية ودمنهوري الهوى.

أ. د. محمد رفعت الإمام
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر
وعميد كلية الآداب - جامعة دمنهور

(3) تقديم «أ. د. نديم السيار»

طلبت من العالم الجليل «د. نديم السيار» مراجعة كتابي هذا، وصارحته برغبتي في كتابة مقدمة للكتاب بقلمه الرصين، بعدما صرح لي بإعجابه بالكتاب، وبتفرده في بابه. والحق يقال: ذاك تواضع كبير من رجل بقيمته وقامته، لأن ما كتبته في هذا السفر ما هو إلا من فضلة خير علمه، ويكفيه قول قامة كبيرة مثل «أ. د. هدى درويش» لي وبحضور آخرين: «د. نديم السيار أستاذي الذي أتعلم منه».

وما إن شرع في الكتابة إلا وزاد إعجابه بالكتاب - ولله الحمد والفضل- حتى وصفه لي بأنه: «رسالة علمية محققة موثقة»؛ لكنه تحفظ على فقرات استشهدت بها من مراجع تنقل منه ولا تشير إليه، فطلبت منه أن يراجعه لي بعمل إحالات لأصول ما كتبه. كما كنت أنوي حذف هذه الفقرات؛ لا لإرضائه، ولكن للموضوعية والحيادية ودقة التوثيق.

وفي تلك الأثناء جاءني هاتف بما يفيد مرضه الشديد الذي يمنعه من كتابة المقدمة، وفوجئت بمكالمة اعتذار رقيقة منه، وهو على فراش المرض - توفي بعدها بأسابيع يوم 25 مارس 2018م -، ينقل لي الكثير مما يختصره: «أن قدرته غلبت إرادته»، كما قال متأسفًا: «إنه كان يعد لي مقدمة بحثية فريدة عن مدينة دمنهور، ذاكرًا فيها تاريخها المجهول للباحثين، خاصة دورها الرائد في عصر ما قبل الأسرات، وأنه كان سيشمل كتابته للمقدمة - كعادته في الكتابة - صورة لكلمة «دمنهور» باللغة الهيروغليفية، وأنه لا يستطيع الآن؛ سوى إهدائي صورتها»، وطلب من ابنته أن ترسلها إليَّ كشكل من أشكال التحية لكتاب يتكلم عن «دمنهور» أزينه بها، وقد كان.

وها كم مقدمة «د. نديم السيار» يرحمه الله، وهي عبارة عن هديته للدماهرة:

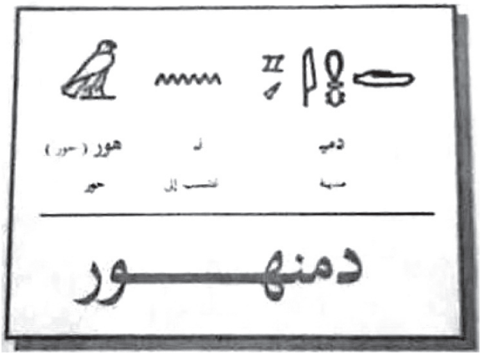

(صورة لكلمة «دمنهور» بالهيروغليفية مرسلة من هاتف ابنته الفاضلة د. رحاب)

وقـد قبلت بدوري هذه التحية والهدية، وسـوف أحاول رد جـزء منها؛ ولو قليل - لأن هدايا العظماء لا تقدر بثمن - ورأيت أن تكون مقدمة «د. نديم السيار» - التي حالت الظروف دون أن تكون فاتحة لكتابي- هي المقال الذي كنت أنوي إرسـاله إلى صديقنا المشـترك «أ. د. عمار علي حسن» لينشره - أو جزءًا منه - في جريدة «المصري اليوم»، وهاكم المقال:

«صديقي الحبيب «أ. د. عمار علي حسـن»، تحية طيبة وبعد؛ أبعث إليك رسالة بما يضيق صدري به، ولا أجد ما أبوح به على الملأ إلا بمنبرك الشريف، حتى ولو لم توافقني في بعض أو جل قـولي؛ إذ يعز عليَّ يا صديقي أن مناهج تدريس تاريخ حضارتنا المصرية القديمة تتحاشى -عن إهمال أو جهل- لب مقصد رسـالتي إليك، في محـاكاة ومماحكة مقيتة لمقولات صهيونية تدعـو للقطيعة مـع تاريخ أجدادنا القدماء؛ بحجة أنهم وثنيـون، فيحرم العالم بهذا من رؤية للكون تتوافق مع التوحيد، ومع صور التدين التوحيدية الأربعة التي ذكرها القرآن لصورة دين الإسـلام الحقيقي في قوله تعـالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:62].

فهل حان الوقت للخروج من تحكم النسق الغربي المتعصب لجنسه الآري في تفسيره لنشأة الحضارة الإنسـانية بالمنظور الضيق، الذي يرتكز على ما جاء في تفسـيرات العهد القديم من تاريخ تم تفسـيره بشـكل متحيز، ودون موضوعية أو حياد؛ ليصب في اتجاه المقولة اليهودية

بأنهم شعب الله الذي عرف قبل غيره فكرة «التوحيد»؟ ولذلك قرأ كثير من المؤرخين الغربيين في العصر الحديث الحضارة المصرية بوصفها حضارة وثنية على إطلاقها.

إذ لما صرح الكاتب «أحمد مراد» بأن لروايته «أرض الإله» رؤية تاريخية استعان فيها بكتابات «د. نديم السيار»؛ قلت في نفسي: «إيه، نديم السيار!!»، وهل ما زال مثقفو بلدي يتذكرون ذاك الباحث الجهبذ «نديم السيار»؟؛ فقادني الشوق للاتصال به سائلًا عن صحته، فوجدته يشكو من هؤلاء الذين يتكلمون عما توصل إليه في كتبه دون أن يشيروا إلى ذلك؛ فمن صادح في الفضائيات يتكلم عن أن المصريين القدماء كانوا موحدين، وآخر يؤكد أن فرعون موسى ليس مصريًّا بالأساس، وكلهم لا يملكون التدليل على ما يقولون، لأنهم لا يقرؤون الهيروغليفية ولا يملكون منهجه العلمي؛ فتضيع منهم الفكرة ولا تكتمل، وآخرهم مسئول الآثار بالأقصر الذي اعتذر عما قاله لأنه لا يستطيع مواصلة ما قرأه من كتب «د. نديم» ولم يفهم منهجه، وقد نشر الكاتب «علي القماش» مثل ذاك متضامنًا مع «نديم السيار».

وما لا يعرفه الكثير عن «د. نديم السيار» أنه مؤلف الكثير من الأغاني الوطنية منها النشيد الذي لحنه الملحن الكبير «محمود الشريف»، وتم إذاعتها بانتظام خلال سنوات حرب الاستنزاف، وكذا أغنية «سالمة يا سلامة» بتلحين الملحن الكبير «منير مراد»، وأغنية «يسعد صباحك يا جدع» من ألحان «محمد عبد المنعم البارودي»، وغيرها كثير، وقد بدأ مشروعه في دراسة علم المصريات بعد «نكسة 1967م» باحثًا عن أصل ما يروجه الصهاينة عن القدماء المصريين.

و«د. نديم» ليس من كتاب المصريات الذين يبنون فرضية نظرياتهم على الظنون، أو الخرافات، أو الأساطير، أو الحكايات الفلكلورية، أو حتى على المتشابهات اللغوية بين الأسماء، في مقاربات ساذجة لا تخدم الموضوعية؛ بل تدفنها حية بحسن نية، وذلك لأنه باحث جاد، وقارئ ومترجم للنصوص الهيروغليفية، ولا يذكر شيئًا إلا بالدليل الدامغ، إنه يشك في نفسه قبل أن يشكك فيه الآخرون. فيدقق ويدقق، ويعيد البرهان تلو البرهان الذي لا بيان فيه ولا عرفان، هو صاحب أبحاث موثقة بالوثائق والصور في إثبات تجذر التوحيد عند قدماء المصريين.

وأي قراءة أمينة لأبحاثه المنشورة سوف تدعو لاحترام الظن الذي اجتاحني، وصارع اليقين في أذهاني بأن أي باحث سيبلغ كثيرًا من الجهد عند محاولته - لو استطاع - دحض طرحه؛ نظرًا لقوة أدلته العقلية والنقلية.

وتلك الأبحاث هي:

1) «قدماء المصريين أول الموحدين»، وهو يثبت فيه تجذر التوحيد في كل المراحل التاريخية في مصر القديمة.

2) «المصريون القدماء أول الحنفاء»، ويثبت فيه نشأة الديانة الحنيفية الأولى في مصر على يد سيدنا «إدريس»، وأن ديانة الصابئة التي امتدحها القرآن الكريم، ما هي إلا ديانة توحيدية.

3) «ليسوا (آلهة) ولكن (ملائكة)»، ويثبت فيه خطأ الترجمة لكلمة «نثرو» المصرية إلى كلمة «آلهة» والتي تفسر التاريخ المصري القديم تفسيرًا مغايرًا للحقيقة.

وهي ثلاثة أبحاث على مستوى عال من التوثيق والحجة الدامغة المؤيدة بالأدلة والقرائن، وقد أشاد بهم غير واحد؛ منهم «د. مصطفى محمود» بجريدة الأهرام، بتاريخ 10/ 6/ 1995م، و«أ. صلاح منتصر» بجريدة أخبار اليوم، بتاريخ 3/ 6/ 1995م. وقد فاقت كتاباته درجة الإعجاب منهما وتجاوزته للاقتناع الكامل؛ بل ودعوة المتخصصين لاتخاذ اللازم نحو هذه الأبحاث التي تعيد لمصر وجهها المشرق الحضاري. كما شهدت «د. هدى درويش» (رئيس قسم الأديان المقارنة بجامعة الزقازيق) لكتبه أنها مؤيدة بالوثائق والصور التي لا ظن فيها، وذلك في كتابها «نبي الله إدريس بين المصرية القديمة واليهودية والإسلام».

ورؤية «د. نديم السيار» هذه تربك وجهةً أخرى من وجهات النظر المتطرفة غير الرؤية الصهيونية؛ وهي رؤية الأمميين الجدد من أنصار جماعات الإسلام السياسي الذين يرون مصر كإقليم مثل كل الأقاليم، أو على تعبير ما تدعى بـ «آيات عرابي»: «بأن مصر هي حظيرة محاطة بسور اسمه الحدود»، والتي تقول أيضًا: «إن المصريين يفترضون عقيدة

كاذبة؛ تربطهم بالوطن، والوطنية الصنمية، والتراب والحدود، وتبعدهم عن أصل العقيدة، وأصل الإسلام - بزعمها - بطرحهم فكرة «أن المصريين القدماء أول الموحدين».

وبعد قراءة مؤلفاته سوف يتضح جليًّا أن مصر التي هي أم الدنيا - كما قال «ابن خلدون» و«المقريزي» - هي: «منطقة انطلاقة الإنسانية العاقلة والتوحيد في العالم». وأن تلك الحضارة التي أبهرت العالم لم تكن سوى إحدى تجليات التفاعل بين الإنسان والكون والحياة، تحت ظلال النبوة في ذاك الزمان الغابر؛ مما ينبئ بكون الهوية المصرية المرتبطة بتاريخ المصريين القدماء ما هي إلا شاهد حضاري وثقافي على أن بدء الخليقة منذ «آدم» عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؛ لم يكن سوى بدء توحيدي، ثم حدث فيه كثير من الانحرافات، وشابه بعض الوثنيات التي يدور معظمها في فلك حقائق نبوية، حُرِّفت وأُوِّلت لتصبح وثنية، فيبعث الله الأنبياء والرسل كل يعيد للتوحيد وجهه المشرق كتجديد له، وكان من جراء ذلك أن يأتي النبي يلي أخاه وأحيانًا كثيرةً يعاصره، حتى جاءت «خاتمية النبوة» بـ «محمد» ﷺ؛ كصورة أصيلة لتوحيد الأنبياء من قبل، تهتدي بهداهم، وتستقي من المعين نفسه الذي استقوا منه.

إذ إن ما أثبته «نديم السيار» يغير وجه التاريخ، ويقلب رؤية الكون المادية التي ترتكن على الوثنية المطلقة للحضارة المصرية القديمة، ويصحح الأوضاع في شرعية التصالح مع الهوية المصرية القديمة على أرضية إيمانية توحيدية.

وسيذكر تاريخ الفكر الإنساني «نديم السيار» - في تصوري - كما ذكر «ابن خلدون» و«الجرجاني» و«المسيري»، وآخرين ممن قدموا لأمتنا العربية والإسلامية باجتهاداتهم من علمهم وفكرهم الوافر.

لذا فإني أنتهز هذه الفرصة، وأدعو صديقي المثقف «د. محمد علي سلطان» محافظ الإسكندرية الحالي، وكذا صديقي الباحث الجاد «د. خالد عزب» مايسترو مكتبة الإسكندرية؛ لإلقاء الضوء على المشروع الفكري لـ «د. نديم السيار»، الذي يتوافق مع هوية المصريين، ويدفع عنها شبهة الانتماء لحضارة وثنية؛ بدعوته لمؤتمر أو حتى محاضرة لهذا الغرض بمعرض الكتاب بمكتبة الإسكندرية هذا العام، فإلى الشوق أُسلم وجدي لعلِّي أفوز بالاستجابة.

وليذهب الصهاينة وكذا المتأسـلمون الأمميون الجدد بتصوراتهم إلى الجحيم، فلربما كان من اللائق حقيقة ومجازًا أن نقول: «في البدء كانت مصر»، وربما سـتبقى للنهاية، ولا ينقطع ذكرها للأبد، وربما كما هتف التاريخ لها دومًا؛ يهتف لها المستقبل أيضًا: «تحيا مصر»..

والله أعلم».

كامل رحومه

متحدثا عن «د. نديم السيار»

شهادات ذاتية عن الكتاب

(1) كلمة «د. محمد فتحي السنوسي»

يشدني دوما الوفاء والولاء والانتماء، والكاتب والباحث والمؤرخ «كامل رحومه» محبٌ لأهله.. عاشق لوطنه، لم يكذبهم يومًا، وهو أيضًا صادق في التعبير عنهم، وقد ظهر ذلك واضحًا جليًا في كل كتاباته وإبداعاته، وأصبحت «دمنهور» بالنسبة له سيمفونية عشق يتردد صداها في قلبه وعقله ووجدانه.. يرى في دروبها ما يشبه خطوط النوتة الموسيقية ليعزف منها حروفه ونغماته وهمساته الرقيقة. تحية له ولدمنهور الجميلة.

محمد فتحي السنوسي

(2) كلمة «أ. أبو الفتوح قلقيله»

بين دفتي هذا الكتاب، تجد عوالم مختلفة من الثقافة والمعرفة الممتعة والتي تأخذك رويدًا رويدًا لما يسعى وراءه كامل رحومه فكريًّا وإقليميًّا وشيفونيًّا كعادته، فالكاتب والباحث المسكون بحب مدينته دمنهور يحاول إثبات أن دمنهور هي أولى المدائن في العالم التي احتضنت الحضارة البشرية؛ بل كونتها وصبغتها بلونها الخاص منذ نبي الله إدريس أو أخنوخ والذي سكن الإقليم وعاش في جنباته فأشاع فيه فيضًا من نور الخالق وتأثر أيضًا به.. هذا من الجانب الشيفونى أو الذاتي الذي يمكن أن تطلق عليه بسهولة «الرحومي» فكامل رحومه يفوق «نيكولا شوفان» الفرنسي في مغالاته في حب وطنه، ودمنهور عنده رمز مصغر لمصر وربما للعالمين العربي والإسلامي.. إذن هي «رحومية» أو «ما بعد الشيفونية» أو قل «شيفونية» من نوع خاص جدًّا ومقبول للغاية!

أما الجانب الأهم في هذا الكتاب والذي كان أولى به إن يطرحه كرسالة دكتوراه رائعة ومفيدة وتنويرية؛ فهو عن كيفية تحول الحقيقة لخرافة، ومراحل تطور الرسالة الدينية تاريخيًّا لملحمة أسطورية تتنوع حسب البيئة التي تقرأ فيها، ثم تأثيرها من جديد في العصر الحالي في منظمات أبعد ما تكون عن الدين والرسالات السماوية!.. هذا هو الغرض غير المعلن في الكتاب الذي يستحق أن يطبع كمرجع علمي وأكاديمي فائق الدقة عن النبي إدريس، والبناء النفسي للمجتمعات، التي تأثرت به وحاولت احتكاره وصبغته بهويتها.. كتاب يستحق القراءة، ويثير الجدل، وسيثيره قطعًا ويثريه أيضًا.

أبو الفتوح قلقيله

كاتب صحفي مستقل

(3) كلمة «د. سعيد هويدي»

بين مقدمة تبدأ قراءتها متكاسـلًا، ولكنك ما تلبث أن تجدها قد التصقت بقشرة المخ المتحكمة في حـركات البشر، حتى يتراقص دماغك، وتلهث خلـف الأفـكار في همة ونشـاط؛ لتغوص في أوسـاط هذا العمـل الرائع والمركز بشـدة، وكأنه خمر معتق من خمـور الثقافة، يحتاج إلى أن تخففه دائمًا بمياه المردود والمخزون العلمي لديك، يستمد في الصفحات كائنًا حيًّا من أمة محمد؛ فأمة محمد تجد فيها «النوحي» و«الإبراهيمي» و«الموسوي» و«العيسوي» و«المحمدي الخالص»، وللمرة الأولى أقابل الإدريسي وهو: ذلك الشـخص من نسـل النبي «إدريس»، يرتدي جلبابه في حياته الخاصة، وفي كتاباته، حَبَّبَ الله إليه دمنهور، وهو يعلم أن حُبَّ أبيه «إدريس» كان عنده أشد.

جذبنـا الإدريسي إلى عالم مثلث الحكمـة وهو يرتديها؛ حيث إن به الكمال والاصطفاء والرحمـة: «كامـل مصطفى رحومه»، عاد بنا إلى عصور سـحيقة؛ لنعيشـها وكأن الزمن قد طُوِيَ له، والمكان يحتضنه بشـدة؛ لنصبح ونحن نقرأ الكلام: هرامسةً حكماءَ، لقد كان مثل وَقْعِ الندى على أرضٍ عطشى، مثل: رائحـة البخور في عبق الأماكن، مثل: لون الزهر في قفر الصحـراء، وكأني به يخرج من بين الصفحات ينادي: «يا تحـوت، ضعني في دمنهور، مدينتك التـي يحلـو بها العيـش»، وكان هو الذي يطلب النبـع العذب، وكنا نحن مـن أصابنا العطش في الصحـراء، واسـتجاب «تحوت» لكامل، فأرانا وردته الملونـة في قلب الصحراء، فهِمْنَا بها وأَسْكَرَتْنَا.

لقـد قرأ علينا المؤلف «كتاب الموتى»، فوقع في نفوسـنا أنه: «كتـاب الحياة»، وكان هو حامل الحقيقة الذي لم يخن أحدًا في كلمة ولا معلومة، ولم يقم بدنية في مَوْئِلِ الحقيقة، فكان سببًا في زوال خوف الخائف، مشبِعًا لإعواز المُعْوَزِ، شافيًا لآلام المعذَّبين، وأنا وإن كنت أرى

أن هذا العمل مُركزٌ جدًّا؛ لدرجة أنه كان يمكن أن يستفيض فيه؛ رغبة في إشباع نهم القارئ، فـإن هذه الكمية المركزة التي بذل فيها جهـدًا خارقًا تُعتبر نواةً لعمل أكبر، ولعله قام بوضع البذرة التي سـتنبت نباتًا حسنًا، يفتح النور للباحثين عن الحقيقة لأعمال أخرى؛ تُثري التراث البشري، وفقه الله إلى ذلك، وأَمَدَّ في عمره؛ لنرى هذا العمل في مجلدات كبيرة.

سعيد هويدي

مقدمة المؤلف

بسم الله العلي القدير، الواحد الأحد الفرد الصمد، بسم الله الرحمن الرحيم، ثم الصلاة على رسول الله «محمد» الذي جاء مصدقا لما جاء به الرسل من قبله، من دون تفريق بين أحد منهم.

أما بعد.. فمما ندرك من معارف أصيلة أن الكون قد بُدء بكلمة « كُن».. ثم صار ما صار وحدث ما حدث على بسيطة الأرض، حتى أذن الله بنزول «آدم» عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من جنته - أيا ما كان مكانها - إلى تلك الأرض؛ فكانت البداية.. وهذا هو مفتاح ما بأيدينا من مؤلف: «في البدء كانت النبوة».. نعم النبوة.. في البدء كان التوحيد.. في البدء كان «آدم» عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.. لم يبعثه الله ليبحث عنه تائها حائرا، بل بعثه برسالة توحيد وعمران للأرض، متخذا سلاحا من المعرفة التي تعلمها بإرادة الله؛ ومازال نسله يحصلونها بشكل تصاعدي للآن بسر الأسرار الذي ينطق به نسله دون أن يدروا بفقه الآية: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة: 31]، فتتوالد المعارف تلو المعارف.

لذا فإن بداية حركة الحضارة في تصور هذا الكتاب الصغير هو «النبوة» ولا شك.

إذ لما اصطفى الله «آدم» عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وبعث للناس الرسل من بعد ذلك تترى، كان أول رسل السماء على الراجح عند كثير من المؤرخين - منهم ابن كثير- هو النبي الرسول سيدنا «إدريس» عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ. ولأنه من الأنبياء الأوائل بعد جده السابع «آدم» عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وجده الأقرب سيدنا «شيث» عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ - الذي قيل عنه في أحد الأقوال إنه نبي ورسول أيضا - فقد قدر الله لهذا النبي أن تكون رسالته الحضارية واضحة المعالم، فهم ينسبون له أنه مخترع الكتابة، وأنه واضع أول تقويم، وأنه أول من مدن المدن، وأول من علم الناس لبس الثياب وقد كانوا قبله يلبسون الجلود، وأول من تكلم في الفلك ووضع علومه، وواضع أول لكل

فنون الطب والعمارة والهندسة وغيرها، وغير ذلك من مظاهر الحضارة.. فهو باختصار له دور بارز ومؤسس لأركان الحضارة الإنسانية، في الدين والعلم والفن والفلسفة.

وهذا السبق الزمني له، جعله مذكورا من كل الأجناس والأعراق، ومعترفًا به في كل الأديان ويتنازعه الجميع، ويدينون له بالريادة، ويتفقون عليه جميعا، فقد ندر من ينكره وينكر فضله، لدرجة أنه يكاد أن يكون أكثر شخصية في التاريخ سمي بأسماء مختلفة، فهو يشار إليه بأسماء كثيرة يصعب حصرها. فرغم اختلافهم على كل شيء متعلق به، وكذا اختلافهم على كينونته، فالكل يدعي لنفسه به وصالا.

لكن ما لا يمكن تجاهله أو تجاهل أثره أنه كان نبيا للمصريين القدماء، فقد ارتبط بالحضارة المصرية القديمة وارتبطت به. حتى وإن أنكر بعض متعصبي التشكيل الحضاري الغربي ذلك. فمنهم من يتعصب لجنسه حتى لقبت تلك الحالة بـ «التعصب الآري» ضد الحضارة المصرية. ومنهم من يتعصب لدينه؛ بتفسيره نشأة الحضارة الإنسانية بالمنظور التطوري الذي يرتكز على ما جاء في الكتاب المقدس من تاريخ تم تفسيره بشكل متحيز ودون موضوعية أو حياد، ليصب في اتجاه المقولة اليهودية بأنهم شعب الله الذي عرف - قبل غيره - فكرة التوحيد. لذلك قرأ المؤرخون الغربيون - معظمهم - في العصر الحديث الحضارة المصرية بوصفها حضارة وثنية.

وبرغم ذاك التعصب الغربي ضد الحضارة المصرية القديمة الموصولة توحيدا بالأمة العربية والإسلامية، فإنهم مولعون بكل ما هو مصري قديم. ويبدو ذلك أنه ولع متابعة أزمة، لا ولع إعجاب. لأن الانتصار لفكرة تجذر التوحيد عند المصريين القدماء تقلب منظور التشكيل الغربي الحديث لرؤية الكون رأسا على عقب.

فمعنى أن التوحيد كان موجودا قبل الوجود الذي يصوره الكتاب المقدس، ولم يبتدئ معرفيا ببدايته، وأن الحضارة المترتبة على النبوة قد تشكلت في منطقتنا في مكان مصري وفي زمان مصري .. معنى ذلك أن المنظور التطوري الحديث لرؤية الكون القائم على فكرة تأخر الأديان عن خلق «آدم» عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ قد أصابه العطب في مقتل أيما مقتل.

وتلك هي قفزة «الوحي» التي تقفز فوق المنهج المادي الرافض للغيب، والتي يعد تجاهلها

سببا رئيسا لعدم إدراك حركة النبوة في التاريخ. فباحث كبير مثل العراقي «خزعل الماجدي» يظن أنه على أرضية البحث العلمي اكتشف «حلقة الوصل بين أديان التعدد والتوحيد» في كتابه الذي يحمل نفس الاسم، وينسب تلك الحلقة تاريخيا إلى المرحلة الهلنستية بعد الإسكندر الأكبر، وينسبها معرفيا إلى (التوحيد الباطني العرفاني والغنوصي والسري) الخالي من الوحي الذي كان مقدمة للأديان التوحيدية الثلاثة التي ابتدأت باليهودية في ظنه العلمي. مما أوقعه في نفق «التقزم الطوعي» للمنهج المادي الخالي من كل غيب، مع أن الفيزياء ابتداءا من «أينشتين» قد أثبتت الزمن (غير المرئي وغير الملموس) كمكون رئيس من مكونات الكون كبعد رابع مع الطول والعرض والارتفاع.

فهذا المؤلف هو تأصيل لنفي فكرة الوثنية المطلقة عن الحضارة المصرية القديمة، وأن تلك الحضارة التي أبهرت العالم لم تكن سوى أحد تجليات التفاعل بين الإنسان والكون والحياة تحت ظلال النبوة في ذاك الزمان الغابر.

وقد بدا من تلك الفكرة أنها تجسيد لـ «زمكانية الإيمانية»، فالأعمال بعد الأفكار ترتبط بزمان ومكان، وقد تجسد في تلك البقعة المستمرة فيها الحياة منذ بدء الخليقة كل مراحل التطور الثقافي للإنسانية العاقلة، وقد استقر وجدان الكاتب بارتباطها بحركة النبوة - كما سنرى - وهذا أمر طبيعي ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: 24].

ومن المعلوم عن هذه البقعة من الأرض أنها مستمرة «مكانا»، وكذا مستمرة «زمانا» أيضا.. مما يعني أنها شاهد «زمكاني» على تصور ما لرؤية الكون، وهذا التصور ما هو إلا تصور توحيدي يرتبط بفكرة «النبوة»، ويتأصل في التاريخ «الزمان» ويتجذر في المكان «الأرض»، وخاصة في البلاد المستمرة من تلك الأرض، مثل «دمنهور» و«دمشق».

لأن «دمنهور» و«دمشق» كما يقولون عنهما أنهما المدينتان الوحيدتان اللتان استمرت فيهما الحياة بدون انقطاع مع احتفاظهما باسميهما اللذين عرفا بهما عبر التاريخ. وهما بذا من الشهود الحضارية والثقافية على مرور التاريخ بهما. وهما من ناقلي الثقافة الكامنة أو غير الملموسة عبر الأزمان، والتي تتركز فيما يسمونه بـ «الذاكرة الحضارية».

ناهيك عما يؤصله هذا المؤلف من كون مدينة «دمنهور» - على وجه الترجيح - هي

أقـرب المدن التي يمكـن أن تكون مدينة النبـي «إدريس». مع عدم إنكار الإمكانية نفسـها لثلاث مدن أخرى هي: «الأشـمونيين» بالمنيا و«إدفو» بأسـوان و«ميت رهينة» بالبدرشين - جيزة، لكن البحث يدل على ترجيح مؤصل لمدينة «دمنهور» عليهم في ذلك.

فوفقـا للرؤية التوحيدية فإن «دمنهور» التي هي من أقدم المدن، وأكثرها اسـتمرارية، وبدايتهـا توحيدية، وأكثرها خبرة تدينية مما مر عليها من أنسـاق مختلفة [توحيدية ووثنية] تختـزل خبرتهـا التدينية بانتهائهـا للرؤيـة التوحيدية التي يبعـث الله كل فـترة من يجددها ويعيدها إلى صفائها الأول. ولا يؤمن أهلها بمعجزة بقاء. فإلههم لم يحل في تاريخهم كما يعتقد اليهـود بأن إلههم قـد حل في تاريخهم، الذي يعدونه مقدسـا. وهذا ما لاحظه «المسـيري» في «موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية»، الذي استخدم مدينة «دمنهور» الأقدم في التدليل على فسـاد الرؤية اليهودية القديمة لفكرة «معجزة البقاء اليهودي»، لأن «دمنهور» أقدم من الدين اليهودي تاريخيا.

والملاحظ لحركة التاريخ في مناطق التشـكيل العربي الإسـلامي الحالي، ليجد أن المنتمين إليه؛ قد مر عليهم بالأساس كل نسخ السماء التوحيدية؛ وانتهوا طوعا إلى النسخة التوحيدية الحالية التي تصف معظم تشـكيلهم الحالي وهي «الرؤية العربية الإسـلامية». وعلى العكس فإن معتقدات التوحيد بنسـخه المختلفة - اليهودية والمسـيحية مثالا - إنما تتمركز في مناطق أخـرى دخلتها في فترة متأخرة عن المنطقة الأولى، ودخلتها هذه الديانات عن طريق الدعوة التي انتقلت إليها من الشرق.

وقـد تـم في هذا المؤلف ذكر كل ما ورد عن النبـي «إدريس» من أخبار قيلت عنه، منها الحقيقـي، ومنهـا ما لا يعـدو كونه مبالغات لا يعـول عليه في شيء، ومنها مـا يدعو للتردد في قبولهـا فلا يتم قبوله ولا رفضه، كـما الإسرائيليات، التي هي في كثير من الأحيان ضرب من الأساطير.

ولكـن تبقى لتلك المبالغـات قيمتها في كونها نبراسًـا يصلح كدليل عـلى محورية حركة النبوة في التأريخ لشعوب الأرض حتى في الأساطير؛ فأسطورة «جلجامش» - مثلا - ما هي إلا إحدى المعالجات الأدبية لطوفان «نوح» عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ.

فصانعو الأساطير وهم ينسجون أساطيرهم لم يستطيعوا تجاوز أفعال النبوة، ولا تجاوز محوريتها حتى وهم يحرفونها ويؤولونها كما في قصة «ود وسواع ويغوث ويعوق ونسرا».. فحتى في بعض خرافاتهم تراهم حول النبوة وحركتها دوما يدندنون.

عكس ما يدعيه كثير من الملحدين في قولهم من أن التشابه بين الأساطير وقصص الأنبياء لهو دليل على كونها من الأساطير. مع أن العكس بالعكس هو الأصح والأقرب إلى التصور، فالأسطورة منسوبة إلى المجهول، وقصص الأنبياء منسوبة إلى معلوم يدعي لنفسه بالحقائق التي لا ينازعه فيها أحد. وكما أن أسطورة «جلجامش» تنبئ بحقيقة ناصعة في كونها محاكاة لقصص الأنبياء؛ فهكذا تبدو كثير من الأساطير التي تختلف عن الخرافة في كونها تستند إلى حادثة تاريخية، في حين أن الخرافة لا سند تاريخي لها يرتجى. وقد صدق المؤرخ الإنجليزي الكبير «أرنولد توينبي» حين قوله: «لقد نشأ التاريخ من الأساطير، وهي شكل بدائي في التعبير والإدراك يكون فيه الحد بين الحقيقة والخيال».

وكان من نتاج ذلك أيضا أن كثرت حول ذاك النبي الروايات التي تتراوح بين الصحة والضعف والغرابة والنكارة، وأغلبها مغلوط وكثيرها موضوع، علاوة على الأساطير العديدة التي سطرت في ظلاله.. فمثلا كل أساطير «المخلص الغائب» وغيرها من الأساطير التي يقال عنها بأنها دينية، وكثير من الأخبار التي ترد عن أحداث نهاية العالم مما يسمونه بأحداث الفتن والملاحم؛ لتتهادى بسيرة النبي «إدريس» ومسيرته كما سنرى.

وكثير من أصابع الاتهام لتشير إلى الإسرائيليات أو إلى وجود ذكر للنبي «إدريس» في معظم الثقافات العالمية، دينية كانت أو فلسفية أو غير ذلك.

هذا وقد اضطر الكاتب إلى تكرار بعض الفقرات من بعض كتاباته السابقة التي تتوافق مع فكرة التأريخ للاستمرارية التاريخية لمدينة النبي «إدريس» على وجه الترجيح (دمنهور)، وكذا لذكر قرائن تدل على محوريتها في حركة تاريخ الأفكار، وكذا علاقتها فيما يظن الكاتب بـ «رؤية الكون» من منظور تاريخي، فكان الفصل الأخير تكرارا لما ورد في كتابه «المسيري وثقافة المكان» الصادر عن «دار كتابي» بالقاهرة، وكذا فقرة «أثر الهرمسيات في ثقافة العالم».

أخيرا.. لا شك عند الكاتب في تجذر التوحيد ومحوريته في الحضارة المصرية القديمة.. لا شك عنده بعدم صحة الكثير مما قيل عن النبي «إدريس».. لا شك عنده في محورية ذاك النبي في حركة الحضارة والعمران.. لا شك أن في هذا الكتاب شيئًا ما.. برغم قدمه فهو سيكون للقارئ في أي عصر أو مصر جديدًا جديدًا.

فلربما كان من اللائق حقيقة ومجازًا أن نقول: «في البدء كانت مصر».. وربما ستبقى للنهاية، ولا ينقطع ذكرها للأبد.. وربما كما هتف التاريخ لها دومًا؛ يهتف لها المستقبل أيضًا: «تحيا مصر».. والله أعلم.

ولا أنسى أن أشكر كل من ساعدني في إتمام هذا العمل، وعلى رأسهم الأستاذ «عبد الرحمن المسيري» والدكتور «متحت محمد عبيد» والدكتور «عبد الشافي هيكل» والأستاذ «أحمد سعيد سمنة».. فلهم كل تقدير وشكر وامتنان.

فاللهم إني أسألك أن يكون هذا العمل خالصا لوجهك الكريم.. ثم اللهم إنا نعوذ بك من علم لا ينفع.

الفصل الأول

النبي إدريس في الثقافات المختلفة

«إن النبي «أخنوخ» هو نموذج للكائن المتفوق الذي يستمد معرفته من السماء مباشرة، وهو مانح الحضارة للإنسانية، وكاشف فنون المعرفة والعلم، وحياته تمثل رحلة مستمرة من الكشف والمعرفة الإلهيين؛ فهو نموذج البار والكاتب والملك السابع ما قبل الطوفان في التقليد البابلي»..

(من مقولات كاتب «مخطوطات البحر الميت» باللغة الحبشية في القرن الثاني قبل الميلاد).

الفصل الأول

النبي إدريس في الثقافات المختلفة

المبحث الأول

«إدريس» النبي أم «هرمس الإغريقي» أم «تحوت المصري»؟

.. ولكن يبدو، على كل حال، أن «هرمس» يتمتع بشخصية ذات سحر وتأثير كبير، دخل حياة الناس في مختلف الأوطان والأقطار. فهو في كل مكان وفي كل زمان، يتمتع بنفس الشعبية وقوة التأثير..

(من مقولات «أحمد غسان سبانو» في كتابه «هرمس الحكيم بين الألوهية والنبوة»).

رغم أن كثيرًا من الناس الآن قد يجهل اسم «هرمس»، وربما اسم «تحوت» أيضا، فإن الظن يشير إلى أن قليلًا منهم هو من يجهل اسم «إدريس» عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ سواء بصورته العربية على مسمى «إدريس» أو صورته العبرية على مسمى «أخنوخ» كما التوراة. وإن كان البعض يعتبر أن كل هذه الأسماء ما هي إلا أسماء مختلفة لمسمى واحد هو لشخصية مقدسة في الفكر الإنساني، ولها عمق تاريخي كبير يمتد لأزمان سحيقة.

لكن ذلك لا يمنع أن شهرة «هرمس» في تاريخ الحضارة الإنسانية فاقت باقي تلك الأسماء الأخرى، خاصة وأنه صاحب ذكر وحضور دائم في كل الثقافات، وفي كل الأزمان، وفي كل

الأماكن تقريبا. حيث يصور «هرمس» هذا على أنه حكيم تارة، ونبي تارة أخرى، ووصل الأمر إلى اعتباره عند البعض إلها معبودا.

مما دعا البعض إلى القول بأنه - أي «هرمس» - أكثر شخصية تناولتها الأقلام في التاريخ الإنساني كله، وذلك لعظم أثره وتأثيره في كل الفلسفات القديمة والمعاصرة تقريبا، و كذا فإنه ذو حضور خاص في كل الديانات، سواء السماوية منها أو الوضعية كذلك. بل إنه مقتحم بقوة لكثير من الفنون والآداب، علاوة على كل فروع العلوم الإنسانية تقريبا، و كذا كثير من العلوم التطبيقية أيضا.

المطلب الأول
إشكالية تعدد أسماء «هرمس الحكيم» في الثقافات المختلفة

أول ما يلفت نظر الباحث في شخصية «هرمس الحكيم» هو تعدد أسمائه، بشكل يستعصي على الحصر، ولكنها إلى حد ما تختلف باختلاف الثقافات.

ويفسر «أحمد غسان سبانو» ذلك بقوله: «أن «هرمس» يتمتع بشخصية ذات سحر وتأثير كبير داخل حياة الناس في مختلف الأوطان والأقطار. فهو في كل مكان وفي كل زمان يتمتع بنفس الشعبية وقوة التأثير».. ويقول: «من البديهي أن يكون لـ «هرمس» الكثير من الأسماء والشخصيات تبعا لتباين الحضارات والشعوب»[1].

والتعدد في الأسماء يرجع في المقام الأول إلى اسم «هرمس» الذي انتقل مع تعاليمه إلى الفرس واليونان والكلدان وغيرهم، مما تسبب في هذا التعدد، علاوة على اختلاف اللغات واللهجات، واحتمالات التصحيف في كتابة الاسم، و كذا نطقه، واختلاف الترجمات من اللغات المختلفة، وميل كل الشعوب لتوقيره عن طريق خلع الألقاب المختلفة والمتعددة عليه، و كذا البعد الزمني لكون الشخصية تنتمي إلى زمن غابر سحيق، كل هذا ساهم في هذا التعدد.

(1) سبانو، أحمد غسان، هرمس الحكيم بين الألوهية والنبوة، دار قتيبة، دمشق، سوريا، ط1، 2002م، ص5.

لكن «د. هدى درويش» تقرر: «ورغم اختلاف مسماه باختلاف الديانات والشعوب، واختلاف الترجمات، فإن من المتفق عليه أنه شخص واحد، يحمل ذات الصفات والعلوم الإلهية»[1].

ومن أسمائه:

- ❑ هرمس Hermes- هرمس الهرامسة - هرمس الكبير - هرمس كزبرج - هرمز - هرميز - هيرمس - هيرميس - هرميس - هرماس - هيرماكيس - أرمس - أرميس.
- ❑ (عند اليونان) طرميس - أطرسمين - طريمجس - طرسيمي حبيسطيس (اي ثلاثي التعليم) - طريسميجيسطيس - ترخمنتيس - تريس ماجستوس Trismegistos - Trismagistus - Trismagist - أورين الثالث.
- ❑ (عندالرومان) عطارد-مركوري-ميريكوري Mercurius-مريكيور-ماكسيموس- وعلى قول من الأقوال: أندريه أو أندرياس - أندراوس.
- ❑ (عند العرب) إدريس - إدراس - تديس - ديس- ادرس.
- ❑ (عند العبرانيين) أخنوخ - خنوخ - حنوخ - حنوك - أخنخ - أهنخ - أشنخ - أنوخ - أنوش - إينوش- إينوخ - أنوك - إينوك Enoch .
- ❑ (في المصرية القديمة) تحوت (بمعنى المقدر باللغة المصرية القديمة وهو إله الدلتا عن الموتى والمصير البشري) Thot - Tooth- تاحوت - تُحت - تحات - تحوتي - جحوتي - ضحوتي - توت - توث - ثوث - ثوت - سوت - طوط- طوت - طوت الأكبر (تحوت الأكبر) - تاؤوت - داوتي (تحوت المعظم ثلاثا) - دوتي - سوت - سوتين - (ور- عاوو) أي العظيم ثلاثة باللغة المصرية القديمة - قلب رع - ، و«جمال الليل».. وعلى بعض الأقوال يرمز إلى: أوزوريس - حورس - أنوبيس - أخناتون.

---

(1) درويش، هدى، نبي الله إدريس بين المصرية القديمة واليهودية والإسلام، دار السلام، مصر، ط1، 2009م، ص90.

❑ (عند الفرس) أنبنجهد أو انجهد أو اللهجد أي «ذو العدل» أو ابن جهد.

❑ (عند الأشوريين) تابو.

❑ (عند الصابئة) بوذاسيف - ذواناي (أي مخلص البشر) - دنانوخ.

❑ (عند الفينيقيين) قدموس - تا أوتوس.

❑ (عند الهنود) ليبكا.

ومن ألقابه:

المعظم ثلاثا - العظيم ثلاثة - عظيم مرات ثلاثة - عظيم العظماء - المزدوج بالعظمة - مثلث العظمة - مثلث العظمات - مثلث الحكمة - مثلث النعم - مثلث الرحمات - ثلاثي التعليم - النبي المثلث - على الدوام عظيم جدا - سيد الحكمة المقدسة - المحنك - المكرس - الراعي - المبتدي - الملهم - ألذيزن - الباز.

المطلب الثاني
التعريف بنسخه المختلفة

والاختيار هنا للتعريف به؛ هو لأهم أربعة أسماء («إدريس» و«أخنوخ» و«هرمس» و«تحوت»)، وإن كان اسما «أخنوخ» و«إدريس» قد وردا فيهما حديث شريف - رغم عدم قطعيته - يدلل على كونهما لمسمى واحد هو نبي الله «إدريس» عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كما سيتضح لاحقا.

أولا: نسخته العربية «إدريس»

❑ في المصادر الإسلامية: ذكر «البخاري» (194هـ: 256هـ) في صحيحه أن «إدريس» عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ هو جد أبي «نوح»، ويقال جد «نوح»[1]. ويقول الإمام «ابن كثير»

(1) صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب: «وإن إلياس لمن المرسلين».

(700هـ: 774هـ): وهو في عمود نسب رسول الله على ما ذكره غير واحد من علماء النسب[1].

- وهو أول نبي أعطي النبوة بعد جده «آدم» و«شيت» عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ[2]. وعن معاصرته لـ «آدم»، فلقد أدرك من حياة «آدم» 308 سنة[3].

- ولقد ولد في مصر، وخرج منها، وجاب الأرض المعمورة يومئذ كلها، ثم عاد إلى مصر، وفيها بعث، حتى رفعه الله فيه مكانا عليا[4].

ثانيا: نسخته العبرية «أخنوخ»

وعند النظر في شخصية «أخنوخ» عند علماء المسلمين؛ لن يدرك الناظر أي دهشة من تسليم العلماء لكون «أخنوخ» والنبي «إدريس» عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وجهين لعملة واحدة، تطابقا عندهم تطابقا راجحا.

وقد تواترت الآثار على التطابق التام بين شخصيتي «أخنوخ» والنبي «إدريس» عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وكما يقول «إسماعيل حامد»: «يمكن القول بكثير من اليقين إن «إدريس» عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ و«أخنوخ» يمثلان شخصية نبوية واحدة، ذكرت في القرآن الكريم باسم عربي هو «إدريس»، وفي التوراة ورد باسم عبري «حنوك» (أخنوخ)، وهما اسمان يتشابهان إلى حد كبير في مفهوم ودلالة كل منهما كما أنف القول.

وقد ذكر «رءوف أبو سعده»: «أما «أخنوخ» - لغة - هي «إدريس» فقد علمت أن الإدريس هو الدارس الحاذق. وأما «أخنوخ» فأصلها العبري (حنوك)، التي تنطق كافها خاء، طبقا لقواعد النطق في العبرية التي تنطق الكاف خاء إذا تحرك أو اعتل ما قبلها، فهي

---

(1) ابن كثير، البداية والنهاية، ج1، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1993م، ص9.

(2) المرجع السابق.

(3) عمارة، محمد، في فقه الحضارة الإسلامية، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط1، 2003م، ص226.

(4) المرجع السابق.

عندهم (حنوخ) عربها العرب إلى (أخنوخ). وأما معنى (حنوك) العبرية هذه فهي على المفعولية من الفعل العبري (حنك) على معنى (حنكة) العربي، أي فقهه وثقفه وعلمه، فهو المحنك المحنوك، وقد جاءت «إدريس» في القرآن على الترجمة لا غير»(1).

وفي هذا المقام يُكتفى بذكر رواية الإمام «ابن حبان» (883م: 965م) سالفة الذكر، حيث جاء فيها من قول رسول الله ﷺ لأبي ذر: «وأخنوخ وهو إدريس عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهو أول من خط بالقلم»(2).

نسبه في المصادر اليهودية:

ونسبه - أي «أخنوخ» - في المصادر اليهودية محدد ومعروف، فقد جاء تفصيل نسبه في نص العهد القديم الوارد في أخبار الأيام الأولى فهو: **أخنوخ بن يارد بن مهلائيل بن أنوش بن شيت بن آدم**، وهو أبو جد «نوح»، ولد له متوشالح، وولد لمتوشالح لامك، وولد للامك «نوح»(3).

ثالثا: نسخته الإغريقية «هرمس الحكيم»

من هو؟..

يجيب على ذلك «أحمد غسان سبانو» بقوله: «أجمعت الآراء والأبحاث التي جاءت عن «هرمس» في مختلف الأزمان والحضارات (الشعوب) على إعطاء هذه الشخصية الصفات التالية:

1) «هرمس» شخصية فريدة مميزة.

2) ذات ثقافة واسعة وعلم مميز في زمن ساده الجهل.

---

(1) أبو سعدة، رءوف، من إعجاز القرآن، ج1، دار الهلال، مصر، 1993م، ص7.

(2) أخرجه ابن حبان في صحيحه، (2/ 77).

(3) سفر التكوين، الإصحاح الخامس.

3) لهذه الشخصية صفة تتعلق بالخالق[1]، فهي عند البعض صفة إله، وعند الآخرين نبي مرسل، فإنه في كل الحالات احتفظ بتقديس ما.

4) تحدد فترة «هرمس» بزمن سابق على الطوفان (طوفان «نوح»)، أو بعبارة علمية، عند فجر عصر الكتابة أو بزمن يسبقه، أي حوالي الألف الرابعة أو الثالثة قبل الميلاد.

5) كان «هرمس» حكيما متعبدا طاهرا هاديا (أو داعيا إلى الله)[2] وقد كوفئ من عند الله (بعضهم بقول بأنه خالد في الجنة أو أنه رفع مكانا عليا...). هذه هي الملامح المميزة لشخصية «هرمس»[3].

الهرامسة المشهورون ثلاثة:

هل هناك أكثر من «هرمس»؟..

والإجابة كما يقرر الكثير هي: نعم.

فهناك أكثر من «هرمس» يشار إليهم في التاريخ. ورغم أن الهرامسة كثير[4]، فإن مشاهيرهم ثلاثة كما جاء في كتاب «طبقات الأطباء والحكماء» من قول «أبو معشر البلخي» (787هـ: 886هـ) في أن الهرامسة ثلاثة[5]:

1) «هرمس النبي»: الذي كان قبل الطوفان. و«آدم» جده الأعلى. ويذكر العبرانيون أنه «خنوخ»، وهو بالعربية «إدريس». وقد كان مسكنه بصعيد مصر. وهو أول من بنى الهياكل ومجد الله فيها، وأول من نظر في الطب، وهو أول من أنذر بالطوفان ووضع

(1) «في الأصل: بالله بدلا من الخالق».

(2) في الأصل: (داعيا إلى دين ما) بدلا من (داعيا إلى الله).

(3) هرمس الحكيم بين الألوهية والنبوة، مرجع سابق، ص6، بتصرف.

(4) كما أنه يوجد أكثر من تحوت أيضا، ويقولون إنهم ثلاثة كذلك، ويرجع في ذلك على سبيل المثال: نبهان، خالد علي، كشف المستور في الخبر المكنون، مكتبة النافذة، مصر، ط1، 2008م، ص25 في الهامش

(5) ابن جلجل، أبو داود سليمان بن حسان الأندلسي، طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق: فؤاد السيد، المعهد العلمي للآثار الشرقية، القاهرة، مصر، 1955م، ص270، 271، باختصار.

الخطـط للحفاظ على العلـوم والصناعات بتخليدها فأمر ببناء البرابي ونقشـها عليها. وأن له كتبًا يظن أنها سماوية.

2) «هرمـس البابـلي»: من أهل بابـل. وكان بعد الطوفـان. وكان بارعـا في علم الطب والفلسفة، وعارفا بطبائع الأعداد.

3) «هرمس المصري»: كان بعد الطوفان. وهو صاحب كتاب الحيوان ذوات السـموم، وكان فيلسـوفا طبيبا، وكان جوالا في البلاد طوافا بها، عالما بنصبة المدائن وطبائعها وطبائـع أهلها، وله كلام حسـن في صناعـة الكيمياء والصناعات القائمـة عليها، وله تلاميذ في ذلك شهيرة.

رابعا: نسخته المصرية القديمة «تحوت المصري»

الكائن الإلهي «تحوت»؟:

والإله «تحوت» تصوره الآثـار الفنية برأس الطائر «أبيس» (أبو قردان) راعي الحكمة والفنون»[1].

و«تحـوت» (بمعـنى المقـدر باللغـة المصرية القديمـة وهو إلـه الدلتا عن المـوتى والمصير البشري) [Tooth] ويسـمونه الكائن الإلهي «تحوت». ومن أسـمائه: جحوتي - توت - توث - ثـوث - ثـوت - طـوط - طوت - طوت الأكـبر - تـاؤوت - (ور- عـاوو) أي العظيم ثلاثة باللغـة المصريـة القديمة، ويذكر عالم المصريـات «واليس بـدج» (1857م: 1934م) أن ذلك أصل التسمية الإغريقية له بـ «مثلث العظمة».

وهو رسـول الآلهة في الأسـاطير المصرية وكذا اليونانية. وعلى قول علماء المصريات: فقد اعتقد المصريون أن «تحوت» هو إله القمر، فهو الذي يعيد النجم إلى اكتماله بعد فترة اختفاء[2]،

(1) عبد المتعال، علاء الدين، هرمس مثلث الحكمة بين الأسطورة والواقع، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، 2003م، ص31.

(2) أرمان، أدولف، ديانة مصر القديمة، ترجمة: عبد المنعم أبو بكر وأنور شكري، مكتبة مدبولي، مصر، ط1، 1995م، ص48.

وكان «تحوت» يحمل ألقابا مهمة منها: «سيد السماء» و«الغامض» و«المجلي بالأسرار» و«الصامت» و«رمز الحكمة» و«الوقار» و«جمال الليل»[1]. وقد اعتقد المصريون أن «تحوت» هو الذي اخترع الكتابة واللغات التي تعبر بها الشعوب الأخرى[2]، وهو مخترع التقويم، ويقال إنه مؤلف أقدم الكتب الفرعونية (كتاب الموتى المقدس)[3]، عبده المصريون في أماكن كثيرة، لكن المركز الرئيس لعبادته هو (هرموبوليس)[4].

وفي لاهوتيات أخرى كان «تحوت» هو مخترع الكتابة والرياضيات وسيد التعاويذ السحرية، وهو رمز الكلمة المقدسة التي ربطت الآلهة ببعضهم، كما ربطت بينهم وبين البشر، حتى إنه كان يعامل أحيانا على أنه خالق العالم[5].

ويعتبر كل من «شيشرون» (106ق.م: 43ق.م) و«كليمنت السكندري» (150م: 215م) أن «تحوت» مخترع الكتابة الهيروغليفية ومؤلف النصوص الأساسية للحكمة المصرية القديمة هو أصل الإله اليوناني «هرمس»[6].

كتاب الموتى الفرعوني:

«وكتاب الموتى هو اسم جرى العرف على إطلاقه على مجموعة من النصوص الدينية والسحرية عرفت عند المصريين باسم فصول في السير أثناء النهار»[7]. ويعتقد البعض

(1) تشيرني، ياروسلاف، الديانة المصرية القديمة، ترجمة أحمد قدري، هيئة الآثار المصرية، مشروع مائة كتاب، رقم6، مصر، 1987م، ص48.

(2) المرجع السابق، ص79.

(3) هرمس مثلث الحكمة بين الأسطورة والواقع، مرجع سابق، ص32.

(4) المرجع السابق، ص31.

(5) برنال، مارتن، أثينا السوداء، ج1، ترجمة: محمود إبراهيم السعدني، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ط1، 2005م، ص264.

(6) توسي، ماريو، وكارلو ريو ردا، معجم آلهة مصر القديمة، ترجمة ابتسام محمد عبد المجيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة مصريات، مصر، 2008م، ص6.

(7) جيمز، ت.ج.هـ، كنوز الفراعنة، ترجمة أحمد زهير أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1999م، مصر، ص232.

أنه كتاب سماوي قد جرى عليه تحريف[1]. وقد كانوا يتعبدون به ويتقربون به إلى الله.

ويشير «د. عزت السعدني» إلى انتساب «كتاب الموتى» عند البعض إلى النبي «إدريس» أو «هرمس الحكيم»، والذي تذكر عنه موسوعة الديانات والعقائد أنه يعتبر أول كتاب في تاريخ البشرية فيه ذكر العالم الآخر والحساب، وهو كتاب كان يقدسه المصريون على عهد الفراعنة، معتقدين أنه من الكتب المنزلة[2] ويذكر «عطية عامر» عن «واليس بدج» (1857م: 1934م) قوله: «أن كثيرا من الباحثين يرى أن «كتاب الموتى» من تأليف «توت» (أو «تحوت») وأن بعض الفصول المخطوطة التي وصلت إلينا «كتبت بخط يده»»[3]. وكذا «معجم الديانات وأساطير العالم القديم» الذي ورد فيه القول بكون «تحوت» هو مؤلف «كتاب الموتى»[4].

ويقول عنه الشيخ «محمد أبو زهرة» (1898م: 1974م): «هو كتاب مشتمل على آداب وفضائل، وهو يعد الكتاب الأعلى عند قدماء المصريين، يتعبدون بتلاوته وهم أحياء، ويوضع معهم في قبورهم وهم أموات»[5]. والكتاب مشتمل على جميع الكلمات السحرية التي تستعمل لعلاج الأمراض، ومشتمل على الصلوات والأدعية، وعلى ما يجب للميت من تحنيط، وطقوس دينية[6]. وفي الكتاب فصل قيم بما ينبغي أن تقوله الروح أمام المحكمة الإلهية في اليوم الآخر، وقد سماه «شامبليون» (1790م: 1832م) اعترافا سلبيا، وإليك بعضه (أي نصًا من نصوص كتاب الموتى):

«يا سادة.. الحقيقة أنني حامل الحقيقة.. إنني لم أخن أحدا.. ولم أغدر بأحد.. ولم أجعل أحدا من ذوي قرابتي في ضنك.. ولم أقم بدنية في موئل الحقيقة.. ولم أمازج عملي بشر قط..

---

(1) كريم، سيد، لغز الحضارة المصرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1996م، ص53.

(2) السعدني، عزت، فجر الضمير المصري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2008م، ص32.

(3) عامر، عطية، رسائل توت في الحكمة والفلسفة، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 1999م، ص3.

(4) إمام، عبد الفتاح، معجم الديانات وأساطير العالم القديم، مكتبة مدبولي، مصر، ط1، 1998م، ص319.

(5) أبو زهرة، محمد، مقارنات الأديان، قسم الديانات القديمة، دار الفكر العربي، مصر، 2006م، ص17.

(6) المرجع السابق، ص17.

وجافيت الضر والأذى.. ولم أعمل باعتباري رئيس أسرة ما ليس من كمالها.. ولم أكن سببا في خوف خائف.. ولا إعواز معوز.. ولا ألم متألم.. ولا بؤس بائس.. لم أقدم على ما لا يليق بالآلهة فلم أجع أحدا.. ولم أبك أحدا ولم أقتل نفسا.. وما حرضت أحدا على قتل أو خيانة.. ولم أكذب.. ولم أسلب المعابد ذخائرها.. ولا المومياء طعامها.. ولم أرتكب أمرا لا يليق مع كاهن في كهنوته.. ولم أغل في الأسعار.. ولم أطفف الكيل والميزان.. ولم أسرق الماشية من مرعاها، ولم أصد طير الآلهة.. ولم أدفع الماء في عهد الفيضانات.. ولم أحول مجرى ترعة.. ولم أطفئ شمعة في ساعتها.. ولم أخدع الآلهة في قرابينها المختارة.. فأنا نقي أنا نقي أنا نقي»[1].

الكائن الإلهي «تحوت» على جدران القدماء

(1) المرجع السابق، ص18.

المطلب الثالث
هل «هرمس» شخص حقيقي أم نسيج فكري

هل هو شخص حقيقي وجد في مجتمع ما من المجتمعات.. أم هو كما يدعي البعض مجرد نسيج فكري مر عبر العصور؟.

هنـاك فريق من الباحثين يرى أن «هرمس مثلث الحكمة» هو شـخصية لا وجود لها في أرض الواقـع ويقطعـون بذلك. ومن تلك الآراء رأي الراهب الفرنسي الأب «فسـيتوجيير» (1898م: 1982م)، في أكـبر دراسـة كتبـت في العـصر الحديث عن «هرمس» باسـم «وحي هرمس المثلث بالعظمة» عن النصوص الهرمسية، وقد ترجمها إلى الفرنسية في أربعة مجلدات، ثم أردفها بدراسة عامة للفكر الهرمسي في أربعة مجلدات أخرى[1].

ومنهم أيضا المسـتشرق الإيطالي «كرلو نلينو» (1872م: 1938م) في دراسـته لعلم الفلك عنـد العرب الـذي ذكر فيها: «أن «هرمـس» حكيم مصري خرافي لم يكن لـه وجود أبدا. فكـثرت فيـه الخرافـات بين العرب في عهد الإسـلام.. وهو اسـم إلـه من آلهـة اليونان زعم المصريون منذ عهد «الإسكندر» (356ق.م: 323ق.م) أنه نفس الإله «تحوت» (Thot) الذي نسبت إليه قدماء المصريين اختراع كل علم»[2].

ومـن كبار الكتاب العرب الذين تأثروا بهذه الرؤية «د. نجيب بلدي»[3]، وكذا و«د. عبد الرحمن بدوي» (1917م: 2002م) الذي يتبنى نفس آراء «فسيتوجيير» وكذا الأستاذ «ماسينيون» (1883م: 1962م)[4] في بحثه «ثبت المؤلفات الهرمسـية العربية» الملحق بكتاب «فسـيتوجيير» وتكاد تكون كل إستشهادات «عبد الرحمن بدوي» هي من صياغة أفكار كتابات «فسيتوجيير» و«ماسينيون»، ومن المعلوم أنهما من رجال الدين المسيحي ومن علماء الكهنوت[5].

(1) انظر: هرمس مثلث الحكمة بين الأسطورة والواقع، ص33.
(2) الصعيدي، ماجد، هرمس في المصادر العربية، دار الكرز، مصر، ط1، 2007م، ص141.
(3) بلدي، نجيب، تمهيد لتاريخ مدرسة الإسكندرية وفلسفتها، دار المعارف، مصر، 1962م، ص92.
(4) السياسي والعسكري والمستشرق الفرنسي الذي درس بالجامعة المصرية.
(5) انظر: بدوي، عبد الرحمن، الأفلاطونية المحدثة عند العرب، دار القلم، مصر، ط2، 1977م، ص41، وما بعدها

أولا: «هرمس» شخصية حقيقية

لكن كان هناك الكثير ممن لهم رأي يخالف ما سبق، إذ يعتبر من أشهر من كتب في السبعينيات عن هذه الشخصية كتابا مستقلا هو الفرنسي «لويس مينار» (ولد في 1898م) ويرى «علاء عبد المتعال» أنه برغم تطرفه الفكري المتعصب للسامية العبرانية، فإنه قام بتحليل بعض الكتابات التي تنسب إلى «هرمس مثلث الحكمة» باعتباره اسما فرعونيا لشخصية يدعي هو أنها لم تكن واقعية[1]. كما تعترف تحليلات «لويس مينار» للنصوص الهرمسية بانتسابها إلى ما هو أقدم من «هوميروس» (عاش 850ق.م) وغيره[2].. وهو ما اعتبره «علاء الدين عبد المتعال» إثبات للمصدر المصري في الفكر الهرمسي مستخلصا من الكتابات الهرمسية[3].

والملاحظ أن كل من يعتقدون بكونه «وهميًا» يستندون إلى أن كثيرًا من الهرمسيات منسوبة إليه، وترجع إلى القرن الثاني قبل الميلاد، لكن يتناسون أن كثير من النصوص الأساسية تضرب في أعماق جذور المصرية القديمة. وممن قال هذا «مرسيا إلياد» (1907م: 1986م) الذي يرى: «أن الأدب الهرمسي بممثليه وديكوره وأساطيره يبدو مصريا خالصا خاصة النسبة للنصوص القديمة»[4].

لكن المفكر المغربي «د. محمد عابد الجابري» (1936م: 2010م) يتدخل ليوضح أن هرمس مثلث الحكمة هو شخصية واقعية وليست مجرد أسطورة أو إفراز للفكر المتصارع في العصر الهيلينستي كما ذكر «فستوجيير»[5].

وقد انتقد «علاء الدين عبد المتعال» أيضا تصور «د. عبد الرحمن بدوي» و«د. نجيب

---

(1) انظر: هرمس مثلث الحكمة بين الأسطورة والواقع، ص34.

(2) مينار، لويس، هرمس مثلث العظمة أو النبي إدريس، ترجمة: عبد الهادي عباس، دار الحصاد، سوريا، ط1، 1998م، ص165.

(3) هرمس مثلث الحكمة بين الأسطورة والواقع، ص201.

(4) المرجع السابق، ص35.

(5) المرجع السابق، 39.

بلدي» في تصورهما أن «هرمس» شخصية وهمية نسب إليها مجموعة مؤلفات كانت مزيجًا من المصرية الفرعونية والفلسفة اليونانية[1]. كما أنه في نهاية مبحث كبير، وردا على تساؤله عما إذا كان «هرمس» مزعومًا أم شخصًا واقعيًا؛ يقرر: «أن الواقع بمكوناته المختلفة وأحداثه التاريخية التي غمض بعضها ووضح بعضها أشارت - فيما ألقته من ضوء - إلى وجود تلك الشخصية على أرض الواقع. وإن بدا خفاؤها - بسبب قصور المصادر التاريخية - فإن وضوح ما ظهر من كتابتها (أعني شخصية «هرمس» مثلث العظمة) يشير إلى أثر ليس غامضا في كثير من العقائد الدنيوية والسماوية إلى حد التأثير حتى على العقائد المسيحية ومن قبلها التأثير في العقائد اليهودية، لذلك يمكن اعتبار ما ألقيت الضوء عليه يمثل أدلة وبراهين يشير أولا إلى ترجيح وجود شخصية «هرمس مثلث العظمة»[2].

ويستدل بتاريخ مدينة «هرمس» (هرموبوليس) - دمنهور أو الأشمونين - التي هي أقدم من ظهور الفلسفة اليونانية على صحة افتراضه[3]. ويستدل أيضا بوجود «تحوت» وأثره في «كتاب الموتى» القديم عما ينسبون، ويؤكد على أن عبادة «تحوت» في عصر البطالمة قد استمدت قوتها من جذورها الضاربة في القدم في التراث المصري الأقدم كما ورد على لسان «مارتن برنال» (1937م: 2013م) نفسه[4].

كما استشهد بالعالمين «ستريكر» و«درشين» في قوله: «ومؤخرا أوضح كل من بروفسور «ستريكر» وبروفسور «درشين» أن العنصر المصري في الأعمال الهرمسية واضح ومسيطر، وفي هذا تفوق العالمان على ما سبق، وإن عارضه «فيستوجيير» وغيره من الدارسين الذين بحثوا في ظل سيطرة النموذج الآري على تفكيرهم»[5].

ويقرر أيضا في خاتمة دراسته: «أن أصول الكتابات الهرمسية - قبل أن تحور وتأول ويضاف إليها من آراء ومعتقدات - تمثل جوهر أقوال نبي جاء إلى الإنسانية ليرشد

(1) المرجع السابق، ص28.
(2) المرجع السابق، ص70.
(3) المرجع السابق، ص95.
(4) أثينا السوداء، مرجع سابق، ص262، 263.
(5) هرمس مثلث الحكمة بين الأسطورة والواقع، ص36.

أرواح البشر إلى النور الحقيقي ويظل منذ القدم حتى عصرنا، بل وسوف يظل باقيا عبر العصور»[1].

ثانيا: إشكالية تعصب الجنس الآري[2]

والواضح للعيان والقريب من الأذهان هو ذاك التعصب الأوربي ضد الحضارة المصرية القديمة المسماة اصطلاحا بـ «التعصب الآري، ورغم أن «مارتن برنال» (1937م: 2013م) يرى عدم الصلة بين «تحوت المصري» و«هرمس مثلث الحكمة»[3]، فإنه تكلم عن النموذج الآري المتعصب للفكر الأوربي ضد الأصل المصري[4]. علما بأن «مارتن برنال» (1937م: 2013م) يقصد بـ «النموذج الآري» ذاك الفكر الأوروبي المتعصب ضد الأصل المصري لمبدأ التجريد باعتباره أحد المصادر الأساسية في عصر الفراعنة الأقدم[5].

وكذا فإن «د. محمد عابد الجابري» (1936م: 2010م) يتهم تلك الرؤية التي تعتبر «هرمس» شخصية غير حقيقية أو أنه عبارة عن أسطورة بتعصبها الآري بقوله: «بل لأن تاريخ الفلسفة «الرسمي» المعاصر تحكمه «المركزية الأوروبية»، وبالتالي فهو لا يهتم إلا

---

(1) المرجع السابق، ص264.

(2) وقد جاء في تعريف الويكيبديا: «تعتبر فكرة «الجنس الآري» هي فكرة تاريخية أثرت كثيرا في الحضارة الغربية خاصة في أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، والفكرة مفادها أن متحدثي اللغات الهندية الأوربية الأصليين يمثلون وخلفائهم حتى اليوم الحاضر جنسا سائدا أو جنسا فرعيا سائدا من الجنس القوقازي، ويسمى الاعتقاد بوجود تلك النظرية أو الأفكار بالأريانية. وعلى الرغم من ظهور المصطلح ذاته في بادئ الأمر لوصف مجموعة عرقية ولغوية فإن هذا المعنى قد شهد تغييرا جذريا ورواجا شديدا من خلال توليد تيارات عديدة من الكراهية العنصرية خاصة خلال العهود النازية والنازيين الجدد بما في ذلك الأفكار التنجيمية والأفكار الداعمة لتفوق البيض» (انظر الرابط: https:/ / ar.wikipedia. org/ wiki/ %D8%AC%D9%86%D8%B3_%D8%A2%D8%B1%D9%)

(3) هرمس مثلث الحكمة بين الأسطورة والواقع، ص36.

(4) أثينا السوداء، ص262.

(5) هرمس مثلث الحكمة بين الأسطورة والواقع، ص37.

بالطريق الذي سلكته الفلسفة من بلاد اليونان موطنها الأصلي إلى روما وأوروبا العصور الوسطى ثم أوروبا الحديثة»[1].

وكما وصف أيضا دراسة «فسيتوجيير» تلك المحكومة بـ «المركزية الأوربية» بقوله: «إذ يتناول الهرمسية بوصفها تيارا فكريا داخل الإمبراطورية الرومانية من جهة ويحاول من جهة أخرى ربطها مباشرة بـ «أفلاطون» وبالخصوص في الجانب الفلسفي الديني منها»[2].

كما أنه وسم التاريخ الرسمي للفلسفة القديمة بالتعصب الأوربي في قوله: «وهذا التاريخ «الرسمي» لـ «الفلسفة القديمة» الأورباوي النزعة «يتواطأ» مع ما دعوناه من قبل بـ «التاريخ الركامي»»[3].

أما عن أسباب تلك الرؤية المتعصبة ضد الحضارة المصرية؛ فيفسرها «ماجد الصعيدي» تفسيرا يرتكز على التعصب الديني بقوله: «إن الرؤية الغربية الحديثة التي درست نشأة الحضارة الإنسانية من منظور تطوري ارتكز على ما جاء في الكتاب المقدس من تاريخ تم تفسيره بشكل متحيز ودون موضوعية أو حياد، ليصب في اتجاه المقولة اليهودية بأنهم شعب الله الذي عرف - قبل غيره - فكرة التوحيد. لذلك قرأ المؤرخون الغربيون في العصر الحديث الحضارة المصرية بوصفها حضارة وثنية»[4].

المطلب الرابع
أثر «هرمس مثلث الحكمة» في حضارة الإغريق

إن اعتراف الفيلسوف الكبير «أفلاطون» (428ق.م: 348ق.م) بفضل الحضارة المصرية القديمة على الفكر اليوناني- ومن ثم على الغرب كله - لهو المدخل الأرحب للولوج في دروب

(1) الجابري، عابد، تكوين العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط11، 2011م، ص162.

(2) المرجع السابق، ص166.

(3) المرجع السابق، ص163.

(4) هرمس في المصادر العربية، مرجع سابق، ص63.

كشف جذور الفلسفات التي قامت عليها الحضارات المعاصرة[1]. وكذا تأكيد «كارل ماركس» (1818م: 1883م) على هذا أيضا[2]. ذلك لأنه لا يخفى على أحد كون «أفلاطون» أحد أهم أركان الحضارة اليونانية - إن لم يكن أهمها- وقد قالها «أفلاطون» صراحة معبرا عن ذلك في مقولته الشهيرة: «أيها الإغريق لستم سوى أطفال، لا يوجد بينكم شيوخ»[3]. مما ينبئ عن مصادر شرقية أصيلة للفلسفة اليونانية.

وهذا ما يؤكد عليه «د. مصطفى النشار» قائلا: «إن الإبداع الفكري لم يكن في أي مجال من المجالات معجزة غربية يونانية، لأن اليونانيين كانوا على أحسن الأحوال مجرد نقلة لإبداع الأمم السابقة، أجادوا النقل، وأجادوا الهضم، وأحسنوا التعبير عما نقلوه في صياغة جديدة، أبرزت شخصيتهم المستقلة»[4].

ومن المعروف أن مصر هي موطن الهرمسيات التي تمثل لب الخطاب الفلسفي لـ «أفلاطون»، وهو الذي عاش وتلقى تعليمه فيها فترة ليست بالقصيرة تعلم فيها من العلوم والأسرار، وتعلم الهرمسيات (أفكار «هرمس الحكيم»)، بل واعتنق الديانة المصرية القديمة[5]، ومن قبله «فيثاغورث» (570ق.م: 501ق.م) الذي عاش في المنطقة نفسها قبله[6].

وفي ذلك يقول «نيقولا جريمال» (ولد 1948م) «السر الأول من أسرار مصر هو استمراريتها فعند تأسيس روما عند منتصف القرن الثامن قبل الميلاد. كانت آلاف السنين قد

---

(1) يراجع في ذلك محاورات أفلاطون التي تنطق باستلهاماته من الفكر المصري القديم، ومنها على سبيل المثال: «فايدروس» و«طيماوس» و«القوانين».

(2) أبو رحمة، محمد، الإسلام والديانة المصرية القديمة، مكتبة مدبولي، مصر، ط1، 2005م، ص115.

(3) هرمس مثلث العظمة أو النبي إدريس، مرجع سابق، ص21.

(4) النشار، مصطفى، المصادر الشرقية للفلسفة اليونانية، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط1، 1998م، ص13.

(5) التي كانت على قول من الأقوال الموضوعية ديانة الصابئة التوحيدية التي اعترف القرآن الكريم بها ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:62].

(6) انظر: النشار، مصطفى، من الإبستمولوجيا إلى الفانتازيا، نيو بوك للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2017م، ص47، وكذا: هرمس مثلث الحكمة بين الأسطورة والواقع، ص16.

انقضت على وجود الحضارة المصرية على ضفاف نهر النيل وانتشر إشعاعها في العالم الشرقي حيث لم تكن الحضارة الإغريقيـة قد تخطت بعد همهماتها الأولى»[1]. وكذا يذكر «جورج جيمس» (توفي 1955م: 1960م تقريبا) في كتاب «التراث المسروق: الفلسـفة اليونانية فلسفة مصريـة مسروقـة»: أن «كليمنت السـكندري» (150م: 215م) كان يعرف في القرن الثالث الميلادي ذلك التراث المصري الفرعوني[2].

ومن القرائن على قدم تأثر الحضارة اليونانية بمعلمتها الأولى (الحضارة المصرية القديمة)؛ مـا قام بـه «مارتن برنال» (1937م: 2013م) من مقارنته بـين مدينة طيبة المصرية «الأقصر» وطيبة اليونانية «أوديب»، والتي توصل فيها إلى نتيجة فحواها أن طيبة اليونانية هي مستعمرة مصرية قديمة تعود للقرن 21ق.م تقريبا[3].

علاوة على أن الاعتقاد الشـائع هو أن العقائد اللاهوتية اليونانية - لا سيما ما يرتبط منه بالهرمسـية - هي في واقعها ترتبط بشكل واضح بالعقائد المصرية القديمة، وذلك منذ فترات بعيـدة[4]. فـ«هرمس» اسـم أطلق في وقت محـدد في الثقافة اليونانية على شـخصية يبدو أنها تسبق الثقافة اليونانية بأجيال[5].

وقد ذكر غير واحد أن أهم أسـاطين الفلاسـفة اليونانيين مثل «فيثاغورث» (570ق.م: 501ق.م) و«أفلاطـون» (428ق.م: 348ق.م) و«أرسـطو» (384ق.م: 322ق.م) وغيرهـم مـن كبار فلاسـفة الإغريق قـد أخذوا الكثير مـن معارفهم عـن الهرمسـيات[6]. وما بروز «الإسـكندرية» كعاصمة للفلسـفة في العـالم القديم فيما بعـد إلا نتاج للتـزاوج القديم بين الهرمسيات والحضارة اليونانية[7].

---

(1) المصادر الشرقية للفلسفة اليونانية، مرجع سابق، ص17.
(2) هرمس مثلث الحكمة بين الأسطورة والواقع، ص27.
(3) أثينا السوداء، ص14.
(4) هرمس الحكيم بين الألوهية والنبوة، ص210.
(5) المرجع السابق، ص5.
(6) حامد، إسماعيل، هرمس الحكيم وعلاقته بالنبي إدريس، دار مشارق، مصر، ط1، 2009م، ص140.
(7) يراجع في ذلك: تمهيد لتاريخ مدرسة الإسكندرية وفلسفتها، مرجع سابق.

كما يشير «برنال» إلى أن الولع بمصر وإلى انطباع عصر النهضة فقد جاء أساسا من شهرة مصر بكونها أول البلاد التي تأسست فيها الأسرار والتعاليم المقدسة.. لقد بحث أهل عصر النهضة عن المصادر أو أصل الحضارة، لذا فقد بحثوا فيما وراء المسيحية وروما الوثنية واليونان القديمة، لكن خلف اليونان كانت توجد مصر دائما»[1].

وليس أدل على صحة دعوانا مما جاء في كتاب «وصف مصر» للفرنسيين: أن سكان إقليم البحيرة بمصر هم الذين أسسوا مدينة «أثينا» درة تاج الإمبراطورية الإغريقية تقليدا لمدينة «سايس» إحدى أهم مدن الإقليم القديم، والمرتبطة تاريخيا وجغرافيا بعاصمة مصر القديمة «نقراطيس» (كوم جعيف الحالية بإيتاي البارود).. ولا أدل على ذلك أيضا أن «سيكروبس» (قبل 700ق.م) مؤسس أثينا من مواليد إقليم البحيرة بمصر[2].

(1) أثينا السوداء، ص280.

(2) موسوعة وصف مصر، ج24، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2003م، ص136.

المبحث الثاني

الكتب المنسوبة لـ «هرمس» (الهرمسيات)

.. أصول الكتابات الهرمسية - قبل أن تحور وتأول ويضاف إليها من آراء ومعتقدات - تمثل جوهر أقوال نبي جاء إلى الإنسانية ليرشد أرواح البشر إلى النور الحقيقي ويظل منذ القدم حتى عصرنا، بل وسوف يظل باقيا عبر العصور..

(من مقولات «علاء الدين عبد المتعال» في كتاب «هرمس مثلث الحكمة بين الأسطورة والواقع»).

المطلب الأول
ما هي الهرمسيات (متون هرمس).. وإلى من تنتسب؟

و«متون هرمس» هي كتب يطلق عليها اسم (Corpus Hermeticum) وتعد هذه الكتابات من أكثر الأمور إبهاما حول شخصية «هرمس» الأسطورية حتى أن أكثر هذه المؤلفات لا يعرف - باليقين - مؤلفها الحقيقي، ولكنها تنتسب لـ«هرمس».. والمعروف أن أكثر «الكتابات الهرمسية» خرج متأثرا بالأفكار والعقائد التي كانت ذائعة في مصر منذ القدم. وهو أمر يكاد يجمع على ترجيحه الباحثون والمهتمون بالكتابات الهرمسية[1].

والهرمسيات هذه تنسب لشخص واحد مختلف فيه وعليه في الفكر الإنساني كله، وغير متفق على كينونته، هل هو شخص حقيقي أم أسطوري؟ ويسمى «هرمس الحكيم» أو «هرمس مثلث الحكمة»[2]. وهو ينسب له كل الأعمال الحضارية التي ساعدت في إعمار

(1) هرمس الحكيم وعلاقته بالنبي إدريس، مرجع سابق، ص69، باختصار.

(2) يشكك «عبد الرحمن بدوي» في نسبة الهرمسيات لشخصية «هرمس» التي يراها أسطورية، وينظر في ذلك: بدوي، عبد الرحمن، موسوعة الفلسفة، ج2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1984م.

الأرض، فينسبون له أنه مخترع الكتابة ويسمونه كاتب الآلهة، وأنه واضع أول تقويم، وأنه أول من مدن المدن، وأول من علم الناس لبس الثياب وقد كانوا قبله يلبسون الجلود، وغير ذلك من مظاهر الحضارة، وأول من تكلم في الفلك ووضع علومه، وواضع أول لكل فنون الطب والعمارة والهندسة وغيرها، وأنه أول من بنى الأهرامات لحفظ العلوم والمعارف، فهو باختصار «له دور بارز ومؤسس لأركان الحضارة الإنسانية، في الدين والعلم والفن والفلسفة»(1).

و«هرمس» هذا يصور على أنه حكيم تارة، وعلى أنه نبي تارة أخرى، بل وصل الأمر ببعضهم إلى جعله إلها. ويجزم البعض على كونه أول رسل السماء وثالث الأنبياء بعد «آدم» و«شيث» عَلَيْهِمَاٱلسَّلَامُ المسمى في التوراة بـ «أخنوخ»، وفي القرآن بـ «إدريس» عَلَيْهِٱلسَّلَامُ، كما يجزم البعض على كونه إله الحكمة عند المصريين والذي يسمى بالإله «تحوت» أو «جحوتي» أو «توت» أو «توث» أو «طوط»، ومما ينسب إليه مجموعة من النصوص والتي تسمى بالهرمسيات (أو متون «هرمس»)، وهي مما صنفها الفيلسوف المغربي «محمد عابد الجابري» (1936م: 2010م) ضمن علوم العرفان(2)، ومنها نصوص يعتبرها البعض وحيا إلهيا. وهي والحق يقال تنطق بالوحدانية لله، وتنفي ما اشتهر عن المصريين القدماء من وثنية التصقت بهم(3).

فإنه بات مؤكدا حدوث كثير من التحريفات التي تصل أحيانا إلى حد الخرافات على النسخ الأصلية للهرمسيات، كما أن هذه الهرمسيات ولا شك قد انتشرت في كل أفكار ومعتقدات العالم تقريبا، مما يجعل لها مبررا ما، وتفسيرات ما عند كل طائفة تختلف فيه عن الأخرى.

«بل إن أفكار «هرمس» (أو الهرمسية) وما اختلطت به من خرافات بمرور الزمن تحولت إلى ما يشبه العقيدة عند بعض ممن يعتقدون في «هرمس» وما ارتبط به من أفكار

(1) هرمس في المصادر العربية، مرجع سابق، ص12.
(2) تكوين العقل العربي، مرجع سابق، ص164، وما بعدها.
(3) يراجع في ذلك: مقدمة مترجم كتاب متون هرمس، حكمة الفراعنة المفقودة، لتيموثي فريك وبيتر غاندي، ترجمة عمر الفاروق، المجلس الأعلى للثقافة، عدد257، ط1، 2002م، ص14.

وعقائـد.. ويزعم البعض أن «الهرمسـية» تحولت إلى ما يمكن أن يسـمى «ثقافة عالمية»»[1]. فإنها في الأساس قد انتقلت إلى الغرب عن طريق المتهرمسين العرب[2].

وهناك من الكتابات التي تؤكد على كون تلك الهرمسـيات إنما انتشرت في القرنين الثاني والثالـث الميلادي، وتدعي تلـك الكتابات عن الكتابات الهرمسـية أنها منسـوبة انتحالا إلى «هرمس مثلث الحكمة». ويرى «مارتن برنال» (1937م: 2013م) أن الهرمسيات تتسم بقدر من التضارب وعدم التجانس ومن المحتمل أنها تحتوي على مواد كتبت عبر فترة زمنية طويلة بدءا من القرن السادس قبل الميلاد وحتى القرن الثاني الميلادي[3].

لكن «علاء الدين عبد المتعال» يصف الفكر الهرمسي بصفتين أساسيتين:

أولا: بأنه ضارب في جذور تربة الحضارة المصرية الأقدم.

ثانيـا: أنه يمثل من الأهمية درجة جعلته مصدرا يسـتقطب الكثير من الآراء التي تأثرت بـه بل وأضافت إليه إلى الحد الذي جعـل «لاكتانس» (250م: بعد 317م) يصفه بأنه قد وصل إلى الحقيقة كاملة واعتبره من المتنبئين الملهمين[4].

وهذا ما يراه «مرسـيا اليـاد» (1907م: 1986م): «أن الأدب الهرمسي بممثليه وديكوره وأساطيره يبدو مصريا خالصا»[5].

وتنقسم الهرمسية بالإجمال إلى مدرستين[6]:

1) **الهرمسية الشعبية:** وهي تهتم بعلوم الغيب والتنجيم والفلك والسحر والعلوم الخفية.

2) **الهرمسية العلمية:** وهي تهتم باللاهوت والفلسفة.

(1) هرمس الحكيم وعلاقته بالنبي إدريس، ص137.

(2) هرمس مثلث الحكمة بين الأسطورة والواقع، ص6.

(3) المرجع السابق، ص58.

(4) المرجع السابق، ص58.

(5) المرجع السابق، ص35.

(6) انظر: هرمس مثلث العظمة أو النبي إدريس، مرجع سابق، ص9.

أهم الكتابات الهرمسية:

1) كتاب «زجر النفس».

2) كتاب «مختار حكم هرمس وآدابه».

3) كتاب «السبع كواكب السيارة».

4) كتاب «الموعظة المقدسة».

5) كتاب «موعظة في رفض الجسد وملذاته».

6) كتاب «موعظة في البرهان على وجود الله».

7) كتاب «لا شيء يفنى».

8) كتاب «المفتاح».

9) كتاب «الموعظة السرية على الجبل».

10) كتاب «العقل الكلي».

11) كتاب «موعظة عن الموحد لذاته والمكتفي لذاته».

12) كتاب «عن الفكر والحس».

13) كتاب «العلة الكبرى بين البشر هي الجهل بالله».

14) كتاب «الحكمة» الفرعوني المنسوب إلى «تحوت» أو «هرمس».

المطلب الثاني
أثر الهرمسيات في ثقافات العالم.

ومن أمثلة ذلك ما يلي:

أولا: الفكر الغربي عامة والحركات الإصلاحية خاصة يدينان للهرمسيات بالفضل

و«تمثل هذه الهرمسيات حجر الزاوية في الفكر الغربي»[1] وكل الحركات الإصلاحية في العالم، «وتكاد تكون قائمة المفكرين الذين اعترفوا بفضل «تحوت» أن تشكل موسوعة كاملة من أكبر مفكري العالم الغربي، وعلمائه وفنانيه، ومن بينهم «ليوناردو دافنشي» (1452م: 1519م)، و«مايكل أنجلو» (1475م: 1564م)، و«ألبرخت دورر» (1471م: 1528م)، و«بوتيتشللي» (1445م: 1510م)، و«روجر بيكون» (1214م: 1292م)، و«باراكيلوس» (1493م: 1541م)، و«توماس مور» (1478م: 1535م)، و«وليام بليك» (1757م: 1827م)، و«كوبيرنيكوس» (1473م: 1543م)، و«اسحق نيوتن» (1643م: 1727م)، و«ولتر رالي» (1552م: 1618م)، و«جون ميلتون» (1608م: 1674م)، و«بن جونسون» (1572م: 1637م)، و«دانييل ديفو» (1660م: 1731م)، و«شيللي» (1792م: 1822م)، وزوجته «ماري» (1797م: 1851م)، و«فيكتور هوجو» (1802م: 1885م)، و«كارل يونج» (1875م: 1961م)، كما كان أثره عميقا على «شكسبير» (1564م: 1616م)، و«جون دون» (1572م: 1631م)، وكل الشعراء الفلاسفة الذين أحاطوا ببلاط الملكة إليزابيث الأولى (1533م: 1613م)، والأعضاء المؤسسين للجمعية الملكية في لندن، وبلغ نفوذه حتى قادة الإصلاح البروتستانتي في أوروبا. والقائمة لا تنتهي»[2]. وفي هذا يقول «علاء عبد المتعال»: «وقد أثرت الهرمسية ودراستها في عدد من الكتاب والمفكرين وبخاصة في القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين إلى حد أن أصبحت الهرمسية تمثل الديانة الحقيقية لأحد كبار المفكرين ألا وهو «جيوردانو برونو» (1548م: 1600م) في القرن السادس عشر»[3].

---

(1) متون هرمس، حكمة الفراعنة المفقودة، مرجع سابق، ص14.

(2) المرجع السابق، ص14.

(3) هرمس مثلث الحكمة بين الأسطورة والواقع، ص264.

ثانيا: أثر الهرمسيات في التراث التنسكي اليهودي

والنسـق المعرفي اليهودي نسق اسـتعلائي لا يعترف لأي أحد بفضل تأثير فيه، لأنه يعتبر الكتاب المقدس مرجعية نهائية.

وبرغـم كـون «هرمس» («أخنـوخ» أو «إدريس» عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) ليس من أنبيـاء التوراة؛ فإنـه يحظى عندهم بمكانة قل أن يحوزها عندهم نبي، فالتوراة - المحرفة- لا تقدر الأنبياء بل ترميهم زورا بأفظع البهتان. وذلك بسـبب أهميته في تأسـيس الحضارة الإنسانية؛ التي يدعون - زورا- أنهم روادها؛ برغم أن «هرمس» يسـبق نزول التوراة بآلاف السنين. وحتى يتجنبوا هذا الخلط ادعوا أنه ملاك، بل رئيس للملائكة - حسـبما زعموا- في كتابتهم[1]، للتأكيد على رؤيتهـم الاسـتعلائية على باقي الأمم، وفي هـذا تقول «د. هدى درويـش»: «تتدخل الرؤية اليهوديـة لقصة «أخنـوخ» لتثبت النظرة الاسـتعلائية لليهود بتفردهـم وتميزهم على العالم أجمـع؛ فنجد الـرواة والقصاصين اليهود يقومـون بتطويع قصة «أخنـوخ» لخدمة أهدافهم، وإظهار أنهم السـادة في نهاية الزمان»[2]. هذا بالنسبة لـ «أخنوخ» أو «إدريس». أما بالنسبة لـــ «هرمس» أو «تحـوت» أو «طوط» فلابد من رؤيـة مغايرة لأنهم لو نسـبوه إليهم وهم متأخرون عنه تاريخيا وهو مرتبط بحضارة توحيدية أخري (المصرية القديمة)؛ لبطل السحر وانكشـفت الألعوبة. فالحل إذن إما أن يتجاهلوه؛ وهذا أمر مسـتحيل لعظم دوره الحضاري، الذي يحرصون على نسـبته إليهم، وإما أن ينسـبوه إلى أحد أنبياء التوراة زورا. وهو ما حدث بالفعل حيث نسبوه إلى أهم أنبياء التوراة (سيدنا «موسى» عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ)، وقالوا إن النبي «موسى» هـو «هرمس طوط»[3]. وبالتالي تم ضم هذا التصور داخل نسـيج الفكر الغربي، وخاصة في عصر النهضة، وهذا ما يؤكد عليه «المسيري» في الموسوعة حين يقول: «كان الظن السائد في عصر النهضة أن «موسى» و«هرمس» هما شخص واحد أو أن أحدهما تعلم من الآخر»[4].

(1) انظر: نبي الله إدريس بين المصرية القديمة واليهودية والإسلام، مرجع سابق، ص12.

(2) المرجع السابق، ص80.

(3) تكوين العقل العربي، ص174.

(4) المسيري، عبد الوهاب، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ج5، دار الشروق، مصر، 1999م، ص298.

ولكن بشيء من التتبع العلمي، بدون اعتراف منهم؛ يدرك الباحث المنصف أثر الهرمسية فيهم خاصة في تراثهم التنسكي، لذا قالها «مارتن برنال» (1937م: 2013م) صراحة: «اليهود بلا شك فضلات الحضارة المصرية، ولا يستطيع أي إنسان أن يقنع أحدا بأن المصريين قد أخذوا عن اليهود أي من مبادئهم سواء صالحة أم لا»(1).

وتأثر اليهودية بالهرمسية جاء من خلال التراث الشفوي اليهودي (الأجاداه)، ووثائق المخطوطات اليهودية، والكتب اليهودية غير القانونية (الأبوكريفا)، والكتب التي يسمونها بالكتب المنحولة (البسيدوجرافون)، وكذا بعض الكتب المعتمدة في أساطيرهم مثل كتاب (أساطير اليهود) للمؤلف «لويس جنزبرج» (1873م: 1953م) كذا أسفار «أخنوخ» الشهيرة، كلها تنطق بتأثير الهرمسيات فيها خاصة فيما يخص الجانب العرفاني منها.

وهذا ما قرره «وول ديورانت» (1885م: 1981م) قائلا: «إن القصص الشعبية العالمية كانت مصدرا من المصادر التي اقتبس منها أسفار العهد القديم»(2). كما يذكر: «أن معظم الآداب المصرية الأولى كانت آدابا دينية، وأقدم العقائد المصرية ترانيم نصوص الأهرام"(3). وكذلك «جيمس هنري برستيد» (1865م: 1935م) في كتابه «فجر الضمير» يقرر ذلك قائلا: «إن المصريين كان لهم مقياس خلقي أسمى بكثير من الوصايا العشر ظهر لهم قبل أن تكتب تلك الوصايا بألف سنة»، وهذا ما تؤكد عليه «د. هدى درويش» في قضية التأثير والتأثر، حيث تقرر أن القصص اليهودية بما فيها من أساطير وروايات تأثرت بحضارات مختلفة منها المصرية القديمة(4). و«إميل برييه» (1876م: 1952م) يقرر تأثيرا ما للهرمسية في الفلاسفة اليهود، وخاصة «فيلون» (25ق.م: 50م)(5).

(1) أثينا السوداء، ص286.

(2) ديورانت، وول، قصة الحضارة، مج1، ج2، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، مصر، 1958م، ص570.

(3) المرجع السابق، ج1، ص318.

(4) نبي الله إدريس بين المصرية القديمة واليهودية والإسلام، ص34.

(5) زيدان، يوسف، دوامات التدين، دار الشروق، مصر، ط1، 2013م، ص37.

ثالثا: أثر الهرمسيات في المسيحية

«لقد أثرت الحكمة الهرمسية على المسيحية أيضا من خلال آباء كنيسة «الإسكندرية» مثل «القديس كليمنت» (150م: 215م) و«القديس أوريجن» (185م: 254م) ضمن الذين أدمجوا الدين المسيحي بالوثنية، ويرجع إلى هؤلاء اللاهوتيين مفهوم العالم الذي افتتح به «يوحنا» (ولد 6م) إنجيله: «في البدء كان الكلمة»، وقد كان تحوت/ هرمس معروفا لدى القدماء بأنه» كاتب الآلهة» و«سيد الكلمة»، ففي الهرمسيات تكون كلمة الإله هي التي تبعث الهدوء في اللجة الصاخبة، كما إن الكلمة سميت «ابن الله» والمسيحية تطلق على «المسيح» «ابن الله» وأنه «تجسيد لقوة الكلمة»، وقد كتب القديس «أوغسطين» (354م: 430م) لاهوتي القرن الرابع واسع النفوذ: «إن ما يدعى الدين المسيحي، كان يوجد بين القدماء، ولم يحدث أن انعدم وجوده أبدا، ومنذ بداية الجنس البشري حتى تجسد «المسيح»، وبدا منذ ذلك الحين إطلاق اسم المسيحية على الديانة التي وجدت سلفا»(1).

وكما يقول «لويس مينار» (ولد في 1898م): «فلقد تمتعت كتب «هرمس المثلث بالعظمة» بسلطة كبرى خلال القرون الأولى من تاريخ الكنيسة»(2).

رابعا: أثر الهرمسيات في ديانة الصابئة

يقول «ت. ج. دي بور» (T.J.De Boer) (توفي 1942م): «وكان الحرانيون - أو الصابئة، وهذه التسمية التي أطلقت عليهم في القرنين التاسع والعاشر (الثالث والرابع من الهجرة) - ينسبون حكمتهم المصطبغة بصبغة التصوف والأسرار المكنونة إلى «هرمس المثلث الحكمة» (Hermes-Trismegistos) و«أغاثاذيمون» (Agathodaemon) و«أورانيوس» (Uranius) وغيرهم(3).

(1) متون هرمس، مرجع سابق، ص27.

(2) هرمس المثلث العظمة، مرجع سابق، ص15.

(3) دي بور، ت.ج، تاريخ الفلسفة في الإسلام، لجنة التأليف والنشر والترجمة، مصر، ط3، 1954م، ص20.

ويقر «عبد الرحمن بدوي» (1917م: 2002م) بأن الصورة الكلدانية (أي الصابئة) لـ «هرمس»: إنه نبي الكلدانيين (أو نبي الصابئة)[1].

كما يروي «السرخسي» (توفي 266هـ) عن أستاذه «يعقوب الكندي» (185هـ: 256هـ) «أنه نظر في كتاب يقربه هؤلاء القوم (يقصد الصابئة)، وهو مقالات لـ «هرمس» في التوحيد كتبها لابنه، على غاية من الإتقان في التوحيد، لا يجد الفيلسوف إذا أتعب نفسه مندوحة عنها والقول بها»[2].

كما يؤكد غير واحد على كون جذور الصابئة جذورا مصرية المعارف والأفكار، ومتأثرة إلى حد كبير وملحوظ بـ «هرمس» أو «تحوت» وآدابه[3]. والمتتبع للنسق الفكري لأهم فلاسفتهم «ثابت بن قرة» (221هـ: 288هـ) يدرك حجم تقديرهم لـ «هرمس» والهرمسيات[4].

وعن سر تعلق الصابئة بالهرم الأكبر وتعظيمهم له كتعظيم الحرمين؛ يذكر الإدريسي (توفي 649هـ) كونهم يعتقدون أن سيدنا «إدريس» عَلَيْهِ السَّلَامُ أو «هرمس» هو من بنى الهرم، وأن آثاره موجودة فيه إلى الآن[5].

خامسا: أثر الهرمسيات في التصوف الإسلامي

لقد أمسى من المعلوم لأهل هذا الباب؛ تأثر الصوفية - وخاصة في جانبها العرفاني- بما يعرف في الفلسفة باسم الأفلاطونية المحدثة التي نسجت خيوطها في «الإسكندرية» في القرن الثاني الميلاد، وقد نتجت هذه المدرسة عن امتزاج الفكر اليوناني بالفكر المصري القديم في «الإسكندرية»، ثم انتقلت إلى شعوب البحر المتوسط وإيران. ولم يكن هذا

(1) الأفلاطونية المحدثة عند العرب، مرجع سابق، ص41.

(2) ابن النديم، الفهرست، دار المعرفة للطباعة والنشر، لبنان، ط2، 1997م، ص444 - 445.

(3) الإسلام والديانة المصرية القديمة، مرجع سابق، ص121.

(4) متون هرمس، ص17.

(5) كشف المستور في الخبر المكنون، مرجع سابق، ص30.

الفكر المصري القديم سوى متون «تحوت» أو»هرمس» التي كانت تمثل لب الخطاب الفلسفي آنذاك[1].

وهو الأمر الذي أكده وأثبته الفيلسوف المغربي «محمد عابد الجابري» (1936م: 2010م) من أثر للهرمسيات في التصوف الإسلامي في أفكار شتى منها: «العرفان» و«الغنوصية الصوفية»، و«الفناء في الله»، و«الإشراق»، و«الخلاص»، و«وحدة الكون والترابط بين أجزائه»، و«تبادل التأثير» بينها بـ «التجاذب والتنافر»[2].

ويتجلى هذا الأثر في أشعار أئمة المتصوفة مثل: «أبو الحسن الششتري» (610هـ: 668هـ) و«ابن الرومي» (836هـ: 896هـ) غيرهما التي تنطق بأثر «هرمس» فيها[3].

«وإلى «هرمس» وكتاباته يرجع جنوح عارفي المسلمين إلى النيرنجات[4] والطلاسم والعلوم العربية التي عدت في عصر من العصور من مستلزمات العارف أو المتصوف، بل إن بعض كتب جابر ابن حيان (101هـ: 199هـ) - وهو يذكر أيضا كصوفي من نوع خاص- تذكر فضل «هرمس» عليه. وفي هذا المجال يذكر أن مزج «ذي النون المصري» (179هـ: 245م) للتصوف بالكيمياء كان من تأثير «هرمس» فيه[5]. كما كان لـ «ذي النون» دور كبير في نشر أفكار «هرمس» داخل النسق الصوفي، فكما يقول «د. عبد الرحمن بدوي» (1917م:

(1) يراجع في ذلك: تمهيد لتاريخ مدرسة الإسكندرية وفلسفتها.

(2) راجع: الجابري، عابد، تكوين العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط11، 2011م.

(3) هرمس في المصادر العربية، ص196، مرجع سابق، وما بعدها.

(4) «النِّيرَنْج» لغويًّا هي كلمة فارسية أصلها «نورنك» معناها اللون الجديد»، والكلمة لها استخدامات شتى تختلف باختلاف كل صنعة، وقد جرت العادة باستخدام تلك الكلمة عند الحديث عن السحر، وكذا الكيمياء التي جرت عادة القدماء على وصفها بالسحر أيضًا، وأحيانًا كثيرة ما يخصص «النِّيرَنْج» عند ذكر النِّيرَنْجات الأربعة المشهورة، وهي نِيرَنْجُ النار ونِيرَنْجُ الهواء ونِيرَنْجُ الماء ونِيرَنْجُ التراب. و«النِّيرَنْج» كما يقول بعض الصوفية: منها الضار وهو السحر ومنها النافع كالكيمياء كمثل ما يقال عن عالم الكيمياء «جابر بن حيان» (ينظر في اعتبار النيرنج من السحر إلى: الأعلام للزركلي، ج5، في ترجمة الشاعر «كعب بن ذي الحبكة النهدي»).

(5) شتا، إبراهيم الدسوقي، التصوف عند الفرس، دار المعارف، مصر، 1978م، سلسلة كتابك، رقم62، ص12.

2002م): «انتقـل تأثيره - أي «هرمس»- على الصوفية عن طريق ذي النون المصري خصوصا في فكرة استخدام «الروح» في مقابل «العقل»، في إدراك المسائل الإلهية»[1].

أما عن «الإشراقية الإسلامية» فكبير الإشراقيين «السهروردي المقتول» (549هـ: 586هـ) يقـرر مكانة «هرمس» في باب الحكمة الإشراقية[2]. ناهيك عن حضور الهرمسـيات وبقوة في كتابات «ابن عربي» (558هـ: 638هـ) سواء في «الفتوحات المكية» أم في «قوت القلوب».

سادسا: أثر الهرمسيات في الفكر الشيعي

فكما يقول الأب «فستوجير»: «وكان أول المسلمين الذين اعتنقوا أو آمنوا بالهرمسيات هم من الشيعة الذين يرون أن التاريخ دوري»[3].

ومما يدل على التأثير الهرمسي في الفكر الشيعي- على سبيل المثال- فكرة «الطباع التام». فكما يقول «د. إبراهيم الدسـوقي شتا» (1934م: 1998م): «ولعل أهم الأفكار التي تسربت إلى العرفـان الإيراني منذ القرن السـادس - وكان من المشـهور إلى عهد قريـب أنها من تأثير الإسـماعيلية - فكرة الاعتقاد بأن هناك هاديا سماويا يساعد السالك في الوصول إلى الحقيقة، وفي النهاية يتحد به السالك، فهذا الهادي هو نفس «حي بن يقظان» ابن سينا (370هـ: 427هـ)، والشاهد في السماع عند عارفي القرن السابع والمرشد عموما عند كل الطرق الصوفية، وكان يسمى عند «هرمس»: «الطباع التام»[4].

ويقـول أيضـا: «وهنـاك فكرة أخـرى من الهرمسـية سـادت الفكر الشـيعي وخاصة الإسماعيلي، وتسربت إلى العرفان، وهي فكرة المطابقة التامة بين العالم الصغير (أي الإنسان) والعالم الكبير (أي الكون)»[5].

(1) هرمس في المصادر العربية، ص152.

(2) النشار، علي سامي، ديموقريطس فيلسوف الذرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط1، 1996م. ص465.

(3) هرمس في المصادر العربية، ص152.

(4) التصوف عند الفرس، مرجع سابق، ص13.

(5) المرجع السابق.

سابعا: أثر الهرمسيات في الماسونية

يقول «عبد الوهاب المسيري» (1938م: 2008م): «وقد اختلطت فلسفة البنائين بالفلسفة الهرمسية السائدة في عصر النهضة في انجلترا، وهي فلسفة غنوصية ذات طابع أفلاطوني حديث ارتبطت بـ «هرميس تريسميجيستوس»، وهو شخصية رمزية أساسية في الفكر الغنوصي حيث كان يعد نبيا قبل المسيحية، وكان يعد رسول الآلهة للبشر ويحمل المعرفة الخفية الباطنية (الغنوص).. كما اختلطت فلسفة البنائين بالحركة الروزيكروشيانية التي ورد أول ذكر لها في القرن السابع عشر، وهي جماعة غنوصية تدعي الحكمة الخفية عند القدماء»(1).

ومراجعة بسيطة لأحد أهم مراجع ما يسمى بالصوفية الماسونية: كتاب «الصوفيون» لـ «إدريس شاه»، نجد أن الماسونية في شقها الصوفي تخلط بين الأسرار المصرية القديمة والفن الأسود والهرمسيات فنيًا لدراسة التعاليم الخفية، وذلك في حضور مثير للسيمياء والروزيكروشيانية كما يصرح المسيري(2).

نتيجة:

لقد بان جليا لكل ذي وعي عظم اثر شخصية «هرمس» في أهم الأفكار - تقريبا- في كل أنحاء العالم القديم والحديث، حتى باتت الهرمسية عند البعض فتنة، حيث اتخذوها عقيدة، واتخذوا متونها (بما فيها من تحريف) وحيا ينطق لهم بما تمليه عليهم الأهواء.

وعلى ذلك فإن «العقيدة الهرمسية المزعومة تجعل من «تحوت المصري» المؤلف الحقيقي لكل الأفكار التي اكتشفها العقل الإنساني. بل أن أتباع الهرمسية كانوا يعتقدون إن «تحوت» أو «هرمس المصري» هو أب لكل أنواع الحكمة والاختراعات، وكذلك التشريعات والعقائد الدينية، وأن كل ما اكتشفه الإنسان وكتبه ما هو إلا أفضال «هرمس»»(3).

---

(1) المسيري، عبد الوهاب، اليد الخفية، دار الشروق، مصر، ط3، 2005م، ص121.

(2) شاه، إدريس، الصوفيون، ترجمة: بيومي قنديل، المركز القومي للترجمة، مصر، ط3، 2016م، ص313، وص323 - 327.

(3) هرمس الحكيم وعلاقته بالنبي إدريس، مرجع سابق، ص139.

ولا يشـك باحث منصف في كون شخصية «هرمس الحكيم» هي أكثر شخصية تناولتها الأقلام في التاريخ الإنسـاني كله، وذلك لعظم أثره وتأثيره في كل الفلسفات المعاصرة تقريبا، ومن قبلها كل الديانات السماوية، بل وغيرها أيضا.

مـع العلـم أن الخوض في بحار الهرمسـيات و كذا بحار شـخصية «هرمس» ليس بالأمر اليسـير كما قد سلف بيانه، لأنه «شـخصية كثرت آثارها وقلت أصولها، كما قل البحث عن مصادرها»[1].

(1) هرمس مثلث الحكمة بين الأسطورة والواقع، ص11.

المبحث الثالث

الارتباط بين «هرمس» و«تحوت» و«أخنوخ» والنبي «إدريس»

.. اختلفت مسميات «إدريس» عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وألقابه باختلاف الشعوب والترجمات.. غير أن جميع المسميات تلك ترمز إلى شخص واحد وهو النبي «إدريس» عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ..

(من مقولات «د. هدى درويش» في كتاب «نبي الله إدريس بين المصرية القديمة واليهودية والإسلام»).

أولا: العلاقة بين «أخنوخ» والنبي «إدريس»

قد تواترت الآثار على التطابق التام بين شخصيتي «أخنوخ» والنبي «إدريس» عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ومن ذلك ما ذكره «رءوف أبو سعده»: «أما «أخنوخ» - لغة - هي «إدريس» فقد علمت أن الإدريس هو الدارس الحاذق. وأما «أخنوخ» فأصلها العبري (حنوك)، التي تنطق كافها خاءا، طبقا لقواعد النطق في العبرية التي تنطق الكاف خاء إذا تحرك أو اعتل ما قبلها، فهي عندهم (حنوخ) عربها العرب إلى (أخنوخ). وأما معنى (حنوك) العبرية هذه فهي على المفعولية من الفعل العبري (حنك) على معنى (حنكة) العربي، أي فقهه وثقفه وعلمه، فهو المحنك المحنوك، وقد جاءت «إدريس» في القرآن على الترجمة لا غير»[1].

وفي هذا المقام تجدر الإشارة إلى رواية الإمام «ابن حبان» (883م: 965م) في صحيحه حيث يروى عن أبي ذر أن النبي ﷺ قال: **«يا أبا ذر أربعة سريانيون آدم وشيت ونوح وأخنوخ وهو إدريس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وهو أول من خط بالقلم، وأربعة من العرب هود وصالح وشعيب ونبيك محمد يا أبا ذر»**[2].

---

(1) من إعجاز القرءان، مرجع سابق، ج1، ص7.
(2) أخرجه ابن حبان في صحيحه، (2/ 77).

ثانيا: العلاقة بين «هرمس» والنبي «إدريس»

رغم أن «مارتن برنال» (1937م: 2013م) يرفض وجود أي صلة بين «تحوت المصري» و«هرمس مثلث الحكمة»[1]. فإنه يقر في بحثه عن جذور الهرمسية داخل كتابه المشهور بـ «أثينا السوداء» بحقيقة تاريخية ربما هو لها من الناقدين، وذلك في قوله: «أما في الإسلام فقد تم تشخيص «هرمس المثلث بالعظمة» وتوحد - معرفيا - مع النبي «إدريس» الذي ظهر في القرآن. وقد كان «إدريس» يعامل بشكل تقليدي على أنه أب لكل الفلاسفة، وهو الذي أوقفت عليه الحكمة ثلاثا»[2].

ويقرر «د. علاء الدين عبد المتعال» في خاتمة الدراسة التي نال بها درجة الدكتوراه: «أن أصول الكتابات الهرمسية - قبل أن تحور وتأول ويضاف إليها من آراء ومعتقدات - تمثل جوهر أقوال نبي جاء إلى الإنسانية ليرشد أرواح البشر إلى النور الحقيقي ويظل منذ القدم حتى عصرنا، بل وسوف يظل باقيًا عبر العصور[3]. ويذكر عن المؤرخين العرب حقيقة كون أغلبهم قد رجح أن يكون «هرمس مثلث الحكمة» هو النبي «إدريس» عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ[4].

ومنهم على سبيل المثال: «الشهرستاني» (476هـ: 548هـ) في «الملل والنحل» حيث عد «هرمس» من الأنبياء الكبار وأنه «إدريس» عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ. و«القفطي» (568هـ: 646هـ) الذي اعتبر «هرمس مثلث العظمة» هو النبي «إدريس»[5]

و«المرتضى الزبيدي» (1145هـ: 1205هـ) في معجمه «تاج العروس من جواهر القاموس» يقول: «هرمس كزبرج»: اسم علم سرياني. و«هرمس الهرامسة»: يعنون به سيدنا «إدريس» عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ»[6].

---

(1) هرمس مثلث الحكمة بين الأسطورة والواقع، ص36.

(2) أثينا السوداء، ص270.

(3) هرمس مثلث الحكمة بين الأسطورة والواقع، ص264.

(4) المرجع السابق، ص49.

(5) القفطي، علي بن يوسف، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2005م، ص2 - 6.

(6) الزبيدي، مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، مادة «هرمس».

و«ابـن صاعد الأندلـسي» (419هـ: 462هــ) في «طبقات الأمم» يقـول عن «هرمس»: «وهو «إدريس» النبي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ»[1].

و«ابـن أبي أصيبعة» (600هــ: 668هـ) في «عيـون الأنباء في طبقات الأطبـاء»، و«القفطي» (476هــ: 548هــ) في «إخبار العلماء بأخبـار الحكماء»، و«المبشر بن فاتـك» (توفي بعد 445هــ) في «مختـار الحكـم ومحاسـن الكلم»، و«ابـن جلجل» (333هـ: بعـد 377هـ) في «طبقـات الأطباء والحكـماء»، و«ابن الأثـير» (555هـ: 630هـ) في «الكامل في التاريـخ»، و«ابن ذولاق» (306هـ: 387هــ) في «فضائل مـصر وأخبارها وخواصها»، و«المقريزي» (764هــ: 845هـ) في «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار»، و«ابن بطوطة» (703هـ: 779هـ) في رحلاته، وغيرهم كثير.

والإمـام «ابـن كثير» (700هـ: 774هـ) ذكر الارتباط ولم ينتقـده، لكنه انتقد ما ألصق به من تحريفات كما حدث مع غيره من الأنبياء؛ حيث يقول عن سـيدنا «إدريس» عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «ويسمونه «هرمس الهرامسة»، ويكذبون عليه أشياء كثيرة كما كذبوا على غيره من الأنبياء والعلماء والحكماء والأولياء»[2].

عـلاوة على أن قدماء المؤرخين العرب قد رجحوا أن «هرمس مثلث العظمة» هو النبي «إدريـس» عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مثلـما فعل «الشـهرزوري» (توفي بعـد 687هـ) مسـتندا إلى «البلخي» (787هـ: 886هـ) و«القفطي» (476هـ: 548هـ) و«ابن النديم» (توفي 438هـ)[3].

ثالثا: العلاقة بين «هرمس» و«أخنوخ»

وقد ورد في كتاب «تاريخ مختصر الدول» لغرغوريوس الملطي المعروف بـ«ابن العبري» (623هــ: 685هـ) أن الأقدمـين من اليونانيين يزعمون أن «أخنـوخ» هو «هرمس» ويلقب «طرسـيمي حبيسطس» أي «ثلاثي التعليم» لأنه كان يصف الباري تعالى بثلاث صفات ذاتية هي الوجود والحكمة والحياة»[4].

---

(1) الأندلسي، ابن صاعد، طبقات الأمم، دار المعارف، مصر، تحقيق: حسين مؤنس، 1993م، ص29.
(2) البداية والنهاية، ج1، مرجع سابق، ص99.
(3) هرمس مثلث الحكمة بين الأسطورة والواقع، ص67.
(4) هرمس الحكيم بين الألوهية والنبوة، ص187.

رابعا: العلاقة بين «تحوت» و«أخنوخ»

من المعروف أن كلمة «أخنوخ» هي الكلمة التي ترجمها العرب من الاسم التوراتي «حنوك أو حنوخ». وفي المصرية القديمة «حنوك» يعني المقرب، أو الخليل، أو المنعم عليه[1]. ويرجع قدماء المصريين هذا الاسم إلى الكائن الإلهي «تحوت»، وقد كان مقدسا عندهم، وهو «هرمس». وفي التراث الإسلامي أن من ألقاب النبي «إدريس» عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، حنوك[2].

خامسا: العلاقة بين «هرمس» و«تحوت المصري»

لن يبلغ المرء باستخدام قليل من البحث؛ كثير من الجهد في إثبات العلاقة بين كل من «هرمس» و«تحوت المصري». وذلك لتواطؤ كتب التاريخ القديم - المصرية واليونانية- على ذلك لدرجة بلغت عند الكثير منهم الارتباط التام. وقد قرر «د. عبد الحليم نور الدين» هذا الارتباط[3]. وما تسمية مدينتي «تحوت» (دمنهور و«الأشمونين») بهرموبوليس (أي مدينة «هرمس») إلا دليل على ذلك.

وبالرجوع إلى المؤلفات المعتمدة في علم المصريات، فلن تجد غير الترابط التام بين الاسمين، ومنها على سبيل المثال لا الحصر كتاب «آلهة مصر» لـ«فرانسوا دیماس» (1915م: 1984م)، وليس أدل على هذا الارتباط مما ذكره عن دعاء الكتبة لتحوت قائلين[4]:

«يا «تحوت»! ضعني في هرموبوليس.................

مدينتك التي يحلو فيها العيش......................

هل يمكن أن يكون «تحوت» خلفي في الصباح ....

احضري أيتها الكلمة المقدسة ....

---

(1) قاموس بدوي وكيس، ص161.

(2) نبي الله إدريس بين المصرية القديمة واليهودية والإسلام، ص89، نقلا عن دائرة معارف البستاني.

(3) نور الدين، عبد الحليم، اللغة المصرية القديمة، ط8، بدون دار نشر، مصر، ص310.

(4) دیماس، فرانسوا، آلهة مصر، ترجمة: ذكي سوس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1998م، ص83.

يا «تحـوت»! أيها النبـع العذب للإنسـان ....

الـذي أصابـه العطـش في الصحـراء ....»

ولكـن الإشـكالية في تقرير أسـبقية أي منهما على الآخـر في التأثير المعرفي والفلسـفي واللاهوتي على الآخر، حيث يتنكر كثير من الغربيين لأسبقية «تحوت المصري» على «هرمس اليوناني» لسبب عرقي متعصب لا يخفى على منصف ومنهم «فيستوجيير» و كذا « كازوبون» (عاش 1610م)[1].

فالتسـليم بأسـبقية «تحوت» يعني المرجعية الحضارية للحضارة المصرية القديمة، ويفتح البـاب أيضا لنفـي الوثنية المطلقة عن المصريين القدماء، وبالتالي يسـحب البسـاط من تحت أقدام التوراة كمرجعية نهائية، ومن ثم التسـليم بكون المعارف والعلوم الإنسانية مصدرها مرجعية نبوية في السياق الإسلامي[2].

ومن أصـدق عندهم مـن الكاهن الأفلاطوني الشـهير « كليمنت السـكندري» (150م: 215م) - وهو أحـد المرجعيات المعتبرة في الحضارة اليونانية، وهو الأعلم بالحضارة المصرية لقربـه الزمـني والمكاني منها- الذي أعلـن في نهاية القرن الثاني الميـلادي: أن «تحوت» مخترع الكتابـة الهيروغليفية ومؤلف النصوص الأساسـية للحكمة المصريـة القديمة هو أصل الإله اليوناني «هرمس»[3].

(1) أثينا السوداء، مرجع سابق، ص256، هرمس مثلث الحكمة، مرجع سابق، ص16.

(2) وفي هذا السياق يتساءل ماجد الصعيدي عن إشكالية يلخصها السؤال التالي: كيف تكون ملامح هذه الشخصية الموغلة في القدم بهذا الاستواء والاكتمال الحضاري والنضج في التجربة الإنسانية؟. وفي الإجابة عن هذا السؤال تفسير لرؤية الثقافة العربية لمسار الحضارة الإنسانية ونشأتها؛ هذه الرؤية المتميزة والتي تختلف جذريا عن الرؤية الغربية الحديثة التي درست نشأة الحضارة الإنسانية من منظور تطوري ارتكز على ما جاء في الكتاب المقدس من تاريخ تم تفسيره بشكل متحيز ودون موضوعية أو حياد، ليصب في اتجاه المقولة اليهودية بأنهم شعب الله الذي عرف - قبل غيره - فكرة التوحيد. لذلك قرأ المؤرخون الغربيون في العصر الحديث الحضارة المصرية بوصفها حضارة وثنية (هرمس في المصادر العربية، ص63).

(3) معجم آلهة مصر القديمة، مرجع سابق، ص6.

ومـن أعلم عندهم من «أفلاطون» (428ق.م: 348ق.م) وهو يقدم «تحوت» في محاورته الشـهيرة «فايـدروس» على أنـه أول من اخـترع الأرقام والحسـاب والهندسـة وعلم الفلك وحروف الكتابة[1].

وفي هذا يقول «فرانسـوا ديماس» (1915م: 1984م): وقـد اهتم «أفلاطون» عند مروره على «هرموبوليس» (دمنهور) - التي كانت على مسافة قصيرة من «نو كراتيس» (كوم جعيف القريبة من إيتاي البارود)- بالإله «تحوت» الذي جعل منه بعد ذلك بزمن الشخصية الأولى في الأسطورة التي بلغت حد الجمال والتي أدمجها في محاورته المسماة «فيدرا» أو (فايدروس)[2].

كـما ورد في «دائرة معـارف الأخلاق والدين» أن «هرمس» تمجيد لشـخصية «تحوت المصري»[3].

ولعـل في خاتمة دراسـة «د. علاء الدين عبد المتعال» (هرمـس مثلث الحكمة بين الواقع والأسـطورة) ما يمكن أن يفصل في هذا، حيث إنه أثبت نسبة «هرمس» إلى «تحوت» وليس العكس، عن طريق نقده لخطاب «مارتن برنال» (1937م: 2013م) في كتابه (أثينا السـوداء) محققا البعد التاريخي في ذلك.

سادسا: ضعف الارتباط بين «هرمس المصري» وأساطير «هرمس اليوناني»

أسطورة «هرمس» اليونانية:

تـبرز لبعـض الباحثـين في الأفق المقارن إشـكالية كبـيرة تتلخص في صـورة «هرمس» اليونانية التي تتعارض مع صورة «هرمس مثلث الحكمة» عند المؤرخين العرب، الذين ينظر كثـير منهم إليـه على أنه صورة من النبـي «إدريس» عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ. خاصـة وأن صورة «هرمس اليونـاني» ذات الطابع الأسـطوري الواضح هي الأشـهر من صورة «هرمـس العربي»، رغم الاختلاف الواضح بين كل من الشخصيتين.

---

(1) راجع: رسائل توت في الحكمة والفلسفة، مرجع سابق، ص4.

(2) آلهة مصر، مرجع سابق، ص116.

(3) مادة «هرمس».

فقد ورد في «دائرة المعارف البريطانية» «برتانيكا» في مادة «هرمس»: «إله إغريقي، ابن «زيوس» و«مايا»، ويتمثل غالبا مع الإله الروماني «عطارد» ومع «كاسميلسوس» أو «كاديلوس»، واحد من «الكابيري»، ومن المحتمل أن اسمه قد اشتق من (هيرما)، وهي كلمة إغريقية تعني كومة من الحجارة، كالتي كانت تستخدم كحدود لبلد أو علاقة أو مجموعة حصى. ومن الممكن أن «أركاديا» كانت المركز الأول لانطلاق دينه، حيث اشتهر «جبل سيلون» بأنه مسقط رأسه. وهناك كان يعبد بشكل خاص كإله الخصب، وكانت صورة «فالوسيه» (ترمز إلى الاستيلاء). وترافق «هرمس» في الأدب والدين معا، مع حماية الماشية والغنم، كما ارتبط بشكل وثيق بآلهة النباتات، وخاصة «بان» (إله الغابات والمراعي والرعاة عند الإغريق) (ونيفس) (الحواري، أو إحدى إلاهات الطبيعة). وعلى أية حال، فإنه يظهر في «الأوديسا» كرسول الآلهة الذي يصل بين الرأس والحارس (مثوى الأموات). وكان أيضا إله الأحلام، ولذلك كان الإغريقيون يقدمون إليه الإراقة (الشراب) الأخيرة قبل الخلود للنوم. وكرسول، أصبح أيضا إله الطرقات والمداخل، فكان يحمي المسافرين، أما ما يعثر عليه من كنوز فكان هدية منه، كما كان يُعزى إليه كل حظ حسن. وهذا المفهوم ودوره الإلهي في الكسب، والشرف أو الرذيلة، يستمد بشكل طبيعي من شخصيته كإله الخصب. وفي مجالات كثيرة كان «هرمس» مثيلا لـ «أبوللو» فكان نصيرًا للموسيقى، وقد نسب إليه اختراع القيثارة، كما كان إله الفصاحة. وأصبح يترأس بعض أنواع التكهنات (التنبؤات) الشعبية. كان الرقم المقدس لـ «هرمس» هو (أربع)، واليوم الرابع من الشهر هو يوم ميلاده. أما في الفن القديم، منفصلا عن شكله المحدد كإله، فقد صور رجل كامل النمو، ذو لحية، وبرداء طويل وقلنسوة وحذاءين مجنحين. وفي بعض الأحيان كان يمثل بشخصيته الرعوية حاملا خروفا على كتفيه، وأحيانا أخرى يظهر كرسول الآلهة (كيري كيون)، أو كنذير أو بشير وهذه كانت الصفة الأكثر تكرارا فيه. ومنذ نهاية القرن الخامس بعد الميلاد، أصبح يصور شاب عار بدون لحية، شاب رياضي»[1].

(1) مادة «هرمس».

غراميات «هرمس» ونزواته:

أمـا عن غراميـات ذاك الإله المزعوم في الميثولوجيا الإغريقيـة؛ فحدث ولا حرج. فقد ورد في «موسـوعة لاروس لميثولوجيـا العـالم» بعض مـن غرامياته ونزواتـه، وهذا نصها: «نسب إلى هذا الإله مغامرات حب عديدة، فقد أنجب ولدا من «شيون» دعى «أنتوليكوس» أظهر ميلا متميزا لسرقة أي شيء يريده دون أن يكتشـف ذلك. واشـترك «هرمس» في بعثة «أركومانوس» وخدع «أنتوليكوس» ابنة «أنتيلكيا» بأن جمعها مع «سيسيلون» الذي عرف أيضا بحيله الماكرة.

وأعتقـد «أثينـا» أن «هرمس» قـد أحب «هيرس» إحـدى بنات «سـيكرويس»، وقد أنجبـت لـه البطل «سـيفالوس»، كما قيـل بأنه أنجب مـن «أكليروس» وهي ابنـة أخرى لـ «سيكرويس» ولذا سمي «سيراخ» وهو أول كاهن ورسول لـ «أليسيس»، وكان الموضوع نفسه أيضا مرتعا لمغامرة أخرى اشترك فيها «هرمس» مع «دينيفرا» الذي يبدو أيضا أنه اسم لقب شـعائري «بيرسـيفون». وقد ظهر عند ولادة البطل الذي سمي «إليسيوس»، كما ذكر «بينيلوب» وذلك عند خيانتها لـ «أوديسيوس» أو قبل زواجها منه.

لقد كان «هرمس» دائما يؤول بكل بسـاطة الإرادة الإلهية، فمثلا منح الأسلحة للأبطال عندما أعطى «بيرسـوس» خـوذة الجحيم، وأعطى «فرينكوس» و«هيـلي» الكبش صاحب الصـوف الذهبـي ليحملهـا في الجـو. وكلفه زيـوس بقتل «أركو» سـجان «أيـو» ومرافقة الإلاهات الثلاث إلى مسـابقة الجمال على جبل «إيدو» وفوق ذلك، فقد كان «زيوس» ممنونا منه لانتصاره على «إيفيوس» وعزا «إفيس» حريته إليه»[(1)].

الرأي الراجح:

لكـن «علاء عبد المتعـال» يعلق على هذا الإشـكال قائلا: «على الرغم مـن المكانة التي منحها له اليونانيون فإن أعماله تختلف اختلافا تاما عن الشـخصيات التي ذكر المؤرخون أنها أقدم وجودا - فكرا - وتراثا أو شخصية - فإنها ذات طابع أسطوري واضح المعالم. «فهرمس

(1) هرمس الحكيم بين الألوهية والنبوة، ص215.

اليوناني» هو ابن كبير الآلهة «زيوس» في الأساطير اليونانية من «مايا» ابنة «أطلس» واسمه يعني الرسول لهذا كان رسول الآلهة لاسيما أبيه «زيوس» كان يحميه بحماس منقطع النظير حتى في المهام المخزية، وكان يسهم في جميع الأعمال على أنه خادم الآلهة يحمل الكثير من الصفات والخصائص المعقدة والمتشابكة والمتنوعة. فهو المسئول عن زيادة النسل في عالم الحيوان، وهو رب الثروة وإله التجارة والمسافرين، وإله الريح الذي يتحرك بسرعتها. كما أنه يرعى الرياضيين، كما أنه يهتم بالسلام والحرب ومراسلة الآلهة وغرامياتها، والشئون الداخلية، واللصوص. وهو الذي يعد موائد الخالدين بالطعام الرباني، ويرأس المباريات والمحافل، ويستمع إلى الخطب، ويرد عليها، ويقود أرواح الموتى إلى الدار الآخرة بعصاة الآلهة ويعود بها إلى الأرض. ولا يمكن أن يموت أحد قبل أن يقطع هرميس قطعا باتا الوشائج التي تربط روحه بجسده»[1].

ثم يقرر أنهما منقطعا الصلة فيما بينهما: «وهذه الشخصية» لـ «هرمس» اليوناني» لا تمت لشخصية «هرمس مثلث الحكمة» الذي هو مجال هذا البحث ولكننا يمكن أن نجد تصورا يونانيا لـ «هرمس» المصري بأن وحدوا بين «تحوت» (الإله المصري القديم) والإله «هرمس» ووصفوه بأنه مخترع علم الفلك وعلم التنجيم وعلم الهندسة والرياضيات بعامة. وقالوا عنه أول من نظم الدين والدولة كما أطلق عليه اليونان اسم «المعظم ثلاث مرات» لأنه وضع القواعد التي تنظم عبادة الآلهة كما وضع لهم التراتيل والترانيم والصلوات. باختصار كان «تحوت» هو واضع كل فرع من فروع المعرفة الإنسانية والإلهية معا»[2].

سابعا: مبالغات الأساطير ليست حجة على التاريخ

ومن أشد الناس حماسا لإثبات التعارض بين «هرمس اليوناني» والنبي «إدريس» هو «إسماعيل حامد» في كتابه «هرمس الحكيم وعلاقته بالنبي «إدريس»، حيث إنه يرفض الارتباط على أساس أن «هرمس اليوناني» يذكر في أساطير الإغريق على أنه سارق وراع

(1) معجم الديانات وأساطير العالم، ج3، مرجع سابق، ص136.

(2) المرجع السابق، ج1، ص32.

لقطاع الطرق واللصوص، فكيف يكون هذا على علاقة بنبي يوحى إليه، وذلك في قوله: «وتعطي هذه الأسطورة القديمة صورة واضحة عن معالم شخصية «هرمس» وما تمتعت به من تناقضات عديدة، بين كون «هرمس» رسول الآلهة عند اليونان، ورب الطرق والتجارة، وكذلك المسافرين. وكان - في ذات الوقت - رب اللصوص وأمير المحتالين»[1].

وقد قال في خاتمة دراسته عن (هرمس الحكيم وعلاقته بالنبي «إدريس»): «ولا ندري كيف تحدث كبار المؤرخين العرب عن «هرمس» و«إدريس» عَلَيْهِ السَّلَامُ كأنهما شخصية واحدة بمثل هذه الأريحية في القول، ودون البحث عن هوية «هرمس» الحقيقية الذي لم يكن إلا شخصية يونانية أسطورية، فكان «هرمس» ابنا لزيوس - كبير آلهة اليونان - من زوجة تدعى «مايا».

وكان «هرمس» رسول آلهة اليونان، وكان حاميا للطرقات، والتجار والمسافرين، كما كان يعد حاميا للصوص وراعيا للمحتالين لأنه يوم ميلاده - حسب الميثولوجية اليونانية - سرق خمسين رأسا من قطيع أخيه «أبوللو»[2].

ووجه النقد لتصور «إسماعيل حامد» هنا في التعويل على نفي علاقة سيدنا «إدريس» بـ «هرمس الإغريقي»، لأن المعروف عن الفكر اليوناني القائم على الأساطير؛ المبالغة والتضخيم للشخصيات العظيمة، وتلك هي بصمتهم التاريخية، وكذا هي لغة الأساطير عندهم.

وفي ذلك يقول «أحمد غسان سبانو» في محاولة إثبات فرضيته التي تقوم على أن «هرمس» ينتمي للشرق لا للغرب: «أما ما قيل عن أن أصله من أركاديا من جبل «سيلون» فإن هذا يعني انتشار ونشأة الاعتقاد به حسب الاعتقادات اليونانية وهو لا يؤثر على افتراضنا»[3].

وهل نسى الأستاذ «إسماعيل حامد» **أن كثيرا من الأنبياء قد اتهموا في كتب يقال عنها أنها مقدسة بأفظع من ذلك.** فهل تلك الاتهامات تصلح لاتخاذها كحجة لنفي وجودهم كأشخاص

(1) هرمس الحكيم وعلاقته بالنبي إدريس، ص9.
(2) المرجع السابق، 132.
(3) هرمس الحكيم بين الألوهية والنبوة، ص9.

حقيقيين؟.. ولعل منهج «ابن كثير» (700هـ: 774هـ) في قوله عن سيدنا «إدريس» الذي يستخدمه «أ. إسماعيل حامد» للتدليل على وجهة نظره؛ هو الفيصل في القضية.. حيث إن الإمام «ابن كثير» قد ذكر الارتباط ولم ينتقده، لكنه انتقد ما ألصق به من تحريفات كما حدث مع غيره من الأنبياء؛ حيث يقول عن سيدنا «إدريس» عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «ويسمونه «هرمس الهرامسة»، ويكذبون عليه أشياء كثيرة كما كذبوا على غيره من الأنبياء والعلماء والحكماء والأولياء»[1].

وأخيرا: الخلاصة

تجمل «د. هدى درويش»[2] الأمر في خاتمة بحثها العلمي المتمحور حول السياق نفسه بأن كل هذه المسميات تدل على النبي «إدريس» عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فتقول: «اختلفت مسميات «إدريس» عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وألقابه باختلاف الشعوب والترجمات، حتى قاربت العشرين اسما، أشهرها «إدريس» عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الوارد في القرآن الكريم الذي يعني الدارس والمتعلم، و«حنوخ» في العبرية، و«أخنوخ» في ترجمات العهدين القديم والجديد (الإنجيل والتوراة) و«هرمس الحكيم» في المصرية القديمة واليونانية، غير أن جميع المسميات تلك ترمز إلى شخص واحد وهو النبي «إدريس» عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ»[3].

(1) البداية والنهاية، ج1، ص99.

(2) رئيس قسم الأديان المقارنة بجامعة الزقازيق.

(3) المرجع السابق، ص255.

الفصل الثاني

سيرة ومسيرة النبي إدريس

..«إنه لما ولد «إدريس» عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أوكل الله له ملائكة يحفظونه من «ابليس» ومن معه من جنود. وقد ظهر - آنذاك - كوكب من كواكب الذوائب أقام ظاهرا نيفا وثلاثين يوما. وقد علمه أبوه (يارد) الصحف المقدسة، وقد نشأ «إدريس» حريصا على دراستها وكذلك كان كثير الصوم والصلاة حتى شب فنبأه الله على رأس أربعين سنة»..

من مقولات المؤرخ «المسعودي» في كتاب «أخبار الزمان» فيما لم يقطع بصحته عن نبي الله «إدريس»).

الفصل الثاني

سيرة ومسيرة النبي إدريس

المبحث الأول

آثاره وزمانه وديانته

.. أفضل ما خلق الله سبحانه وتعالى في هذا العالم الناس.. وأفضل ما في الناس العقل.. وأفضل أمور العقل تدبر صاحبه بالعدل و كف نفسه عن الذنوب.

(من حكم النبي «إدريس» كما وردت في كتاب «مختار الحكم ومحاسن الكلم «للمبشر بن فاتك»).

أولا: رسالته وأعماله

عندما يذكر اسم سيدنا «إدريس» النبي المصري الذي سكن صعيد مصر؛ سيذكر معه ترافقا أنه نبي من أولي العزم، وأنه أول نبي بعد آدم على قول الجمهور، وأنه أول من حاك الثياب، وأول من كتب بالقلم، وأول من مدن المدن وأول من نظر في النجوم.. إلخ.

وتخبر عنه النصوص التاريخية بأنه: «دعا إلى دين الله، والقول بالتوحيد، وعبادة الخالق، وتخليص النفوس من العذاب في الآخرة بالعمل الصالح في الدنيا، وحض على الزهد في الدنيا، والعمل بالعدل، وأمر الناس بصلوات ذكرها لهم على صفات بينها، وأمرهم بصيام أيام معروفة من كل شهر، وحثهم على جهاد أعداء دينهم، وأمرهم بزكاة الأموال معونة للضعفاء، وغلظ

عليهم في الطهارة من الجنابة، وحرم المسكر من كل شيء من المشروبات، وجعل لهم أعيادا كثيرة في أوقات معروفة، وقرابين، منها دخول الشمس رؤوس البروج، ومنها رؤية الهلال، وكلما صارت الكواكب في بيوتها وشرفها وناظرت كواكب أخرى»[1].

وكما يقول العلامة «د. عبد الوهاب النجار» (1862م: 1941م): «وكانت له مواعظ وآداب، استخرجها كل فرقة بلسانها، تجري مجرى الأمثال والرموز»[2].

العمق الحضاري لرسالته، وسبقه في التمدن الدنيوي:

«ولقد أقام «إدريس» بمصر - ومن معه - يدعو الخلائق إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وطاعة الله، عز وجل.. ورسم لهم تمدين المدن. وجمع لهم طالبي العلم بكل مدينة. فعرفهم السياسة المدنية. وقرر لهم قواعدها.. وعلمهم العلوم.. وهو أول من استخرج الحكمة، وعلم النجوم، فإن الله، عز وجل، أفهمه أسرار الفلك، وتراكيبه، ونقط اجتماع الكواكب فيه، وأفهمه عدد السنين والحساب..»[3].

عالمية رسالته:

« كذلك نجد فيما جاء عن «إدريس» عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ما يشهد بأن رسالته كانت عالمية، لا محلية، انطلقت من مصر لتشمل كل المعمور من الأرض في ذلك الحين، فهو قد كلم الناس يومئذ بألسنتهم المتعددة.. وعلمهم العلوم. فبنت كل جماعة مدنا في أرضها.. وأقام للأمم سننا - طرقا- في كل إقليم سنة تليق بأهله.. وطبقت شريعته المعمور من الأرض، وكانت قبلته إلى الجنوب على خط نصف النهار - أي أول بيت وضع للناس في الأرض.. وإليه ترجع كل العلوم التي ظهرت قبل الطوفان.. وهو أول من خط بالقلم، وعلم أسرار الحروف.. وأول من تكلم في الجواهر العلوية والحركات النجومية.. وأول من بنى الهياكل ومجد الله فيها.. وأول من نظر في علم الطب، وألف لأهل زمانه قصائد موزونة في الأشياء الأرضية والسماوية.. وحتى

(1) في فقه الحضارة الإسلامية، مرجع سابق، ص227، 228.
(2) النجار، عبد الوهاب، قصص الأنبياء، دار ابن كثير، دمشق، سوريا، ط4، 2004م، ص54.
(3) في فقه الحضارة الإسلامية، ص228.

يخلد هذه، ويحفظها من عاديات الدهر وآفات النار والطوفان، بنى الأهرام والبرابي، وصور فيها جميع الصناعات والآلات، ورسم فيها صفات العلوم، حرصا منه على تخليدها لمن بعده، خيفة أن يذهب رسمها من العالم»[1].

«إدريس» ملكا على مصر:

وقد كان ملكا على مصر كما يذكر «المقريزي» (764هـ: 845هـ) في «المواعظ والاعتبار»: «أن النبي «إدريس» قد أعقب أبناءً، أحدهم يدعى «طا»، وآخر يدعى «صا»، وثالث يدعى «أتريب»، أما الابن الرابع فكان يدعى «قفط»[2].

و كان نبي الله «إدريس» يأمر الناس بصلوات ذكرها لهم، وأمرهم بصيام أيام معلومة من كل شهر، و كان يحثهم على الجهاد في سبيل الله. ويقال إن «إدريس» أمر المصريين بزكاة الأموال معونة للفقراء والضعفاء. وشدد عليهم الطهارة، وحرم لحم الحمار والكلب، وحرم المسكر من الشراب. ويقال أيضا إن «إدريس» عَلَيْهِ السَّلَامُ جعل للمصريين قرابين إلى الله منها دخول الشمس رؤوس البروج، وعند رؤية هلال القمر، وعند دخول الكواكب في مداراتها، ومناظرتها للكواكب الأخرى. كما جعل «إدريس» أعيادا كثيرة في أوقات معلومة»[3].

وقد جاء في «تاريخ الحكماء» للقفطي (476هـ: 548هـ) أن «إدريس» عَلَيْهِ السَّلَامُ قسم الأرض إلى أربعة أقسام. وجعل على كل قسم منها ملكا يسوس حتى آخر الجزء المعمور منه»[4].

ثانيا: عمله

ورد في تفسير «ابن كثير» (700هـ: 774هـ) عن «ابن عباس» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن «إدريس»

(1) المرجع السابق.
(2) هرمس الحكيم وعلاقته بالنبي إدريس، ص99.
(3) بدوي، عبد السلام، من أنباء الرسل، كتاب الشعب، مصر، 1997م، ص37.
(4) هرمس الحكيم بين الألوهية والنبوة، ص100.

عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ كان خياطا، فكان لا يغرز إبرة إلا قال: «سبحان الله» فكان يمسي حين يمسي، وليس في الأرض أحد أفضل منه»(1).

وقد وافق ذلك ما ورد في سفر «هيي هنوك» في نص متأخر يظهر «أخنوخ» إسكافيا، لا يغرز غرزة إلا وذكر الله(2).

ثالثا: صحف «إدريس»

ورد عن «أبي ذر الغفاري» أنه قال: «يا أبا ذر أربعة من الرسل سريانيون آدم وشيت و«نوح» و«أخنوخ» وهو «إدريس» عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، وهو أول من خط بالقلم، وأنزل الله تعالى على «أخنوخ» ثلاثين صحيفة»(3). كما ورد عنه أنه سأل رسول الله ﷺ: «كم كتابا أنزله الله؟ قال ﷺ: مائة كتاب وأربعة كتب، أنزل الله على شيث خمسين صحيفة، وعلى خنوخ ثلاثين صحيفة، وعلى «إبراهيم» عشر صحائف، وأنزل على «موسى» من قبل التوراة عشر صحائف، وأنزل التوراة والإنجيل والزبور والفرقان»(4).

وقد جاء في الفهرست لـ «ابن النديم» (توفي 438هـ): «أول كتاب أنزله الله تعالى، صحف «آدم» عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ وكانت إحدى وعشرين صحيفة، والكتاب الثاني أنزله الله على «شيث» وهو تسع وعشرون صحيفة، والكتاب الثالث أنزله الله على «أخنوخ» (إدريس) وهو ثلاثون صحيفة»(5).

وقد أورد «الطبري» (224هـ: 310هـ): «أن الله بعث «إدريس» عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ وجمع

(1) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، التفسير، ج3، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، الرياض، السعودية، ط2، 1999م، ص127.

(2) الهمدان، حاتم، ذو القرنين، إصدارات إي كتب، لندن، انجلترا، ط1، 2015م، ص541.

(3) انظر: النسفي، عبد الله بن أحمد بن محمود، تفسير النسفي، ج3، تحقيق: محيى الدين ديب مستو، دار الكلم، بيروت، ط1، 1998م، ص40، وكذا: الرازي، محمد بن عمر بن حسين، تفسير الرازي، ج31، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004م، ص136.

(4) ابن كثير، التفسير، ج1، مرجع سابق، ص587، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، ج2، ص77.

(5) ابن النديم، الفهرست، ج1، مرجع سابق، ص33.

لـه علم الماضـين، وزاده مع ذلك ثلاثـين صحيفة، فذلك قوله تعـالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ [الأعلى: 18] . وتلـك قضيـة تواتـرت فيهـا مقـولات المفسرين مثـل «الزمخشري» (467هـ: 538هـ)[1]، و«القرطبي» (600هـ: 671هـ)[2]، و«الألوسي» (1803م: 1854م)[3]، و«النيسابوري» (توفي 319هـ)[4]، و«الرازي» (توفي 606هـ)[5].. وغيرهم.

وقد توافق هذا مع ما ورد في المرويات اليهودية بمخطوطات البحر الميت: «أن «أخنوخ» نزلت عليه ألواح سـماوية قرأ فيها وتعلم منها أعمال البشر كلها وجميع أبناء الجسـد الأحياء على الأرض حتى الجيل الأخير»[6].

رابعا: بعض من حكمه ومقولاته

وقـد ورد في كتـاب «مختار الحكم ومحاسـن الكلم» للــ «المبشر بن فاتـك» (توفي بعد 445هـ) مجموعـة من الحكم والمواعظ المنسـوبة إلى «هرمس مثلث الحكمـة» الذي يعتقد أنـه هـو النبي «إدريـس»[7]، وقد أوردتها «هـدى درويش» على أنها حكـم للنبي «إدريس» لاعتقادها بتطابقهما[8].. وفي الآتي بعض منها:

---

(1) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج2، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط4، 1986م-1407هـ، ص227.

(2) القرطبي، محمد بن أحمد أبو بكر، التفسير، الجامع لأحكام القرآن، ج11، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، مصر، ط2، 1964م، ص117.

(3) الألوسي، محمود بن عبد الله، روح المعاني، ج6، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1994م - 1415هـ، ص306.

(4) النيسابوري، الحسن بن حسين، تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1995 - 1416هـ، ص56.

(5) الرازي، التفسير، ج4، مرجع سابق، ص387.

(6) مخطوطات البحر الميت، تحقيق: أندريه دوبون سومر ومارك فيلوننكو، ترجمة: موسى ديب الخوري، دار الطليعة الجديدة، دمشق، سوريا، 1998م، ج2، ص84.

(7) ابن فاتك، أبو الوفا المبشر، مختار الحكم ومحاسن الكلم، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، منشورات المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، أسبانيا، 1958م، ص 7 - 26، باختصار واختيار.

(8) انظر: نبي الله إدريس بين المصرية القديمة واليهودية والإسلام، ص224.

- لن يستطيع أحدكم أن يشكر الله عز وجل على نعمه بمثل الإنعام بها على خلقه.
- خير الدنيا حسرة، وشرها ندم.
- غضب الجاهل في قوله، وغضب العاقل في فعله.
- عندما يموت الإنسان يقل حساده ويكثر الكاذبون عنه.
- يكفيك من الحاسد أن يغتم وقت سرورك.
- اجتنب مصاحبة الكذاب فانه مثل السراب يلمع ولا ينفع.
- من تجرأ لك تجرأ عليك.
- من كثر حقده قل عتابه.
- الحازم من لم يشغله البطر بالنعمة عن العمل للعاقبة، والهم بالحادثة عن الحيلة لدفعها.
- من مدحك بما ليس فيك فلا تأمنه أن يذمك بما ليس فيك.
- الغضب يصدئ العقل حتى لا يرى صاحبه حسنا فيفعله أو قبيحا فيتجنبه.
- من تكلف مالا يعنيه فاته ما يعنيه.
- عار الفضيحة يكدر لذتها.
- لا تقطع أخاك إلا بعد عجز الحيلة عن استصلاحه، ولا تتبعه بعد القطيعة وقيعة فتسد طريقه عن الرجوع إليك، ولعل التجارب أن ترده عليك وتصلحه لك.
- خير الأصحاب من نسي ذنبك فلم يقرعك به، ومعروفه عندك، فلم يمنن به عليك.
- أعط الحق من نفسك، فان لم تعطه منها كان الحكم خصمك.
- رب كلام جوابه السكوت، ورب عمل الكف عنه أفضل، ورب خصومة الإعراض عنها أصوب.

- ❑ أفضـل ما خلق الله سـبحانه وتعـالى في هذا العالم الناس، وأفضل مـا في الناس العقل، وأفضل أمور العقل تدبر صاحبه بالعدل و كف نفسه عن الذنوب.
- ❑ الأحمـق لا يحس بشيء من القبيح، والجاهل الـذي إذا أحس بشيء ظنه غيره، والجبان الذي يخاف ما لا يحس به.
- ❑ أحمد الأشياء عند أهل السماء والأرض لسان ناطق بالحق والعدل.
- ❑ الخير والشر واصلان إلى الناس لا محالة، فطوبى، والويل لمن جرى وصولهما إلى الناس على يديه.
- ❑ سئل عن الجود فقال: هو أن تجود بمالك وتصون نفسك عن مال غيرك.
- ❑ أمر الدنيا أقصر من أن تطاع فيها الأحقاد.
- ❑ قابل غضبك بحلمك وجهلك بعلمك ونسيانك بذكرك.
- ❑ الحياء في الصبا أجمل من الخوف لأن الحياء يدل على العقل والخوف يدل على الرهبة.
- ❑ تزود من الخير وأنت مقبل خير من أن تتزود منه وأنت مدبر.
- ❑ من لم يسـكن موضعا فيه سـلطان قاهر وقاض عادل وطبيب عالم وسوق قائم ونهر جار فقد ضيع نفسه وأهله وماله وولده.
- ❑ الشريف من استعمل الفضائل وأعظم الشرف والعدل والفقه والجود قبل الطلب.
- ❑ لا خير في من يستر وجه العفو بمكروه التقريع.
- ❑ لا تعالج الذنب بالعقوبة، واجعل بينهما للاعتذار طريقا.
- ❑ زلة العالم تكسر السفينة فتغرق وتغرق خلقا كثيرا.
- ❑ الغنى وطن، والفقر غربة، والطمع رق، واليأس حرية.

خامسا: العصر الذي عاش فيه

يصعب ولا شك التحديد الزمني لنبي مرسل في زمن ما قبل طوفان سيدنا «نوح» عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، لكن يمكن تقريب الأمر، إن استطاع أحد الباحثين مقاربة زمنه نسبة لزمن الطوفان.

أ) مقاربة «نديم السيار» باستخدام النسخة العربية (إدريس النبي):

وقد قام «د. نديم السيار» بمقاربة ذلك زمنيا كما يلي:

يقارب زمن «إدريس» عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الذي عاش قبل الطوفان - المجهول زمنا- بمقارنته بزمن طوفان «نوح» عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ - المعلوم زمنا بحوالي 4000 سنة ق. م- مع الأخذ في الاعتبار كونه جدا أعلى لـ «نوح» عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ. على ذلك يكون سيدنا «إدريس» قد ولد وعاش في العصر (الحجري الحديث) من (6000 - 5000 ق. م) تقريبا، أي قبل عهد الأسرات بكثير.

ومن الشواهد على صحة افتراض «السيار» ما ورد في الفصل الثاني من كتابه «ليسوا آلهة ولكن ملائكة» كما يلي:

1- تلك الكتابات التوحيدية التي ظهرت في مصر - فجأة- في نفس تلك الفترة.. أي العصر الحجري الحديث.. والمليئة بالمعارف الروحية والميتافيزيقية التي يستحيل أن يتوصل إليها البشر بدون (وحي إلهي).. كما في «متون الأهرام» و«كتاب الموتى».

2- ظهور الإيمان بـ(البعث) - لأول مرة - لدى المصريين خلال نفس ذلك العصر (الحجري الحديث).

3- ظهور الكتابات التي تتحدث عن «حساب الآخرة» و«الميزان» و«الجنة والنار».. إلخ.. وهي أمور كلها ظهرت في نفس تلك الفترة.

4- يوجد ألفاظ مصرية يستعملها الناس إلى الآن، واستعملها القرآن الكريم. موجودة في «كتاب الموتى» و«متون الأهرام» تنتمي لنفس الفترة؛ مما يدل على أنها معارف أنبياء مثل: (موت.. ومنية.. ونشور.. وآخرة.. إلخ).

وعلاوة على ذلك فقد قارب كثير من المؤرخين زمنه بافتراض أنه هو «هرمس الهرامسة» بوجوده في الألف الثالثة أو الرابعة قبل الميلاد[1].

ب) مقاربة «أحمد غسان سبانو» باستخدام النسخة الإغريقية (هرمس الحكيم):

وقد قام «أحمد غسان سبانو» بمقاربة مماثلة كما يلي[2]:

يفترض سبانو أن ولادة «هرمس» تعود لفترة الألف الثالثة أو الرابعة قبل الميلاد وذلك بسبب ما يلي:

1) حددت الروايات الدينية أنه إما قبل الطوفان أو بعده، والطوفان يقدر حوالي الألف الرابعة أو الثالثة قبل الميلاد.. وهذا موافق لبعض الحسابات التي أوردتها الروايات اليهودية والمسيحية.

2) كذلك الإسلام عد «إدريس» سابقا لإبراهيم (الألف الثانية).

3) أما الروايات التي تعده مصريا فهي تقول أيضا بأنه وجد بعد الطوفان، وأنه بنى الأهرام، أي زمان الفراعنة (عصر بناة الأهرام).. وهذا يطابق افتراضنا.

4) أما الفرس فهم يعدونه أول المتنبئين وهو «بوذاسيف» الذي ظهر بعد مضي سنة من ملك «طمهورث»، وأنه أول من أتى بالكتابة الفارسية.. وهو ما يؤكد نفس الفترة. كذلك ادعت الفرس أنه «أنجهد» وأن جده «جيومرث» أي «آدم».

5) كذلك يمكننا التأكد من هذا الافتراض لما نسب إلى «هرمس» من تأسيس: فهو أول من حفظ العلوم بالكتابة، وذلك كما جاء لدى المصريين والبابليين والفرس.. والكتابة ظهرت في الفترة التي قدرناها.

6) وهو أول من تكلم في الأمور السماوية أي علم الفلك والنجوم والتقويم.. وهذا ما يؤكد الزمن المفترض؛ لان اكتشاف التقويم وعلم الفلك يعود لتلك الفترة.

(1) هرمس مثلث الحكمة بين الأسطورة والواقع، ص5.
(2) هرمس الحكيم بين الألوهية والنبوة، ص6 - 8، باختصار.

7) كذلـك هـو أول طبيب.. وتاريخ الطب سـواء في مصر أو بابل يعـود للألف الرابعة والثالثة قبل الميلاد.

8) وهو أول من خاط الثياب.. وثابت علميا وأثريا أن أول طريقة في اسـتخدام ما يستر الإنسـان كان لـف القماش لفا، وأن أوائل الخياطة قـد وجدت في مصر وبابل في فجر حضارتها بنفس المدة المقترحة.

سادسا: ديانته «ديانة الصابئة التوحيدية»

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:62].

والآية السـابقة من الآيات التي تثير الكثير من الأسـئلة التي تدور معظمها حول طبيعة ديانة «الصابئين»، فقد كانت العرب تسـمي كل من قـرأ الكتب أو كتب «صابئا»، وكانت قريش تسـمي النبي ﷺ أيام كان يدعو الناس بمكة ويتلـو القرآن «صابئا»[1].. فيا هل ترى من هم الصابئة المقصودون في تلك الآية الكريمة؟.

وقـد قرر الأسـتاذ «عباس محمـود العقـاد» (1889م: 1964م): «أن الصابئـة تؤمن بالله واليوم الآخر»[2]. كما ورد في «دائرة المعارف الإسـلامية»: «والصابئون يقولون إن معلمهم الأول هو النبي الفيلسوف «هرمس» أو «إدريس»[3]. كما ذكرت «الليدي دراور» (توفيت 1972م): «أن الصابئة يؤمنون بالله واليوم الآخر كما يؤمنون بالحساب والعقاب»[4].

(1) الهمداني، الحسن بن أحمد، الإكليل تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي، طبعة دار الحرية ببغداد، العراق، 1980م، ص118.

(2) العقاد، عباس محمود، إبراهيم أبو الأنبياء، المكتبة العصرية، بيروت وصيدا، لبنان، 1953م، ص91.

(3) دائرة المعارف الأسلامية، النسخة العربية، ترجمة: محمد ثابت الفندي وآخرون، مجلد14، نشر لجنة الترجمة بالقاهرة، مصر، 1934م، ص89.

(4) دراوور، الليدي، الصابئة المندائيون، ج1، ترجمة: نعيم بدوي وغضبان الرومي، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، سوريا، ط2، 2006م، ص21.

والتساؤلان المفترضان في تلك القضية، هما: «هل تكلم عنهم أحد من الأقدمين؟».. «وهل هذه هي ديانة الصابئة المقصودة في القرآن الكريم؟»..

وإجابة التساؤل الأول: (نعم).

فقد تكلم عنهم كثير منهم «ابن حزم الأندلسي» (384هـ: 556هـ) و«ابن الجوزي» (510هـ: 597هـ) و«ابن خلدون» (732هـ: 808هـ) و«السيوطي» (849هـ: 911هـ) وكذا «ابن تيمية» (661هـ: 728هـ)، ناهيك عن» الألوسي» (1803م: 1854م) و«القفطي» (476هـ: 548هـ) و«الشهرستاني» (476هـ: 548هـ).

حيث قال «ابن حزم»: «هم المصدقون بنبوة «إدريس»»[(1)]. وقال «ابن الجوزي»: «إنهم من أهل الكتاب، يقولون «لا إله إلا الله»[(2)]. وقال «ابن خلدون»: «كان أهل مصر صابئة قبل اعتناق النصرانية»[(3)]. وقال «ابن تيمية»: «الصابئة دين صحيح، وهم ذوو عقيدة مؤمنة صالحة»[(4)]. كما قال: «والصابئون أهل كتاب»[(5)].

أما الإمام السيوطي (849هـ: 911هـ)، وهو مؤرخ ومفسر معا فقد قال بصريح العبارة عن سيدنا «إدريس» عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ولد في مصر وخرج منها وطاف الأرض كلها، وكانت ملته الصابئة، وهي توحيد الله والطهارة والصلاة والصوم وغير ذلك من التعبدات»[(6)].

وأصل كلمة «صابئة» من «صبأ»، بالهمز ومعناها: «مال» و«انحرف»، أو «انتقل من دين إلى آخر»، يقول «ابن الجوزي» (510هـ: 597هـ) إن أصل كلمة «الصابئين» من قولهم

(1) ابن حزم، علي بن أحمد، الفصل في الملل والنحل والأهواء، ج1، مكتبة الخانجي، مصر، بدون تاريخ، ص102.

(2) ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، تلبيس إبليس، تحقيق: عصام فارس الحرستاني، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1994م، ص74.

(3) انظر: ابن خلدون، عبد الرحمن، العبر وديوان المبتدأ والخبر، بيت الأفكار الدولية، تونس، 2009م.

(4) الديانات والعقائد، ج1، ص299.

(5) المرجع السابق، ص298.

(6) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، ج1، تحقيق: محمد أبو الفضل، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، مصر، 1967م، ص428.

«صبأت» إذا «خرجت من شيء إلى شيء». و«صبأت» النجوم إذا «ظهرت» و«صبأ به» إذا «خرج»، و«الصابئون» هم «الخارجون من دين إلى دين»[1].

وإجابة التساؤل الثاني فيما يختص بالجزء التاريخي للقدماء المصريين: (نعم) أيضا.

فلقد كان القدماء فعلا من الصابئة.. وقد تواترت على ذلك الأدلة والبراهين والحجج والقرائن التي لا تشكك جُلها فيما يقال عن ذلك.

و«د. وسيم السيسي» قد اعترك هذا الموضوع بحثا في كتابه «هذه هي مصر»، ومما قال: «كان الدين في مصر القديمة عقيدة خماسية، وكلمة دين كلمة مصرية من كلمة «دي» أي «خمسة» بالمصري القديم، والنون معناها شعيرة دينية، وكانت هذه العقيدة الخماسية:

1- التوحيد. 2- الصلاة. 3- الصوم.

4- الزكاة (الماعون بالمصري القديم). 5- الحج (وهي كلمة مصرية قديمة).

ومنذ عصر «الملك مينا»، كان شعار الدولة النجمة الخماسية والشعائر الدينية»[2].. ثم يذكر موثقا بالمصرية القديمة؛ احتواء تلك العقيدة على صلاة لها صفة مطابقة لصفة صلاتنا اليوم، وصوم كصومنا، وحج كحجنا[3].

لكن الإجابة قد تكون: (ربما).. فيما يخص الصابئة الحاليين الذين يسكنون العراق الشقيق..

حيث يقول «ت. ج. دي بور» (T.J.De Boer) (توفي 1942م) «وكان الحرانيون - أو الصابئة، وهذه التسمية التي أطلقت عليهم في القرنين التاسع والعاشر (الثالث والرابع من الهجرة) - ينسبون حكمتهم المصطبغة بصبغة التصوف والأسرار المكنونة إلى «هرمس المثلث الحكمة» (Hermes-Trismegistos) و«أغاثاذيمون» (Agathodaemon) و«أورانيوس» (Uranius) وغيرهم[4].

(1) تلبيس إبليس، مرجع سابق، ص121.
(2) السيسي، وسيم، هذه هي مصر، الدار المصرية اللبنانية، مصر، ط3، 2014م، ص121، 122.
(3) انظر: المرجع السابق، ص121: 135.
(4) تاريخ الفلسفة في الإسلام، مرجع سابق، ص20.

كما يقر «عبد الرحمن بدوي» (1917م: 2002م) بأن الصورة الكلدانية (أي الصابئة) لـ «هرمس»: أنه نبي الكلدانيين (أو نبي الصابئة)(1). كما يروي «السرخسي» (توفي 266هـ) عن أستاذه «يعقوب الكندي» (185هـ: 256هـ): «أنه نظر في كتاب يقربه هؤلاء القوم (يقصد الصابئة)، وهو مقالات لـ «هرمس» في التوحيد كتبها لابنه، على غاية من الإتقان في التوحيد، لا يجد الفيلسوف إذا أتعب نفسه مندوحة عنها والقول بها»(2).

فأما عن تأثرهم بالحضارة المصرية القديمة.. فكما يؤكد غير واحد على كون جذور الصابئة جذورا مصرية المعارف والأفكار، ومتأثرة إلى حد كبير وملحوظ بـ «هرمس» أو «تحوت» وآدابه(3). والمتتبع للنسق الفكري لأهم فلاسفتهم «ثابت بن قرة» (221هـ: 288هـ) يدرك حجم تقديرهم لـ «هرمس» والهرمسيات(4). وأما عن سر تعلق الصابئة بالهرم الأكبر وتعظيمهم له كتعظيم الحرمين؛ فيذكر «الإدريسي» (توفي 649هـ) كونهم يعتقدون أن سيدنا «إدريس» عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ أو (هرمس) هو من بنى الهرم، وأن آثاره موجودة فيه إلى الآن(5).

و«هرمس» عند الصابئة أيضا هو مؤسس ديانتهم كما يعتقدون. وقيل إن معنى (دين القيمة) في القرآن الكريم إنما قصد به دين «هرمس» (الذي هو دين الصابئة)(6).

وقد جاء في كتاب الإكليل لـ «الهمداني» (280هـ: بعد 336هـ) ويقال إن: «هرمس مثلث الحكمة» يعتبر أحد الأنبياء المعروفين للصابئة(7).

التباس الأمر في قضية ديانة الصابئة:

يلتبس أمر الصابئة على البعض اختلافا ينقصه كثير من التحري والتقصي والتتبع..

---

(1) الأفلاطونية المحدثة عند العرب، ص41.

(2) الفهرست، ص444، 445.

(3) الإسلام والديانة المصرية القديمة، مرجع سابق، ص121.

(4) متون هرمس، ص17.

(5) كشف المستور في الخبر المكنون، ص30.

(6) هرمس الحكيم بين الألوهية والنبوة، ص9.

(7) هرمس مثلث الحكمة بين الأسطورة والواقع، ص89.

واختلافهم في ذلك يتلخص في سؤال: «في هل هم موحدون أم من عبدة الكواكب أم من عبدة الأصنام؟»، ومثل هذا الخلط يرجع إلى سببين كما يقول «جابر أحمد»: «إن اختلاف الآراء وتباينها الذي رافق كتابات بعض المؤرخين والباحثين يرجع إلى أن هؤلاء الباحثين لم يكونوا على دراية ومعرفة باللغة المندائية وهي أحد فروع اللغة الآرامية. أما السبب الثاني فيرجعه إلى التباس وقع عند من خلطوا بين جماعتين تحملان الاسم نفسه فيقول: «وبما أن الصابئة وبعد نزوحهم من فلسطين قد استقروا - وقبل نزوحهم إلى العراق - في مدينة حران التي كان أهلها آنذاك من الوثنيين عبدة الكواكب، ومن هنا حصل الالتباس بين ديانة ومعتقد الذين هاجروا إلى هذه المدينة»[1].

والمسيري يلتقط ما اكتشفه ابن النديم من إدعاء بعض الزنادقة بصابئيتهم؛ فيقول: «وقد اكتشف «ابن النديم» في الفهرست وضعًا مماثلًا، فقد لاحظ أن بعض الزنادقة سموا أنفسهم «الصابئة»، وهم في واقع الأمر ليسوا من الصابئة الذين يشير إليهم القرآن. وقد فعلوا ذلك حتى يطبق عليهم النص القرآني فيصنفوا على أنهم «أهل كتاب» ويتمتعوا بالحقوق التي تمنح لأهل الكتاب»[2].

لكن حتى ولو انحرفت تلك الديانة القديمة كما انحرف غيرها، وحتى لو دخلها التحريف والتحوير، وتعددت إلى فرق ونحل أو اندمجت مع بعض العقائد الأخرى؛ فإن أصل هذه العقائد يرتد إلى المصدر الأساسي الذي يتمثل في تقديسهم لنبوة «هرمس» باعتباره من أحد أنبيائهم، فالهرمسية إذا تمثل أحد مصادر الفكر الصابئي[3].

(1) الإسلام والديانة المصرية القديمة، مرجع سابق، ص120.
(2) المسيري، عبد الوهاب، اللغة والمجاز، دار الشروق، مصر، ط2، 2006م، ص135.
(3) هرمس مثلث الحكمة بين الأسطورة والواقع، ص193، بتصرف.

المبحث الثاني

نفي الوثنية المطلقة عن الحضارة المصرية

.. «كلمات حكيمة.. كتبتها يدي الفانية، استمرت باقية على طول العصور، مضمخة ببلسم الأبدية الذي أبدعه المعلم الأكبر.. لم تكشفها عيون العامة الرائحين الغادين الجائلين في خضم الحياة القفر.. وظلت خافية حتى خلق الرب قديم الإحسان الكائن الإنساني الجدير بفهم حكمته».

(آخر ما كتب «هرمس» أو النبي «إدريس» قبل انتقاله للعالم الآخر.. كما ورد في كتاب «متون هرمس.. حكمة الفراعنة المفقودة»).

يعتقد الكثير من الباحثين بتحيز المنظور الغربي الحديث التطوري المتترس بمرجعية الكتاب المقدس ضد الحضارة المصرية القديمة؛ خاصة في موضوعي «التوحيد» و«الوثنية»، فالرؤية الغربية تصف الحضارة المصرية بالوثنية المطلقة لأمر ما في نفس يعقوب الغربي، كما يقول «د. ماجد الصعيدي»: «الرؤية الغربية الحديثة التي درست نشأة الحضارة الإنسانية من منظور تطوري ارتكز على ما جاء في الكتاب المقدس من تاريخ تم تفسيره بشكل متحيز ودون موضوعية أو حياد، ليصب في اتجاه المقولة اليهودية بأنهم شعب الله الذي عرف - قبل غيره - فكرة التوحيد. لذلك قرأ المؤرخون الغربيون في العصر الحديث الحضارة المصرية بوصفها حضارة وثنية»(1).

وعند نفي الزعم الباطل بوثنية المصريين القدماء على إطلاقهم يقول «د. نديم السيار»: «وهكذا شاءت الأقدار ألا يبقى للعالم عن عقائد «مصر القديمة».. سوى كُتب أولئك

(1) هرمس في المصادر العربية، مرجع سابق، ص63.

الرحالة والمؤرخين القدماء.. بكل ما فيها من خرافات وجهل وأكاذيب.. يقرأُها الناس.. فيسخرون أو.. يشمئزون.. ولا يعرفون عن مصر القديمة وأهلها.. سوى أنهم كانوا كفرة مشركين.. عُباد أوثان وأصنام»[1].

وقد كشف «مانيتون» (325ق.م: 268ق. م) في مذكراته عن عقائد المصريين القدماء التي يدينون بها، والتي تدعو إلى التوحيد، وأرجعها إلى الرسل الذين أرسلهم الله إليهم، فذكر أن «إدريس» عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ هو نبي المصريين القدماء الأوحد، وكانوا يطلقون عليه (هوروس)، وهو الذي عرف هو وأتباعه الحورشوس أو أتباع حوروس، المسمى وقتهم بعصر ملوك الكهنة، وهو عصر ما قبل مينا أول العائلات الفرعونية، وكان يدعو المصريين إلى عبادة الواحد الأحد فعرفوا منه التوحيد[2].. ويقول أيضا: «كان المصريون يعرفون الله الواحد الأحد، وكانت عبادتهم له بالصمت والرهبة احتراما وتوقيرا، وكانوا يصفونه: فردًا أزليًا خالقًا، كان قبل كل شيء، ويبقى بعد كل شيء، لا بداية له ولا نهاية، خالق الأرواح في الأشباح، يمضي الزمان وهو باق؛ لأنه هو الإله الذي لا اسم له»[3].

وقد تواترت الآراء والأخبار على كون المصريين القدماء لم يكونوا وثنيين كما يصورون. وممن ذكر هذا على - سبيل المثال لا الحصر - من الغربيين:

❑ الفرنسي «ماسبيرو» (1846م: 1916م).. الذي يذكر عنه المؤرخ «أحمد نجيب» (ولد في 1928م): «أن المصريين القدماء كانوا أمة مخلصة في العبادة، إما بالطبيعة أو بالتلقين والتعليم، فكانوا يرون الله في كل مكان، فهامت قلوبهم في محبته، وانجذبت أفئدتهم إليه، واشتغلت أفكارهم به، ولازم لسانهم ذكره، وشُحنت كُتبهم بمحاسن أفعاله، حتى صار أغلبها صحفا دينية، وكانوا يقولون إنه (واحد، لا شريك له، كامل في ذاته وصفاته وأفعاله، موصوف بالعلم والفهم، لا تحيط به الظنون، منزَه عن الكيف، قائم بـ(الوحدانية) في ذاته، لا تغيره الأزمان»[4].

(1) السيار، نديم، قدماء المصريين أول الموحدين، نشر المؤلف، مصر، 1996م، ص4.
(2) المنوفي، محمود أبو الفيض، الدين المقارن، دار نهضة مصر، مصر، 1990م، ص56، 57.
(3) المرجع السابق، ص58، 59.
(4) نجيب، أحمد أفندي، الأثر الجليل لقدماء وادي النيل، مكتبة مدبولي، مصر، ط1، 1991م، ص124.

❏ والبريطاني «واليس بدج» (1857م: 1934م).. الذي علق «د. سليم حسن» (1886م: 1961م) على أحد كتبه بقوله: «ضمن الأستاذ «بدج» في هذا الكتاب كل آرائه.. وانتهى إلى أن المصري القديم يعتقد في (إله واحد)، وأن الكائنات الروحانية الأخرى ما هي إلا من خلق هذا الإله الأكبر»[1].

❏ وعالم الآثار «بيريت» (1851م: 1962م).. الذي نقل عنه «والس بدج» (1857م: 1934م): «إن «بيريت» يتبنى نفس وجهة النظر القائلة بأن المصريين آمنوا بـ(الإله الواحد) الذي لا شريك له»[2]

❏ والفرنسي «فرانسوا ديماس» (1915م: 1984م).. الذي يذكر ما توصل إليه: «وقد ذهب أوائل مترجمي النصوص الدينية من أمثال «دي روجيه» (1811م: 1872م) و«د. بروجش» (1827م: 1894م) - الذين استمدوا علمهم بطريق مباشر على الأخص من نقوش المعابد المصرية - إلى أن الدين المصري عقيدة بالغة السمو بـ(إله واحد) خالق»[3].

❏ والرحالة اليوناني «جامبليك» (ولد 572ق.م).. الذي يذكر عنه «شامبليون» (1790م: 1832م): «لقد استنتجنا مما هو منقوش على الآثار، صحة ما رواه المؤرخ «جامبليك» وما ذكره غيره من المتأخرين، من أن الأمة المصرية كانت أمة (موحدة) في عبادتها لله، وأنهم لما تغلغلوا في سبيل (التوحيد) وقطعوا آخر مرحلة، علموا أن الروح أبدية، واعتقدوا بصحة الحساب والعقاب... إلخ»[4]

❏ والفرنسي «دي لا روج» (1811م: 1872م).. الذي كرر إعلانه بإيمانه بأن المصريين

---

(1) حسن، سليم، موسوعة مصر القديمة، ج1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1992م، ص261، 262، وكذا المعنى نفسه في مقدمة ترجمته لكتاب الموتى، مرجع سابق.

(2) بدج، واليس، آلهة المصريين، ترجمة: حسين محمد يونس، مكتبة مدبولي الصغير، مصر، 1998م، ص163.

(3) آلهة مصر، ص13.

(4) شاروبيم، ميخائيل، الكافي في تاريخ مصر القديم، دار الكتب المصرية، مصر، 1998م، ج1، ص172.

كانـوا يعتقـدون في (إله) وُجد من تلقـاء ذاته، وهو واحد، موجود، خلق الإنسـان ووهبه الروح[1].

- ❐ والفرنسي « أيتين دريتون» (1889م: 1961م).. الذي أشار إلى فكرة الإله الأوحد في مصر القديمة.. وقد أجاب بأن المقصود في ذلك هو «الله» وحده[2].

- ❐ والبلجيكي «فرانسوا جوزيف» (1787م: 1869م).. الذي يرى أن الآلهة المتعددة هي مجرد مظاهر للإله الواحد[3].

- ❐ وعالم الآثار الفرنسي «أوجست مارييت» (1821م: 1881م).. الذي يفترض أن هناك إلها فردا، خالدا، مخلوقا بذاته، لا تدركه الأبصار، خفيا، مدخرا لأولئك الداخلين في قدس أقداسه[4].

- ❐ والألمـاني « كـورت زيتـة» (1869م: 1934م).. الذي ألـف كتابا كاملا عـن عقائد مصر القديمة، وعلق عليه «د. سليم حسن» (1886م: 1961م) بقوله: «وقد أظهر «زيتة» في هذا المتن، أن فكرة التوحيد كانت موجودة عند قدماء المصريين، منذ الأسرة الأولى» [5].

- ❐ والأمريكي «وول ديورانت» (1885م: 1981م).. الذي قرر أن المصريين أول من دعا إلى التوحيد في الدين[6].

- ❐ والفرنـسي «أميلينيـو» (1850م: 1915م).. الـذي يقول عن المصريـين القدماء: «إن الكهنة والحكـماء من بينهم.. كانوا يعلمون علم اليقـين أن «الله واحد»»[7]، وينقل

(1) آلهة المصريين، مرجع سابق، ص163.

(2) آلهة مصر، ص150، 151.

(3) هورنونج، أريك، ديانة مصر الفرعونية، ترجمة: محمود ماهر، مصطفى أبو الخير، مكتبة مدبولي، مصر، 1995م، ص99.

(4) المرجع السابق، ص99.

(5) موسوعة مصر القديمة، ج1، مرجع سابق، ص264.

(6) قصة الحضارة، مج1، ج2، مرجع سابق، ص186.

(7) فؤاد، نعمات أحمد، شخصية مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط5، 1989م، ص80.

عنه «جمال حمدان» (1928م: 1993م) قوله: «كانت الكهانة المصرية دائما.. على إدراك بواحدنية الله»[1]

❑ والمؤرخ «لباج رينوف» (1822م: 1897م).. في قوله: «إن اليونان والرومان كانوا عريقين في الوثنية.. حتى لم يُسمع عنهم أنهم ذكروا اسم (الله) أصلا، أما القدماء المصريون فلم يرد في تاريخهم ما يدل على أنهم عرفوا الوثنية، وأن البردية المحفوظة اليوم في المتحف البريطاني، تضمنت هذه المناجاة: «أنت الإله الأكبر.. سيد السماء والأرض.. خالق كل شيء.. يا إلهي وربي وخالقي.. قوِّ بصري وبصيرتي لأستشعر مجدك.. واجعل أذني صاغية لأقوالك»[2]

❑ والبريطاني «هنري توماس» (1821م: 1862م).. الذي يقول: «ليس صحيحا من الوجهة التاريخية أن العبرانيين قد ابتدعوا فكرة «التوحيد».. بل هم استعاروا هذه الفكرة من المصريين»[3].. وقد علق «نديم السيار» بما يشي برؤيته أنهم عرفوا التوحيد من المشكاة نفسها (الوحي الإلهي)[4].

❑ والألماني «هنري بروجش» (1827م: 1894م).. الذي شهد له «والس بدج» بأنه أكثر المؤيدين لنظرية «التوحيد» هو «د. بروجش»»[5]. وقد كان «بروجش» أستاذا لكرسي علم المصريات بجوتنجن في عام 1868م، فكان أول أستاذ في هذا التخصص منذ وفاة «شامبليون» (1790م: 1832م)[6]. وهو يعترف في كتابه «الدين والأساطير عند المصري القديم» - الصادر عام 1885م - عن اقتناع بأن المصريين قد عبدوا - في تلك العصور السحيقة - الإله الواحد المتعذر وصفه أو إدراكه، الأبدي في صفاته الأسمى[7].

(1) حمدان، جمال، شخصية مصر، ج2، ص428.
(2) ذكري، أنطون، الأدب والدين عند قدماء المصريين، مطبعة المعارف، مصر، 1923م، ص65.
(3) توماس، هنري، أعلام الفلسفة، ترجمة: متري أمين، دار النهضة، مصر، 1964م، ص7.
(4) قدماء المصريين أول الموحدين، مرجع سابق، ص11.
(5) المرجع السابق، ص7.
(6) هرمس مثلث الحكمة بين الأسطورة والواقع، ص97.
(7) ديانة مصر الفرعونية، مرجع سابق، ص12.

❐ والبريطاني «س. هـ. ليدر» (كان حيا 1918م).. في كتابه «أبناء الفراعنة المحدثون» يقول: «ومنذ أكثر من خمسة آلاف عام كانوا يترنمون في وادي النيل بوحدانية الإله وخلود الروح»[1].

❐ وكذلك الأمريكي «جيمس هنري برستيد» (1865م: 1935م).. في كتابه «فجر الضمير» يقرر ذلك قائلا: «إن المصريين كان لهم مقياس خلقي أسمى بكثير من الوصايا العشر ظهر لهم قبل أن تكتب تلك الوصايا بألف سنة»[2].

.. وكثير من العلماء والمفكرين والباحثين العرب منهم على سبيل المثال:

❐ الإمام «ابن خلدون» (732هـ: 808هـ).. يقول: « كان أهل مصر صابئة قبل اعتناق النصرانية»[3].

❐ الأستاذ «عباس محمود العقاد» (1889م: 1964م).. الذي قال: «ولم تعرف أمة قديمة ترقت إلى الإيمان بـ «الواحدنية» على هذا المعنى (أي توحيد الإيمان بإله واحد. لا إله غيره).. غير الأمة المصرية»[4]

❐ والعالم الإسلامي «محمد أبو زهرة» (1898م: 1974م).. الذي يقول: «إن أشد الأمم تدينا (المصريون القدماء)»[5].

❐ و«د. عبد العزيز صالح» (1921م: 2001م).. الذي قال: «ونجد أن الاعتراف بـ «وحدة الإله الخالق».. قائمة.. حين رد أصحاب كل مذهب منهما الوجود إلى (خالق واحد)»[6].

---

(1) ليدر، س. هـ، أبناء الفراعنة المحدثون، ترجمة: أحمد محمود، دار الشروق، مصر، ط2، 2009م، ص153.

(2) برستيد، هنري جيمس، فجر الضمير، ترجمة: سليم حسن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2011م، ص13.

(3) انظر: العبر وديوان المبتدأ والخبر، مرجع سابق.

(4) العقاد، عباس محمود، الله، دار الهلال، مصر، 1991م، ص31، وكذا: إبراهيم أبو الأنبياء، مرجع سابق، ص175، 176.

(5) مقارنات الأديان، ج1، مرجع سابق، ص5، 6.

(6) صالح، عبد العزيز، الشرق الأدنى القديم، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 2006م، ج1، ص266، وص360.

- و«ثـروت عكاشـة» (1921م: 2012م).. الذي قال عن المصريـين القدماء: «وانتهاء المصريـين إلى «رب واحد».. فكرة نبتت بينهم وفي بيئتهم ولم تدخل عليهم من فكر أجنبي.. بل كانت مصر مصدرها»(1).

- والمؤرخ «أنطون ذكري» (عاش 1923م).. في قوله: «زعم البعض أن قدماء المصريين عبدوا الأوثان في كل العصور.. ولكن الآثار المنقوشـة في المقابر والمعابد والمكتوبة على الأوراق البردية.. دلت على أنهم كانوا يعبدون (الله الفرد الصمد)»(2).

- والمـؤرخ السـوري «عـزة دروزة» (1888م: 1984م).. في موسـوعته: «لقـد كان المصريون القدماء يعتقدون بوجود (إله) أكبر خالق الأكوان ومدبرها»(3).

- والمفكـر المصري «د. عمرو شريف».. في كتابه «الوجود رسـالة توحيد»: «ويرى بعـض علـماء المصريـات أن ديانة مـصر القديمة التي بـدأت بالتوحيد قـد ظلت على التوحيـد، وأن ما ذكرنـاه من آلهة متعددة ما هو إلا صفات للإلـه الواحد الأحد، أو رموز للملائكة»(4)

- والمفكـر المصري «د. وسـيم السـيسي».. في كتابه «هذه هي مـصر»: «يقول أعداء حضارتنا، خصوصا الجهلة منهم، إن أجدادنا كانوا عباد أوثان! ولا يعرفون أن كلمات: «دين»، «صوم»، «حج»، «ماعون»، «حساب»، «موت»، «كعبة»، «براق»، «حي» (قم وانهـض)، كلها كلـمات مصرية قديمـة، وأن أجدادنا كانوا موحديـن، وكانوا يتوضئـون قبـل الصلاة (برضـوا) أي «بيت الوضـوء».. هم لا يعرفـون أن أجدادنا كانوا يصومون شـهرا.. وأنهم يحجون للجزيرة لأنهم هـم الذين بنوا الكعبة.. بناها «إدريـس» (هرمس) وهو أول رسـول.. وكلمة «حج» كلمـة مصرية معناها النور

(1) عكاشة، ثروت، موسوعة الفن المصري، ج1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1990م، ص124، وص266.
(2) الأدب والدين عند قدماء المصريين، مرجع سابق، ص141.
(3) دروزة، عزة، تاريخ الجنس العربي في مختلف الأطوار والأدوار، ج2، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط1، 1959م، ص309.
(4) شريف، عمرو، الوجود رسالة توحيد، نيو بوك للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2015م، ص71.

والضياء. كما أن كلمة كعبـة.. كلمة مصرية قديمة (كابا) دخلت العربية فأصبحت «كعبة»، ودخلت الإنجليزية فأصبحت «Cube» أي مكعب!»[1].

الإشكالية الناتجة عن خطأ ترجمة كلمة «نثرو» المصرية القديمة:

وزعـم الوثنيـة المطلقة للحضارة المصريـة القديمة يرتكن على خطـأ (أو بالمعنى الأدق: «خطـأ اجتهـاد») من تتبـع «شـامبليون» (1790م: 1832م) في ترجمة كلمـة (نثرو) المصرية القديمـة بلفظ (إله) مما كان لـه الأثر في إلصاق تلك التهمة بالمصريـين القدماء. وهي الكلمة التي يترجمها «نديم السيار» بلفظ (كائن إلهي) وليس (إله). فمثلا: أسماء الله الحسنى كثيرة؛ فإذا أردنا ترجمة اسـم الله «القدير» فترجمتها طبقا لعلـماء المصريات بـ «إله القدرة»، وكذا اسـم الله «الشـافي» ترجمتها عندهم «إله الشـفاء»، واسـم «السـميع» عندهم «إله السـمع» وهكذا.. وكل ملاك مثل سـيدنا «جبريل» مثلا يترجمونه على أنه «إله».. بل كل كائن خفي مثل «الشيطان» مثلا يترجمونه على أنه «إله الشر» مثلا.. وهكذا.

لذا يـشرح البريطاني «والس بـدج» (1857م: 1934م) في مقدمـة ترجمته لكتاب الموتى الفرعوني ظروف ترجمة هذا اللفظ «نثرو»، وكيف كانت حيرة العلماء وتخبطهم.. حتى أن بعض العلماء آنذاك.. قد أعلنوا في صراحة اعترافهم بالعجز عن فهم معناه، وبالتالي، عجزهم عن ترجمته[2]. وفي بدايات القرن التاسع عشر انتهوا - للتقريب - إلى ترجمة اللفظ إلى (God) بالإنجليزيـة، وبذلك امتلأت كل كتب التاريخ الفرعوني في الإنجليزية بلفظ (God) كلقب لكل الشخصيات الفرعونية المقدسة (مثل: فتاح، رع، آمون.. إلخ)، ثم نقلت الكتب العربية - بطبيعة الحال - هذا دون وعي ولا إدراك. مما ساهم في وصم أولئك المصريين القدماء بوصمة الشرك والكفر والإلحاد... إلخ.

ويعلق «نديم السيار» على ذلك بقوله: «خطا ترجمة.. ولكنه كان خطأً فادحاً.. وقاتلاً.. هدم سـمعة «عقيدة» بأكملها.. وشـوه صـورة «أمة» - بل وحضـارة - بأكملها.. كل ذلك بـ

(1) هذه هي مصر، مرجع سابق، ص9، 10.

(2) مقدمة كتاب الموتى الفرعوني، وكذا: السيار، نديم، ليسوا آلهة ولكن ملائكة، نشر المؤلف، ط2، مصر، 2003م، ص39.

(خطأ واحد).. في ترجمة (لفظ واحد).. ولكنه من أهم الألفاظ في القاموس الديني[1]. لكن «والس بدج» دعا إلى إعادة ترجمة هذا اللفظ إلى كلمة أخرى لا يعلمها هو - حتى تاريخ قوله ما يقول- وكذا اعتقد «رينوف» أن كلمة (نيثر) كلمة «قديمة جداً جداً» - على حد تعبيره - وأن إدراك معناها الأصلي الأول، غامض، وغير معروف له[2].

ويذكر «شامبليون» (1790م: 1832م): لقد استنتجنا مما هو منقوش على الآثار.. صحة ما رواه المؤرخ «جامبليك» (ولد 572ق.م) وما ذكره غيره من المتأخرين.. من أن الأمة المصرية كانت أمة (موحدة) في عبادتها لله.. وأنهم لما تغلغلوا في سبيل (التوحيد) وقطعوا آخر مرحلة.. علموا أن الروح أبدية.. واعتقدوا بصحة الحساب والعقاب... إلخ»[3].. وقد ذكر المؤرخ «واليس بدج» (1857م: 1934م) أن «فيجاك» أخا «شامبليون» قد نقل عن أخيه بعد موته: «خلاصة ما كان قد توصل إليه بعد طول بحث ودراسة: أن الديانة المصرية.. (توحيد) خالص»[4].

وكما يقرر «ماريو توسي» (ولد في 1942م) و«كارلو ريو ردا» «اتفاق العديد من علماء المصريات في العالم على أن تعدد الآلهة كان ظاهريا، في حين أن محور الديانة المصرية كان توحيديا في الأصل، فأساسها الثابت المتسامي كان في وحدة الكائن الأعلى وأبديته، وقدرته الكلية التي لم تنهزم أبدا أمام الإيمان بآلهة متعددة وعبادتها. ولقد سادت حينذاك فكرة الإله الواحد في كل مكان، وهو موجود بذاته لا يمكن الوصول إليه. فعقيدة التوحيد قد سبقت الإيمان بتعدد الآلهة»[5].

القول الفصل:

والقول الفصل في ذلك للدكتور نديم السيار صاحب الأبحاث الموثقة بالوثائق والصور

(1) المرجع السابق، ص40.
(2) المرجع السابق، ص42.
(3) الكافي في تاريخ مصر القديم، ج1، مرجع سابق، ص172.
(4) قدماء المصريين أول الموحدين، ص6.
(5) معجم آلهة مصر القديمة، ص5.

في إثبات التوحيد للقدماء المصريين، حيث إننا نظن بأن أي باحث سيبلغ كثيرا من الجهد - لو استطاع - عند محاولته دحض مثل هذا الطرح؛ نظرا لقوة أدلته العقلية والنقلية.. وهذه الأبحاث هي:

(1) البحث الأول: قدماء المصريين أول الموحدين. وهو يثبت فيه تجذر التوحيد في كل المراحل التاريخية في مصر القديمة.

(2) البحث الثاني: المصريون القدماء أول الحنفاء. ويثبت فيه نشأة الديانة الحنيفية الأولى في مصر على يد سيدنا «إدريس». وأن ديانة الصابئة التي امتدحها القرآن الكريم، ما هي إلا ديانة توحيدية.

(3) البحث الثالث: ليسوا (آلهة) ولكن (ملائكة). ويثبت فيه خطأ الترجمة لكلمة «نثرو» المصرية إلى كلمة «آلهة» والتي تفسر التاريخ المصري القديم تفسيرا مغايرا للحقيقة.

وهي ثلاث أبحاث على مستوى عال من التوثيق والحجة الدامغة المؤيدة بالأدلة والقرائن، وقد أشاد بهم غير واحد - منهم «د. مصطفى محمود» (1921م: 2009م)[1]، و«أ. صلاح منتصر»[2]، - بدرجة فاقت الإعجاب وتجاوزته للاقتناع الكامل. بل ودعوة المتخصصين لاتخاذ اللازم نحو هذه الأبحاث التي تعيد لمصر وجهها المشرق الحضاري.

كما تشهد «د. هدى درويش» (رئيس قسم الأديان المقارنة بجامعة الزقازيق) لكتب «نديم السيار» أنها مؤيدة بالوثائق والصور[3].. كما تذكر من ذلك أن الصلاة هي الركن الثاني بعد الشهادة عند قدماء المصريين، وكانت عندهم خمس صلوات في اليوم، وشروط الصلاة عندهم ثلاثة: الطهارة، ستر العورة، واستقبال القبلة، كما علمهم نبيهم «إدريس» عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ[4].. كما تعدد الكثير من المظاهر الدالة على تجذر التوحيد عند قدماء المصريين

(1) جريدة الأهرام، بتاريخ 10/ 6/ 1995م.
(2) جريدة أخبار اليوم، بتاريخ 3/ 6/ 1995م.
(3) انظر: نبي الله إدريس بين المصرية القديمة واليهودية والإسلام، ص182.
(4) المرجع السابق.

مثـل؛ الطهارة، والاغتسـال من الجنابـة، والتطهر قبل الصلاة بالوضوء، الذي يشـبه الوضوء في الإسـلام، ورفـع الآذان قبل الصـلاة من مكان مرتفع، وسـتر العورة، والاتجـاه إلى القبلة في الجنـوب، وحـركات الصلاة التي تشـبه حركات صـلاة النبي محمـد ﷺ؛ مثل الركوع والسجود وغيرهما من حركات الصلاة، والتسبيح واستخدام المسبحة، وصلاة الأعياد وذبح الأضاحي قبل الخروج للصلاة، وصلاة الجنازة.. إلخ.

فبالتـالي لم تكـن الحضارة المصريـة وثنية بالكامل، بـل إن التوحيد ما انقطـع فيها أبدا. ويعلـق «د. محمـود أبـو الفيـض» (1891م: 1972م) على انتشـار الوثنية في كثـير من فترات المصريـين القدامى بقولـه: «وما حدث في الديانة الإدريسـية (الديانة المصريـة القديمة) من انحدار إنما حدث على أيدي الكهنة الذين جعلوا تعاليم «إدريس» رموزا وأسرارا مسـتورة، حتى انقلبت إلى نصب حية أو جامدة، وجعلوا من آمون إلها بعد أن كان رمز النور الشمسي فقط، وبهذا أصبحت الديانة المصرية أساسـا لما بعدها من ديانات وثنية أو مشركة؛ كالدين الكلـداني والفـارسي والإغريقي والرومـاني إلى عهـد «الإسـكندر» (356ق.م: 323ق.م). وظهور اليهودية والمسيحية والإسـلام بعد ذلك كان رجوعا بالحق إلى نصابه وبالتوحيد إلى نبعه»[1].

(1) الدين المقارن، مرجع سابق، ص56، 57.

المبحث الثالث

علاقته بمصر

.. يوجد مدينة أخرى تحمل اسم «منف» المعروفة بمنطقة «ميت رهينة» بالبدرشين - جيزة - اسمها «منف السفلى» قرب مدينة «دمنهور» القديمة جدا..

(العالم الفرنسي «إميلينو» في معجم البلاد والأماكن المصرية في العصر المسيحي).

بعد الاطمئنان إلى ترجيح كون «أخنوخ» و«هرمس الحكيم» و«تحوت» ما هم إلا مسميات ترمز إلى شخص واحد هو النبي «إدريس» أول رسل السماء، وثالث الأنبياء بعد «آدم» و«شيت» عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ، وكذا عدم الترجيح لحجج من ينفي هذا الارتباط[1]؛ وجب التعرف على سيرته ومسيرته عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وهي كما يلي:

أولا: مولده ونشأته

وقد أختلف العلماء في مولده ونشأته، فقال بعضهم إن سيدنا «إدريس» عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ولد ببابل، وقال آخرون إنه ولد بمصر، ولم يختلفوا في إقامته؛ فقد لازمته عند العرب صفة: «الساكن صعيد مصر»[2].

(1) مثل «إسماعيل حامد» في كتابه «هرمس الحكيم وعلاقته بالنبي إدريس»، حيث إنه يرفض الارتباط على أساس أن «هرمس اليوناني» يذكر في أساطير الإغريق على أنه سارق وراع لقطاع الطرق واللصوص، فكيف يكون هذا على علاقة بنبي يوحى إليه. وينسى الكاتب أن كثيرا من الأنبياء قد أتهموا في كتب يقولون عنها مقدسة بأفظع من ذلك. لذا فالراجح عند الباحث هو عدم التعويل على هذا الرأي.

(2) لابد من التسليم هنا بأن الأمر لم يقتصر على مصر وبابل فقط، بل إنه كما وقع الاختلاف بين الأمم على نسبته لهم دينيا؛ فقد وقع الاختلاف على نسبته لهم موطنا، فاليمن تعتبره يمنيا والعراق بابليا ومصر مصريا،=

«والروايات التي تعده بابليا تقرنه مع بناء بابل بعد الطوفان»[1].. وهذا من الأسباب الجوهرية في جعل بابليته مرجوحة، لكونه أولا قبل الطوفان، وثانيا جدا لـ «نوح» عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ على الراجح.

وقد اعترض كثيرون على كون مولده في «بابل»، مثل «رشدي البدراوي» (1955م: 2008م) في كتابه «قصص الأنبياء والتاريخ» الذي يقول عن هذا الافتراض أنه غير صحيح؛ لأنه مادام المقر الأخير إلى مصر فالأقرب إلى العقل أن يكون طريق باب المندب هو أقصر الطرق التي سلكها أجداده إلى مصر[2]. وقد كان أجداده - بنو شيت وبنو أنوش وقينان- قد سكنوا الهضبة الشرقية لوادي النيل قبل أن يسكنوا الغرب ناحية وادي النيل لتوفر المياه والمراعي، ولذلك ظهرت أولى حضارات العالم[3].

برغم أن بعضهم يتعامل مع كلمتي «بابل» و«بابليون» أنهما بمعنى ومغزى واحد، وهو «باب الله»[4]، وبرغم أن بعضهم يعتبر «بابل» أنه «قرية آل بلال» في الحجاز حيث الكلدانيون يسمون[5]، فإن هناك آخرين يؤولون كلمة «بابل» عن طريق التاريخ اللغوي للكلمة؛ بأن المقصود بها هو مصر. فهم يقولون: إن معنى «بابل» بالسريالية: «النهر». ويذكرون: «ولما وصل «إدريس» إلى مصر أو النيل فقالوا «بابليون» أي نهر كنهركم، وسموا مصر «بابليون»»[6].

بقي الاحتمال الثاني: أنه ولد في مصر. وهذا الاحتمال قد عضده كثير من العلماء والمؤرخين، ومنهم (على سبيل المثال لا الحصر):

= بل أن له في جبل لبنان ضيعة باسمه، ويذكر الهروي أن بلدة «حوران» هي مولد إدريس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ (انظر: الهروي، علي ابن أبي بكر، الإشارات إلى معرفة الزيارات، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ط1، 2002م، ص16).

(1) هرمس الحكيم بين الألوهية والنبوة، ص7.

(2) البدراوي، رشدي، قصص الأنبياء والتاريخ، نشر المؤلف، مصر، 1996م، ص53.

(3) المرجع السابق، ص47.

(4) انظر: الحكيم، سليمان، مصر الفرعوبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2005م، ص16.

(5) انظر: الصليبي، كمال، خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط6، 2006م، ص87، 88.

(6) الدين المقارن، ص56، وكذا: إخبار العلماء بأخبار الحكماء، مرجع سابق، ص2.

«ابـن أبي أصيبعـة» (600هـ: 668هـ) في «عيون الأنباء في طبقـات الأطباء» و«القفطي» (476هـ: 548هـ) في «أخبار العلماء بأخبار الحكماء»، و«ابن جلجل» (333هـ: بعد 377هـ) في «طبقات الأطباء والحكماء»، و«الألوسي» (1803م: 1854م) في «روح المعاني»، و«ابن إياس» (825هـ: 930هـ) في «بدائع الزهور»، و«ابن ظهيرة» (846هـ: حوالي 910هـ) في «الفضائل الباهرة»، و«القرماني» (939هـ: 1019هـ) في «أخبار الدول وآثار الأول»، وغيرهم كثير.

ويلاحـظ أنـه عند معظمهم: قد ولد في مصر (دون تسـمية مدينة أو حتى منطقة) ودائما يقرنون بذلك لقب: «السـاكن صعيد مصر» (بتسـمية منطقة الصعيـد) دون ذكر مدينة. أما بالنسبة لـ «ابن أبي أصيبعة» فيذكر أنه ولد في منف، وأنه سكن صعيد مصر[1]، وقد أخذ عنه «الإمام الألوسي» (1803م: 1854م) الرأي نفسه.

أما «الإمام السـيوطي» (849هـ: 911هـ)، وهو مؤرخ ومفسر معا فقد قال عنه بصريح العبارة: «ولد في مصر وخرج منها وطاف الأرض كلها، وكانت ملته الصابئة، وهي توحيد الله والطهارة والصلاة والصوم وغير ذلك من التعبدات»[2].

ثانيا: سيدنا «إدريس» ولد في مصر ولم يولد في «منف» المعروفة

ويحقـق «د. علاء عبد المتعال» عدم ولادته في «مدينة منف» المعروفة بـ «ميت رهينة» بالبدرشـين - جيزة - الآن - كما افترض المؤرخ «ابن أبي أصيبعة» (600هـ: 668هـ) في كتابه عيـون الأنباء في طبقات الأطباء الذي يفترض أنه «ولد في منف» فيقول: «وهذا خطأ تاريخي إذ أن تلك الشخصية كانت قبل تأسيس «مدينة منف» التي أسست في عهد أول ملوك الأسرة الأولى «مينا موحد الوجهين» على اعتبار أنه سابع أحفاد آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ».

وهنا احتمالات عدة، وهي:

1) إما أن يكون كلام «ابن أبي أصيبعة» غير صحيح، وهو ولد في مدينة أخرى غير «منف».

---

(1) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998م، ص31،32.

(2) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، ج1، مرجع سابق، ص428.

2) وإمـا أن يكون كلامه على وجه التقريـب والمقاربة، وهو ولد قريبا من المنطقة التي سميت فيما بعد بـ «منف» .

3) وإمـا أن يكـون كلامه صحيحا ولكن هنـاك مدينة قديمة تحمل اسـم «منف». وهي تاريخيا أقدم من منف المعروفة بـ(ميت رهينة) الموجودة بالبدرشين بمحافظة الجيزة. خاصة وأن البعض يعتبر أن كلمة «منف» حين تطلق على مدينة فإنها تعني أنها محاطة بسـور أو حصن (محصنة أو مسورة)، لأن كلمة «منف» باللغة المصرية القديمة تعني: «الجدار الأبيض» أو «السور الأبيض»[1].

.. وقـد حسـم هذا العـالم الفرنـسي «إميلينو» في «معجـم البلاد والأماكـن المصرية في العصر المسيحي»؛ مقررا وجود مدينة أخرى تحمل اسم «منف» اسمها: (منف السفلى) قرب «مدينـة دمنهـور»- القديمة جـدا- ولكنه يشـكك في اختفاء مدينة بمثل هـذه الأهمية في هذا المـكان[2]. كـما أنه يترجم لمكان يدعى «بوصير» ناحية «ممفيـس» أو (منف) التي لها علاقة بمدينـة «دمنهـور»[3]، كما أنه وهـو يترجم لمدينة «دمنهور» نفسـها يعلـق كونها لها علاقة ببلدة «بوصير» التي لها علاقة بمكان آخر مجهول عنده يسـمى «قرنطسـا» لا يحسـمه لصالح «دمنهور» لأنه يظن باختفاء «قرنطسا»[4].

وهـو الظن الذي ليس في محله، لأن «قرنطسـا» تلك هي في الحقيقـة إحدى أحياء مدينة «دمنهور» إلى الآن، واسمها الحالي «قرطسا».

ومن العجب أن «إميلينو» (1850م: 1915م) لم ينتبه إلى ما ذكره بعد عدة أسـطر - من كلامه السـابق - من أن «دمنهور» تنقسـم إلى خمسـة أقسام، منها قسم قرطسـا[5]؛ لأن نطقه اختلـف عند كتابتـه (كرتا)، حيث لا يوجد في «دمنهور» عام كتابة المعجم 1893-م- قسـم

(1) مصر الفرعوبية، مرجع سابق، ص16.

(2) إميلينيو، إميل كليمنت، معجم البلاد والأماكن المصرية في العصر المسيحي، ترجمة: حلمي عزيز، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، ط 1، 2005م، ص279.

(3) المرجع السابق، ص36 - 37.

(4) المرجع السابق، ص139.

(5) المرجع السابق، ص140.

اسـمه (كرتا) بل (قرطسـا)، وقد أختلف في نطق الأقسام الخمسة تقريبا، مما يؤكد اختلاط الأمور عنده[1].

وهـذا الاختـلاط عنـد «إميلنيـو» تنبه له غـير واحد، منهـم «محمد رمـزي» (1870م: 1945م) في «القاموس الجغرافي للبلاد المصرية»، خاصة في هذا الأمر، فقد أثبت أنها «قرطسا الدمنهورية»[2].

وحسما للأمر؛ فقد تعرف «شـامبليون» (1790م: 1832م) علي «منف» المختلف عليها، ويضعها في غرب مدينة «دمنهور»[3].

وقـد عضد من صحة كـون مدينة «دمنهور» أو غربها هي مدينـة «منف» أو «ممفيس» التي يعرفها الإغريق القدامى؛ ما ذكره الرحالة الألماني «كارسـتن نيبور» (1733م: 1815م) في كتابه الموسوعي «رحلة إلى بلاد العرب وما حولها» في قوله عند تعرضه لمدينة «ممفيس» القديمة: «ويبدو أن هناك إلى الآن - سنة 1761م: 1762م تقريبا - خلافا على موضع هذه المدينة، ومؤلفـو كتاب «التاريخ العـام للعالم» على الأقل يظنون أن هـذه المدينة هي مدينة «ممفيس المشـهورة»[4].. ثم يقرر بعدها تبعا لذلك: «أما «ممفيس» فكانت هي و«الإسـكندرية» تقع على الشاطئ الغربي للنهر»[5].

.. والاحتـمالات الثلاثـة السـابقة تصـب في مجرى واحـد؛ ألا وهو مدينـة «دمنهور»

(1) حيث قال عن «نقرها»: مكرها، وعن «سكنيدة»: صفيدة، وعن «طاموس»: تاموس (وهي هي تقريبا). مما يدل على أنه لم يعاين هذه المناطق معاينة ميدانية. وهذا ما قاله عنه «أ. د. محمد عبد الستار عثمان» في معرض تقديمه للمعجم في صفحة رقم «د».

(2) القاموس الجغرافي للبلاد المصرية، مرجع سابق، ج2، ص 290.

(3) معجم البلاد والأماكن المصرية في العهد المسيحي، مرجع سابق، نقلا عن: شامبليون، مصر الفرعونية، ج2، ص252 - 254.

(4) نيبور، كارستن، رحلة إلى بلاد العرب وما حولها، ج1، (رحلة إلى مصر)، ترجمة: مصطفى ماهر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2012م، ص211، نقلا عن: Allgemeine Welthistorie der neuern Zeien.1. Theil& 328, 329. Eutychii annals Tom. II..

(5) المرجع السابق.

بمحافظة البحيرة؛ لو وجدنا أي دليل أو أي قرينة تشير إلى كون (سيدنا «إدريس» عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) أو (هرمس) أو (تحوت) قد ولد فيها.

ثالثا: سيدنا «إدريس» ولد ونشأ في «دمنهور»، ثم سكن «الأشمونين» بصعيد مصر

لقد بان لكل ذي نظر؛ عجز المصادر العربية في حسم المدينة التي ولد فيها سيدنا «إدريس» عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وكذا المصادر اليهودية والعبرية فهي تذكر نسبه ولا تذكر مكان ولادته ولا نشأته.

بقي علماء التاريخ - خاصة علماء المصريات- عن طريق موطن الكائن الإلهي «تحوت» على أساس أنه أحد صور «هرمس» أو «إدريس» عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

وقد حسم علماء المصريات الغربيون - خاصة «فرانسوا ديماس» (1915م: 1984م) - موطن «تحوت» لصالح مدينة «دمنهور» في الوجه البحري أو «هرموبوليس بارفا» المتقدمة تاريخيا والتي يعتقد أنه كان يعبد فيها أولا، في مقابل مدينة «الأشمونين» بمحافظة المنيا في الوجه القبلي أو «هرموبوليس ماجنا» المتأخرة تاريخيا، والتي يعتقد أنه انتقل إليها من الوجه البحري[1]. وشاركه في هذا «ماريو توسي» (ولد في 1942م) و«كارلو ريو ردا»[2]. وهو الأمر الذي يوافق عليه من مصر الكثير؛ منهم على سبيل المثال: «محمد بيومي مهران» (ولد في 1928م)[3]، و«أحمد أمين سليم»، و«سوزان عبد اللطيف»[4]، ومن ليبيا: «علي فهمي خشيم» (1936م: 2011م)[5].

ما سبق يساهم في تفهم اللقب الذي صاحب اسم «سيدنا إدريس» عند العرب: (الساكن

(1) آلهة مصر، ص81.

(2) معجم آلهة مصر القديمة، ص51.

(3) مهران، محمد بيومي، دراسات في الشرق الأدنى القديم، ج5، الحضارة المصرية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ص315.

(4) المرجع سابق، ص143.

(5) علي فهيم خشيم، آلهة مصر العربية، ج1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1998م، ص351.

صعيد مصر)[1]. وفي هذا يقول «إسماعيل حامد»: «وإبان الحقبة اليونانية، أطلق على «دمنهور» اسم «هرموبوليس بارفا» وذلك تمييزا لها عن مدينة «هرموبوليس الكبرى» (الأشمونين). ويعتقد أن موطن «تحوت» الأصلي كان في غرب الدلتا، حيث توجد مدينة «دمنهور القديمة»[2].

رابعا: إشكالية أخرى مهمة

قول البعض: إن عالم الآثار «مانيتون» (325ق.م: 268ق.م) - نقلا عن بعض المؤرخين الذين عاصرهم- يقول: «إن سيدنا «إدريس» عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ولد في «إدفو»:

وكما يقولون نقلا عن «مانيتون» (325ق.م: 268ق. م): «ويذكر المؤرخون أن نبي الله «إدريس» عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ولد في مدينة «إدفو» في وسط مصر، وأنه كان يسمى (حورس)، كما كان أول من عرف العلوم الكونية والجيولوجيا والرياضيات». وممن ذكر هذا الرأي «أ.عزت الطهطاوي»[3]، وكذا «أ.عزت السعدني»[4]، و«د. محمود أبو الفيض المنوفي» (1891م: 1972م)[5].

ومن أوجب واجبات الباحث تلمس العذر للمجتهد المخطئ؛ خاصة في الأمور المختلطة التي يسيطر فيها الالتباس على الحقيقة، وخاصة في الأخطاء المتكررة، التي تصل لدرجة استحقاق الخطأ المتراكم. ومن هذه الأمور المختلطة، الدائمة الخلط ما يجده الباحث من غبش في موضوع يخص المدن القديمة المهمة التي لها أكثر من اسم، ويزداد الطين بلة لو كانت هذه المدينة مشتركة مع مدينة أخرى في الاسم نفسه.

(1) وفي هذا يقول إسماعيل حامد في كتابه هرمس الحكيم وعلاقته بالنبي إدريس، ص59: «وإبان الحقبة اليونانية، أطلق على «دمنهور» اسم «هرموبوليس بارفا» وذلك تمييزا لها عن مدينة «هرموبوليس الكبرى» الأشمونين. ويعتقد أن موطن تحوت الأصلي كان في غرب الدلتا، حيث توجد مدينة «دمنهور القديمة».

(2) هرمس الحكيم وعلاقته بالنبي إدريس، ص59.

(3) الطهطاوي، محمد عزت، النصرانية والإسلام، مطبعة التقدم، مصر، 1979م، ص43.

(4) فجر الضمير المصري، مرجع سابق، ص31.

(5) الدين المقارن، ص75.

وهـذا ما هو حادث باسـتمرار من خلط بين مدينة «دمنهـور» وغيرها من المدن، وخاصة مدينة «إدفو»، وذلك لأنه في علوم الآثار والمصريات ينصرف جل اهتمامهم نحو الشق الثاني من الحضارة الذي يمثل الجانب المادي، وهو (المدنية Civilization)، على حسـاب الشـق الأول الذي يمثل الجانب الإنساني في الحضارة (الثقافة Culture)، وذلك لكون الأول مرئيا حسيا ملموسا.

وعليه فالشـق الأول وهو المدنية ينحاز لصالح «إدفـو» ذات الآثار والمعابد التي خلفها التاريـخ. أمـا «دمنهور» فلم يخلفهـا التاريخ، ولكنه اسـتمر فيها، فبالتالي تـرى حضارتها في الثقافة غير المرئية بالعين، والمتمثلة في صورة الإنسان الكامنة.

والخلط سـببه اشـتراك «دمنهـور» منذ القدم مع «إدفـو» في أكثر من اسـم، فكل منهما يدعـى بالأسـماء الآتية: «بحـدت»، و«أبوللينوبوليـس»، و«مدينة حـورس». لكن ما يميز «دمنهور» هو استمرار اسم مدينة «حورس» (دي من حورس) معها واشتهارها به أكثر من «إدفو». وما يميز مدينة «إدفو» اشـتهارها باسـم «بحدت» عن طريق أحد أسماء «حورس» (حـورس البحدتي) رب «إدفـو»[1]، وكذا «أبوللينوبوليس» أكثر من «دمنهور» ويسـمونها «أبوللينوبوليس ماجنا» تمييزا لها عن «دمنهور» التي يسمونها «أبوللينوبوليس بارفا»[2].

لـذا فمن الراجح أن ذكر مدينة «إدفو» كموطـن للنبي «إدريس» عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لابد أنه قد بُني على استنتاج يقوم على اسم «بحدت»، لأنه في إبان عصر «مانيتون» (325 - 268 ق.م)[3]، وما قبله، لم تكن تسـمى بعد بـ «إدفو»، لأنها سـميت بهذا الاسم عند العرب فيما بعد[4]. وقد كانت تسمى في النصوص القديمة باسم «جبا» أو «جبو»[5].

واسـم «بحدت» عند المتخصصين في علوم الآثار يعـني «دمنهور» أولا، ثم يعني «إدفو» ثانيـة. لأنه من المعروف أن «دمنهـور» أقدم تاريخيا من «إدفو»، واسـم «بحدت» الموجود

(1) الديانة المصرية القديمة، مرجع سابق، ص239.
(2) المرجع السابق، ص291.
(3) لغز الحضارة المصرية، مرجع سابق، ص9.
(4) نور الدين، عبد الحليم، مواقع ومتاحف الآثار المصرية، دار الخليج العربي للطباعة والنشر، مصر، 1998م، ص190.
(5) حضارة مصر القديمة وآثارها، ص196.

في النصوص المصرية الأقدم المعروف يقصد به «دمنهور» كما يقول «د. عبد الحليم نور الدين»[1].

مما يوضح ويبين سبب ديمومة الخلط بين «إدفو» و«دمنهور» لدى بعض علماء المصريات. وبالتالي يضيف سهم لصالح مدينة «دمنهور» في انتساب سيدنا «إدريس» عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لها أولا قبل باقي المدن المصرية إن حسم موطن «حورس القديم» الوارد في كلام «مانيتون» لصالحها.

خامسا: حسم موطن «حورس» الأصلي لصالح مدينة «دمنهور»

ورغم الخلاف القائم بين علماء المصريات في تحديد موطن «حورس» الأصلي، فإن كثيرا منهم يعتقدون بأقدمية حورس الدلتا عن «حورس الإدفوي»[2].

ولحسم الأمر - أو على الأقل ترجيحه - باستدعاء بعض الحقائق الآتية لتلمس هذه الحقيقة المفقودة:

1) **«كورت زيتة» (1869م: 1934م) يحسم موطن «حورس» الأصلي لصالح مدينة «دمنهور»**[3].

2) **وكذلك: «ت. ج. ه. جيمز» ينحاز بالدلائل لكون الدلتا هي موطن «حورس» الأصلي**[4].

3) **وأيضا: «أدولف أرمان» (1854م: 1937م) يعتبر أن «دمنهور» هي «بحدت» الأقدم، ومعبدها لـ «حورس» هو الأقدم عن معبد «إدفو»**[5].

4) **وكذا: «ديمتري ميكس» و«كريستين فافار» يعتبران معبد «حورس» الذي كان**

---

(1) مواقع ومتاحف الآثار المصرية، مرجع سابق، ص5.

(2) الديانة المصرية القديمة، ص36.

(3) حضارة مصر القديمة وآثارها، ص196.

(4) كنوز الفراعنة، مرجع سابق، ص187.

(5) ديانة مصر القديمة، مرجع سابق، ص133.

بمدينـة «دمنهـور» أقدم معبد لهذا الرب[1]: ويقران لها باسـم «بحـدت» في إبان بناء المعبد، ويعتبران الاسم الحالي لمدينة «دمنهور» من تجليات هذه الحقيقة[2].

5) **و«ياروسـلاف تشـيرني» (1898م: 1970م) يـؤرخ لبناء معبد «حـورس» الإدفوي الذي يحوي قصة «حورس» القديم، والذي يعدونه سـيدنا «إدريس» عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بعهد بطليموس الثالث**[3]: (أي بعهد متأخر جدا عن بناء معبد «حورس» بمدينة «دمنهور»)، فبرغـم أن «عبـد الحليم نور الديـن» يؤكد على كون هذا المعبد لـه أصول ترجع إلى العصور المصرية القديمة[4]. فإن هذا لا يؤكد أقدميه «إدفو» على «دمنهور».

6) **ومن قبل ذلك نص حجر رشـيد يحسـم موطنه لصالح مدينة «دمنهور»**: ويعضد هذا الرأي حجر رشـيد نفسـه الذي جاء في سـطريه رقم (26 و27) ما يدل على أن انتصار «هرمس» و«حورس» على أعوان «سيت» كان قد حدث قرب مدينة «هرموبوليس بارفـا» أي «دمنهور»[5]. مما يؤكد على طرح «دمنهور» على مسرح الأحداث القديم في موضـوع ينسـبون له القدسـية، لأنه كما هو معـروف أنه في عهـد كتابة «حجر رشيد» - وهو عهد البطالسة - تلابس «حورس القديم» مع «حورس إيزيس»[6].

سادسا: مقاربة في العلاقة بين «هرمس» و«حورس» باستخدام «دمنهور»

يوجد لدى علماء المصريات إشكالية فجرتها مدينة «دمنهور» بتاريخها المزدوج المنسوب إلى «تحـوت» مـرة وإلى «حـورس» مرة أخرى، باسـميها المـزدوج «ديمن- حـورس» مرة

(1) ميكس، ديمتري وكريستين فافار، الحياة اليومية للآلهة الفرعونية، ترجمة: فاطمة عبد الله محمود، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2000م، ص23.
(2) المرجع السابق، وكذا: الإسلام والديانة المصرية القديمة، ص98.
(3) الديانة المصرية القديمة، ص3.
(4) مواقع ومتاحف الآثار المصرية، مرجع سابق، ص190.
(5) كمال، أحمد عادل، حجر رشيد والهيروغليفية، الزهراء للإعلام العربي، مصر، ط1، 1993م، ص25، في الهامش والمتن.
(6) الدين المقارن، مرجع سابق، ص76.

و«هرموبوليس- بارفا» مرة أخرى، مما دعا البعض للتوفيق بين الأمرين ظنا وترجيحا لحل المعضل. ومنهم «فرانسوا ديماس» (1915م: 1984م) الذي افترض أنهما مدينتان متجاورتان ولا يلزم الخلط بينهما حيث يقول: «فليس هناك ما يمكن تصوره أن مدينة هرمز توارت لصالح «حورس»، الذي كان أقل شهرة لدى الإغريق»[1].

وقد تكلم عن ذلك أيضا العالم «لبسيوس» Lepsius (1810م: 1884م)[2] في «قائمة أكسفورد» وقوائم الجغرافية القبطية كيف انتقلت «دمنهور» في تسميتها من نسبتها إلى «حورس» إلى نسبتها إلى «هرمس».

وهذه هي طريقتهم في التوفيق حتى يلائم التصور الإغريقي كمرجعية عليا. وهذا الكلام من الصعب قبوله على علاته، لاشتهار الاسمين لمدينة واحدة.

مما يدعو لمحاولة توفيقية أخرى، عن طريق عمل مقاربة بين «حورس» و«هرمس» اللذين وردا منتسبين إلى نبي الله «إدريس»، وفي الوقت نفسه قد وردا منتسبين إلى مدينة «دمنهور». وهذه المقاربة ليس المقصود بها انتحال الدليل ولي الحقائق ولكنها مقاربة المقصود بها أن تكون محاولة للفهم تقوم على افتراض ظني احتمالي بكون «حورس» القديم على علاقة ما بـ «هرمس» أو «تحوت»، ثم اختبار صحة هذا الافتراض؛ للاستئناس به في اختبار صحة نسبته عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إلى مدينة «دمنهور»، من خلال اسمين من أسمائه. ومن ثم التأكيد على علاقة «دمنهور» الوطيدة بالنبي «إدريس» عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، حتى عن طريق اسمها الحالي « دمنهور» أو « ديمن حورس».

وهذه المقاربة كالتالي:

1. «دمنهور» من المدن التي تعاقبت عليها الأسماء. فكما يقول «د. عبد الحليم نور الدين» عنها: «وعرفت في النصوص المصرية القديمة باسم «بحدت»، وفي النصوص

(1) آلهة مصر، ص116.

(2) زيتون، محمد محمود، إقليم البحيرة، دار المعارف، مصر، 1962م، ص101، نقلا عن: Lepsius Scala Geogr du copte d « Abbassinie 3 P :52 .

اليونانية باسم «هرموبوليس بارفا» وكذلك «أبوللينوبوليس»[1]. ومن المعروف أن «هرموبوليس» نسبة لـ «هرمس»، و«أبوللينوبوليس» نسبة لـ «أبوللو»- وهو المقابل الإغريقي لـ «حورس» كما ذكر «هيرودوت» (484ق.م: 425ق.م)[2]وغيره- مما يدل على أن الإغريق يستخدمون اسم «حورس» للمدينة نفسها.

2. يؤكد «مانيتون» (325ق.م: 268ق. م) في مذكراته عن عقائد المصريين القدماء على أن التوحيد هو لب تدينهم، وأرجع ذلك إلى رسل السماء، وعلى رأسهم «إدريس» عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، والذي كانوا يطلقون عليه (هوروس)، وهو الذي عرف هو وأتباعه الحورشوس أو أتباع «حوروس»، المسمى وقتهم بعصر ملوك الكهنة، وهو عصر ما قبل مينا أول العائلات الفرعونية، وكان يدعو المصريين إلى عبادة الواحد الأحد فعرفوا منه التوحيد[3]. وهو ما تبناه «د. محمود أبو الفيض» (1891م: 1972م)[4]، وكذا «د. هدى درويش» قائلة: «كان المصريون يعتقدون أن أجدادهم وأسلافهم (الحرشوس) إنما أوتوا أصل دينهم وقوانينهم من المحكمة الإلهية مباشرة على لسان نبيهم هوروس أو «هرمس»، وهو «إدريس» عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أو «أخنوخ» بالعبرية و«هيرماكيس» باليونانية»[5]. فـ«هرمس» و«حورس» عندهم شخص واحد، ولكن «د. أبو الفيض» يؤكد على أن «حورس» المقصود هو «حورس القديم» - الذي هو قبل «حورس إيزيس» المشهور الذي سمي بذلك تيمنا بالقديم- و«حورس القديم» هذا هو الذي رفع إلى السماء[6].

3. ويجتهد «إسماعيل حامد» في التقريب بين «هرمس» و«حورس» حيث يقول: «تعد كلمة «حور-مس» هي أقرب الكلمات ذات الأصل المصري لكلمة «هرمس»

(1) مواقع ومتاحف الآثار المصرية، ص55.

(2) هيرودوت يتحدث عن مصر، ترجمة محمد صقر خفاجة، دار القلم، مصر، 1996م، ص150.

(3) الدين المقارن، ص57.

(4) المرجع السابق، ص57.

(5) نبي الله إدريس بين المصرية القديمة واليهودية والإسلام، ص180.

(6) الدين المقارن، ص58 .

أو (هـور- مس) اليونانية. وكلمة (حور- مس) تعني «وليد حورس» وهي تستخدم على غرار كلمات «تحوت- مس» أي «تحوتمس» أو (وليد تحوت) و«رع- مس» أي «رعمسيس» أو (وليد رع أو ابن رع)[1]. ويوافقه في ذلك علامة اللغة «د. علي فهمي خشيم» (1936م: 2011م)[2].

4. تكلم الكثير عن علاقة ما بين تمثال «أبو الهول» و«هرمس الحكيم»، حيث يذكرون أن التمثال كان موجودا قبل عصر بناء الأهرامات مدفونا تحت التراب، وأنهم أزالوه عنه فقط في هذا العصر، وهو يرمز لـ «هرمس الحكيم». ومن هؤلاء «د. محمود أبو الفيض المنوفي» (1891م: 1972م)[3]، و«د. علي فهمي خشيم» (1936م: 2011م)[4]، و«إسماعيل حامد»[5]، و«خالد علي نبهان»[6]، ومن المعلوم أن الإغريق يطلقون على تمثال «أبو الهول» اسم «حورس في الأفق» بنطقها «حورماخيس» وهي النطق الإغريقي للنطق المصري «حور- إم- اخت»؛ فيقول البعض بتشابه الكلمات بين «هرمس» و«حور- مس» و«حورماخيس» أي «حورس في الأفق» الذي قالوا عنه أنه تخليد لـ «هرمس الحكيم»[7]. و«د. أبو الفيض» وكثيرون معه يعتبرون أن تمثال «أبو الهول» تخليد لشخص النبي «إدريس»[8].

5. يرى الإيطاليان: «ماريو توسي» (ولد في 1942م) و«كارلو ريو ردا» في إشكالية علاقة مدينة «دمنهور» بـ «حورس» و«تحوت» معا، أن «حورس» و«تحوت» متحدان معا من أجل الخلق[9]. وبالتالي هما لا يجدان مبررا لافتراض المدينتين المتجاورتين

(1) هرمس الحكيم وعلاقته بالنبي إدريس، ص44.
(2) آلهة مصر العربية، ج1، مرجع سابق، ص445.
(3) الدين المقارن، ص60.
(4) آلهة مصر العربية، ج2، ص576.
(5) هرمس الحكيم وعلاقته بالنبي إدريس، ص44.
(6) كشف المستور في الخبر المكنون، ص356.
(7) هرمس الحكيم وعلاقته بالنبي إدريس، ص44.
(8) الدين المقارن، ص60.
(9) معجم آلهة مصر القديمة، ص51.

التي تبناها «فرانسوا ديماس» (1915م: 1984م)، وغيره. ولعل هذا تأويل راجح لما ورد في الأسطورة الرمزية «أوزوريس» من أن المعركة الفاصلة التي استطاع «حورس» و«تحوت» هزيمة أعوان «سيت» كانت بالقرب من مدينة «دمنهور» - طبقا لما جاء في نص حجر رشيد بالسطر (27) باسم «المقاطعة»[1] - باسمها الإغريقي «هرموبوليس بارفا».

6. بل إن «د. محمود أبو الفيض» (1891م: 1972م) يؤكد على قول العالم «موريه» [moreh] (1868م: 1938م)، الذي أثبت أن حوريس المقصود في قصة حوريس ليس حوريس «إدفو» القديم الذي لا شك في وجوده قبل وجود الأسر، وقبل «حوريس بن إيزيس»»[2]. وقد ذكر «د. أبو الفيض» مقاربة تاريخية لتوقيت هذا الخلط حيث يقول: «في عصر البطالسة تلابس الاسمان»[3].

.. وعليه فإن «هرمس» و«حورس القديم» عند البعض وجهان لعملة واحدة، ويدل كل منهما على اسم من أسماء النبي «إدريس» عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وحسبما يقول «د. محمد عمارة»، وغيره عن سيدنا «إدريس» عَلَيْهِ السَّلَامُ: ولقد ولد في مصر، وخرج منها، وجاب الأرض المعمورة يومئذ كلها، ثم عاد إلى مصر، وفيها بعث، حتى رفعه الله مكانا عليا[4].

هنا.. يكون هناك أحد ثلاثة احتمالات في ولادته ونشأته وسكنه وبعثه؛ وهي:

1. سيدنا «إدريس» ولد ونشأ وبعث في مدينة «دمنهور» القديمة، ثم سكن مدينة «الأشمونين» بمحافظة المنيا بصعيد مصر، ثم جاب الأرض ومنها مدينة «إدفو» وغيرها.

---

(1) انظر: حجر رشيد والهيروغليفية، مرجع سابق، ص25، في الهامش.
(2) الدين المقارن، ص58، وص 75.
(3) المرجع السابق، ص76.
(4) أنبياء مصر عبر التاريخ.

2. أو ولـد ونشـأ وبعـث في «دمنهـور»، ثـم جـاب الأرض، ثـم رجـع مصر، وسـكن «الأشمونين»، وربما سكن «إدفو».

3. أو ولد ونشـا في «دمنهور»، ثم جاب الأرض، ثم رجع مصر، وسـكن «الأشمونين»، وبعث فيها، وربما سكن «إدفو» أو بعث فيها.

نتيجة:

وعليـه.. فإن «دمنهـور» هي أقرب المـدن في العالم التـي يمكن أن تكـون موطنا للنبي «إدريس» عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ.

وبعد: فكون مدينة «دمنهور» أقرب المدن لأن تكون مدينة أول رسل السماء سيدنا «إدريس» عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، والمسـمى في الثقافة الغربية بـ «هرمس مثلث الحكمة» الذي تأثرت به كل ثقافات العالم القديم والحديث.

وكون «دمنهور» اسـتمرت فيها الحياة بدون انقطـاع ولم تدفنها الرمال كما يقول «د. عبد الوهاب المسـيري»(1938م: 2008م)[1]، وكذا اسـتمرت الثقافة فيها المتمثلة في الإنسان على امتداد التاريخ؛ كل ما سبق يومئ بكونها:

(منطقة انطلاقة الإنسانية العاقلة ومهد التوحيد في العالم).

---

(1) (انظر: المسيري، عبد الوهاب، رحلتي الفكرية، دار الشروق، مصر، ط3، 2008م، ص16)، وقد ورد فيه: «ولدت في دمنهور، عاصمة البحيرة، وهي مدينة صغيرة في دلتا مصر تقع بالقرب من الإسكندرية. وحينما نشأت فيها طفلا، كانت تتميز (من منظور رحلتي الفكرية) بوجود عبق التاريخ فيها، برغم أنه لا توجد فيها آثار فرعونية أو قبطية أو إسلامية. وقد عرفت ممن هم أعلم مني بالآثار، أن هذه هي الحال دائما مع المدن الصغيرة التي تستمر فيها الحياة عبر العصور (على عكس المدن التي يتوقف فيها التاريخ وتدفنها الرمال). إبان نشأتنا في دمنهور كانوا يخبروننا أن اسمها هو(دم نهور) لأن الدماء، كما قالوا لنا حينذاك، سالت فيها أنهارا في أثناء إحدى المعارك الحربية في الماضي. ثم عرفنا فيما بعد أن هذه التسمية فلكلورية، وأن دمنهور هي (دمن حورس)، أي (مدينة الإله حورس)». ثم يتابع قائلا: «عرفنا أن دمنهور من أقدم مدن العالم، وأنها كانت عاصمة الوجه البحري قبل توحيد القطرين (يقال إنها هي و«دمشق» المدينتان الوحيدتان اللتان استمرت فيهما الحياة بدون انقطاع مع احتفاظهما باسميهما اللذين عرفا بهما في الماضي»).

الفصل الثالث

ما نسب إليه من أخبار بين الحقائق والأباطيل

.. ويسمونه «هرمس الهرامسة»، ويكذبون عليه أشياء كثيرة كما كذبوا على غيره من الأنبياء والعلماء والحكماء والأولياء»..

(من مقولات الحافظ «ابن كثير» في كتاب «البداية والنهاية»).

الفصل الثالث

ما نسب إليه من أخبار بين الحقائق والأباطيل

المبحث الأول

الأسطورة في سيرته

.. «لقد نشأ التاريخ من الأساطير، وهي شكل بدائي في التعبير والإدراك يكون فيه الحد بين الحقيقة والخيال»..

(من مقولات المؤرخ الكبير «أرنولد توينبي»).

الخبر كمعنى لغوي هو النبأ[1]، لكن النبأ في اصطلاح العرب هو خبر ولكن ذو شأن وعظيم، كمثل قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ﴾ [سورة ص: 21] والخبر كحدث ينقل لذاته كأخبار الحروب ووقائع التاريخ، لكنه في اصطلاح المحدثين هو مرادف للحديث، وهناك أيضا من يفرق بينهما بعلاقة خصوص وعموم، حيث كل حديثًا خبر وليس كل خبر حديث، لأنهم يعتبرون الحديث هو حديث عن النبي ﷺ، والخبر هو ما جاء عن غيره. لذا يطلق الإخباري على من يشتغل بالتواريخ ونحوها، والمحدث على من يشتغل بالسنة.

والخبر في مدى دقته من حيث الصحة والاعتلال هو الكلام الذي يحتمل الصدق

(1) انظر: لسان العرب، مادة «نبأ».

والكذب بغض النظر عن قائله، والإنشاء هو الكلام الذي لا يحتمل أن يوصف بكذب ولا صدق ويكون مشتملا على أدوات الإنشاء وهي الأمر والنهي والعرض والتمني والرجاء والسؤال.

أما الأسطورة فإنها خبر يمتلئ بالتفاصيل الخرافية، لكن الأسطورة تستند إلى حقيقة تاريخية، فهي ليست خيالا محضا كالخرافة، حيث إن الخرافة لا تستند غالبا على أي حقائق تاريخية. كما إن هناك معيارا آخر ينحاز للأسطورة يجعلها متفردة على الخرافة، ألا وهو «القداسة».. مع العلم أن الحدود بين الخرافة والأسطورة ليست دائما على ما نشتهي من الوضوح[1].

وموجبات البحث في موضوع سيرة ومسيرة نبي الله «إدريس» تقتضي وقفة عند موضوع الأسطورة وحجيتها في الدراسات التاريخية، لأن الموقف منها سيحدد موقفنا تجاه الكثير من الأخبار والأساطير التي وردت عن نبي الله «إدريس» سواء بصوره المختلفة (العربية والإغريقية والعبرية والمصرية القديمة).

وقد فعل ذلك غير باحث في مثل هذا الشأن، مثل «أ. د. علاء الدين عبد المتعال» في كتابه «هرمس مثلث الحكمة بين الواقع والأسطورة» و«أ. د. هدى درويش» في كتابها «نبي الله إدريس بين المصرية القديمة واليهودية والإسلام»؛ فهما قد أفردا مباحث خاصة كوقفة مطولة على تعريف الأسطورة وعلى الموقف الراجح في التعويل عليها[2].

---

(1) انظر: السواح، فراس، الأسطورة والمعنى، دراسات في الميثولوجيا والديانات الشرقية، دمشق، سوريا، ط1، 1997م، ص93.

(2) وقد قام كل منهما بتوظيف مبحثه توظيفا خاصا في كتابه يختلف فيه كل منهما عن الآخر، وكذا يختلف توظيف الكاتب هنا عن توظيفهما معا. فقد أفرد «أ. د. علاء الدين عبد المتعال» نصف الفصل الثاني عن الأسطورة في محاولة للرد على التساؤل («هرمس» الإنسان هل هو خيال أم عمق فكري؟)، أما «أ. د. هدى درويش» فقد عالجت موضوع الأسطورة في المبحث الأول من الفصل الأول بعنوان «القصص بين العقيدة اليهودية والإسلامية»، والكاتب هنا يعقد مبحث الأسطورة كمقدمة منطقية لترجيح موقف ما من كل الأساطير التي وردت عن النبي إدريس (هل نصدقها أم نكذبها؟.. أم نقف منها موقف الإسرائيليات؟).

أولا: حجية الأسطورة في الدراسات التاريخية

تلتقي الأسطورة مع الفلسفة في أنهما تهتمان بالموضوعات الكلية ورؤية الكون، ولكنهما تختلفان في طريقة التناول والتعبير، فبينما تلجأ الفلسفة إلى المحاكمة العقلية وتستخدم المفاهيم الذهنية كأدوات لها، فإن الأسطورة تلجأ إلى الخيال والعاطفة والترميز وتستخدم الصور الحية المتحركة[1].

وعلى الرغم من كثرة الشكوك التي أثيرت حول القيمة التاريخية للأساطير، فإن كثيرا من الباحثين يعد الأسطورة مصدرا من مصادر التاريخ، وقد تمكن هؤلاء من التعامل مع المادة الواردة في الأساطير واستخلاص القيمة التاريخية منها، وذهبوا إلى أنه على كل حال ستبقى الأسطورة أحد مصادر الاستدلال في البحث التاريخي.. «فالأسطورة لا يعرف لها مؤلف معين لأنها ليست من نتاج خيال فردي بل ظاهرة جماعية يخلقها الخيال المشترك للجماعة وعواطفها وتأملاتها ولا تمنع هذه الخاصية الجماعية للأسطورة من خضوعها لتأثير شخصيات روحية متفوقة تطبع أساطير الجماعة بطابعها وتحدث انعطافا دينيا جذريا في بعض الأحيان»[2]

وهناك من يعتبرها أنها الصياغة الأولى للتاريخ كمرحلة أولية مثل «أحمد كمال زكي» (1927م: 2008م) في قوله: «إن الأساطير في انتقالها عبر التاريخ من مكان إلى مكان ومن جماعة إلى جماعة تسجل تاريخا وتحفظ مشاهد وجدت حقيقة وبقدر ما تدل عليه فإن الأسطورة هي الصياغة الأولى للتاريخ والجغرافيا والاجتماع»[3].

بل إن منهم من صعد بها إلى أن اعتبرها التاريخ نفسه؛ مثل «وديع بشور» (1930م: 2015م) بقوله: «وإن لم تكن هي التاريخ»[4]. ويرى «يوهيمروس» (331ق.م: 251ق.م):

(1) الأسطورة والمعنى، مرجع سابق، ص13.
(2) المرجع السابق، ص12.
(3) زكي، أحمد كمال، الأساطير- دراسة حضارية مقارنة، مكتبة الشباي، مصر، 1975م، ط1، ص122.
(4) بشور، وديع، الميثولوجيا السورية وأساطير آرام، مؤسسة فكر للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1981م، ص17.

«أن الأسطورة هي التاريخ في صورة متنكرة»[1]. بل إن المؤرخ الكبير «أرنولد توينبي» (1889م: 1975م) ليقرر: «لقد نشأ التاريخ من الأساطير، وهي شكل بدائي في التعبير والإدراك يكون فيه الحد بين الحقيقة والخيال»[2].

فأما عن أهمية الأسطورة في دراسة الفكر الإنساني عامة فيقول «صموئيل كريمر» (1897م: 1990م) «فهي أول محاولة لوضع مفاهيم فلسفية تهدف إلى إنقاذ الإنسان من متاهات الجهل بأسرار الطبيعة وظواهرها»[3]. وكذا تقول «فضيلة عبد الرحيم»: «الأسطورة تمثل عنصرا مهما لا يمكن عزله عن التاريخ الإنساني وعن ثقافة الإنسان فهي تعبر عن الروح الذاتية في كافة الحضارات وأن عالمها يزخر بالقيم الإنسانية العالية والعبر الفريدة التي يستفاد منها في مجالات كثيرة كالأخلاق وآراء الناس حول الموت والحياة وتكشف أسلوب تفكير الجنس البشري وتساعدنا على معرفة طريقة حياته»[4].

وأما عن رمزية الأسطورة في الفكر الإنساني ففي تعريف «موسوعة «لالاند الفلسفية» إضاءة جلية، فقد ورد فيها: «الأسطورة تتمثل فيها قوى الطبيعة في صورة كائنات شخصية ويكون لأفعالها معنى رمزي»[5]. و«فراس السواح» (ولد 1941م) يقرر أيضا: «أن الأسطورة تنتزع الإنسان من الزمان الذي يخصه، من زمانه الفردي الذي لا ينازعه فيه منازع، زمانه التاريخي المتسلسل بترتيب ونظام، وفيما بعد تسقطه على الأقل بصورة رمزية في الزمان والمكان الكبير في لحظة المفارقات التي تأبى القياس لأنها لا تتآلف منه ديمومة»[6].

(1) خان، محمد عبد المعيد، الأساطير والخرافات عند العرب، دار الحداثة، بيروت، لبنان، 1981م، ص17.
(2) توينبي، أرنولد، تاريخ البشرية، تحقيق: نقولا زيادة، الأهلية للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، ط4، 2003م، ص64.
(3) كريمر، صموئيل نوح، الأساطير السومرية، ترجمة: يوسف داود عبد القادر، مطبعة المعارف، بغداد، العراق، 1971م، ص14.
(4) حسين، فضيلة عبد الرحيم، فكرة الأسطورة وكتابة التاريخ، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2008م، ص11.
(5) لالاند، أندريه، موسوعة لالاند الفلسفية، منشورات عويدات، بيروت، 1996م، ط1، ج2، ص850.
(6) الأسطورة والمعنى، ص13.

وأمـا عن دلالات الأسـطورة فيقول «إبراهيـم مدكور»: «كما تدل الأسـطورة على ما كتبه الأقدمون وتركوه من روايات وحكايات خارقة للطبيعة البشرية»[1].

وعن وظيفتها الاجتماعية يقول «السيد حنفي»: «هي تثبيـت الأفكار التي يقوم عليها الدين والقيم السائدة في المجتمع، وتوجيه الناس إلى المثل الاجتماعية التي عليهم أن يحققوها في حياتهم»[2].

ثانيا: ضعف حجية الأسطورة في الفكر الإسلامي

لكـن.. من المعلـوم بداهة؛ ضعف حجية الأسـاطير من منظور الفكر الإسـلامي الذي يضعف من مكانتها. فالأسطورة في المعاجم العربية مفرد أساطير، وهي الأباطيل، والأحاديث العجيبة، والأحاديث التي لا نظام لها»[3].

أما عن تعريف الأسـطورة اصطلاحا كما ورد في الموسـوعة الإسلامية للمجلس الأعلى للشـئون الإسـلامية فهو: «هي حكايات غريبة خارقة ظهرت في العصور الموغلة في القدم، وتناقلتهـا الذاكرة البشرية عبر الأجيال، والهدف منها تفسـير الظواهر الطبيعية، أو العقائد الدينية، أو الأحداث التاريخية الموغلة في التاريخ القديم»[4].

وفي هـذا يذكـر المؤرخ المقريـزي (764هـ: 845هــ): «أن لكل أمة مـن البشر تاريخ، وأول الأوائل القديمة وأشهرها هو كون مبدأ البشر وأن لأهل الكتاب من اليهود والنصارى والمجوس في كيفيته وسـياقه التاريخي وكل ما يتعلق معرفته عند بدء الخلق وأحوال السالفة مختلط بأساطير لبعد العهد وعجز المعتنى به عن حفظه»[5].

(1) مدكور، إبراهيم، معجم العلوم الاجتماعية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1975م، ص248.
(2) عوض، السيد حنفي، علم الإنسان، المكتب الجامعي الحديث، مصر، ط1، 2010م، ص210، 211.
(3) مادة «سطر».
(4) إبراهيم، عوض، الأسطورة، الموسوعة الإسلامية العامة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، 2003م.
(5) المقريزي، تاج الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد، الخطط، تحقيق: محمد مصطفى زيادة، دار التحرير للطبع والنشر، القاهرة، ص469.

لكن «حميد الياسري» يفسر تجاهل الفكر الإسلامي - القائم على التوثيق المتقن - للأسطورة في قوله: «ومما ضاعف من صعوبة البحث إغفال بعض الإخباريين والمؤرخين العرب لكثير من الأحوال الدينية والاجتماعية قديما فاعتبروا الأسطورة من قبل العادات الوثنية مما أبقى لنا أخبارا ضئيلة ينقصها التفصيل والوضوح»[1].

ثالثا: هل الإسرائيليات من الأساطير؟

والكثير من الباحثين يعد الإسرائيليات مصدرا مهمًّا من مصادر الأساطير الدينية، ففي هذا تقول «هدى درويش» عن الروايات اليهودية: «فكان التوجه إلى أسلوب الأسطورة الذي أخذ شكلا من أشكال السرية بما يتناسب مع العصر والمكان، حيث اعتبروا كتابتهم مقدسة لأنهم أعدوا أنفسهم ورثة الأنبياء»[2]. بل أنه في اصطلاح علماء الحديث والتفسير ما يتعامل معها وكأنها أساطير، فكما يقول «سمير شليوة» عن مفهوم الإسرائيليات: «هو كل ما تطرق إلى التفسير والحديث من أساطير قديمة منسوبة في أصل روايتها إلى مصدر يهودي أو نصراني أو غيرهما»[3].

ناهيك عمن اعتبر الإسرائيليات من المؤامرة على الإسلام، مثل الشيخ «محمد حسين الذهبي» (1915م: 1977م) الذي ذكر عنها أنها تشمل كل ما دسه أعداء الإسلام من اليهود على التفسير والحديث بهدف إفساد عقائد المسلمين[4].

لكن الفصل في ذلك هو قول رسول الله ﷺ فيما رواه عنه «أبو داود» في سننه: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا آمنا بالله ورسله، فإن كان باطلا لم تصدقوه

(1) الياسري، حميد مصطفى ناجي، الأسطورة وأثرها في حياة العرب الاجتماعية قبل الإسلام، رسالة ماجستير، جامعة الكوفة، كلية الآداب، العراق، 2002م.

(2) نبي الله إدريس بين المصرية القديمة واليهودية والإسلام، ص 39.

(3) شليوة، سمير عبد العزيز، الدخيل والإسرائيليات، في تفسير القرآن الكريم، القاهرة، 1983م، ص14.

(4) الذهبي، محمد السيد حسين، الإسرائيليات في التفسير والحديث، سلسلة البحوث الإسلامية، مجمع البحوث الإسلامية، الكتاب 37، مصر، 1971م، ص19، 20.

وإن كان حقا لم تكذبوه»[1].. وهذا لا يشمل ما يتعارض مع الأصول والمقاصد والقطعيات الإسلامية، بل يشمل ما هو مسكوت عنه في الشرع ويقع في منطقة التردد بين الصدق والكذب فيجب التوقف فيه، لا نكذب ولا نصدق. والأسلم تفويض علم ذلك إلى الله تعالى.

رابعا: الأسطورة وزمن النبي «إدريس»

يعتقد كثير من المؤرخين مثل «ديبوي» أن معظم الأساطير ترجع في مصدرها بالأساس إلى «مصر»[2]، ويعتقد الكثير منهم أيضا أن الأساطير تنتمي إلى ما قبل عهد سيدنا «إدريس» عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ المسمى في التوراة بـ «أخنوخ»، أو في عهد «أنوش» جده، وأحيانا يشيرون إلى «أخنوخ» نفسه بلقب «أنوش».. وقد اتفق معظمهم كما يقرر «فراس السواح» (ولد 1941م): «على أن الأسطورة تعود إلى أزمان سحيقة في التاريخ الإنساني قبل معرفة الكتابة بزمن طويل»[3]. ويتساءل «عمرو منير»: «متى بدأ عصر الكتابة الرمزية وأين فلا يعرف حتى الآن»[4]، لكنه يرجح قول «محمد بن أبي السرور الشافعي» (971هـ: 1007هـ) في كتابه «القول المقتضب» بقوله: «وفي التراث أن («أنوش» هو أول من خدش الخدوش)، و«أنوش» من سلالة آدم الإنسان الأول، اهتدى إلى النقش على الطين بعد أن لاحظ طبعة أقدامه على الأرض[5].

فالأسطورة كانت قبل زمن النبي «إدريس» لها اليد الطولى في التأريخ لتلك الفترة، وربما قد عاش عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وسطها، بل إنها امتدت من بعده كثيرا، فهو أكثر إنسان في تاريخ الإنسانية نسجت حوله الأساطير، بل أننا لا نستطيع أن نوثق حقيقة واحدة تخص سيرته توثيقا تاما قطعيا لا ظن فيه، إلا ما ذكره القرآن الكريم عنه وقليل من السنة النبوية التي ما أكثرت في الحديث عنه.

---

(1) أخرجه أبو داود في سننه في العلم، (3159).

(2) أثينا السوداء، ص319.

(3) السواح، فراس، مغامرة العقل الأولى، دراسة في الأسطورة السورية وبلاد الرافدين، دار علاء الدين، دمشق، سوريا، 1993م، ص14.

(4) منير، عمرو عبد العزيز، مصر في الأساطير العربية، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، 2016م، ص69.

(5) المرجع السابق.

لذا فإن مترجم «مخطوطات البحر الميت» يتساءل في مقدمة الترجمة عن الفقرة الوحيدة التي وردت في التوراة عن «أخنوخ النبي»، والتي تقول: (وسار «أخنوخ» مع الله ولم يوجد لأن الله أخذه).. فيتساءل: «هل كانت هذه الفقرة انطلاق لدور أسطوري متعلق بـ «أخنوخ»؟»[1].

والأسطورة ليست خيالًا كما يعتقد البعض، وهي أيضا ليست حقيقة نهائية مسلمًا بكل تفاصيلها. لأن الأسطورة ترتكز على المبالغة والتضخيم كما يقول «حسين فهيم»: «تتضمن تصورا ما عن حدث معين أو شخص كان له وجود تاريخي، ولكن الخيال الشعبي أو التراث في حرصه على تأكيد قيمة معينة أو رمزية خاصة يلجأ إلى تصوير ذلك الحدث أو تلك الشخصية في إطار المبالغة والتضخيم، ومن المعروف أن المفهوم الإثنوجرافي لا يجرد الأساطير تجريدا تاما من الحقيقة لا يلبث أن ينمو ويتضخم بفعل الخيال الشعبي»[2].

وفي حديثها عن الأخبار الواردة عن «إدريس» عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، تقول «هدى درويش»: «وقد توقف معظم المفسرين الإسلاميين وكتاب سير الأنبياء عن سرد تفاصيل قصته؛ لأن معظم مصادرها جاءت عن اليهود، واليهود شديدو الولع برواية القصص والأساطير الخرافية وخاصة المتعلقة بالشخصيات التاريخية المقدسة التي تمثل جزءا مهما في تراثهم الديني والثقافي»[3].

.. أما عن المبالغات في إضافة الألوهية إليه بوصفه عند البعض إلها؛ فيقول «علاء الدين عبد المتعال»: «ويمكن استنتاج فكرة الألوهية التي أضافها القدماء لتلك الشخصية كما كانوا يفعلون بالنسبة للشخصيات المتميزة التي كان لها أثرها على حياتهم في الواقع الإنساني مما أدى إلى تخيل الأساطير الفولكلورية التي تعمق وجودها الواقعي والإيماني في ذات الوقت»[4].

---

(1) مخطوطات البحر الميت، ج2، مرجع سابق، ص19، 20.

(2) فهيم، حسين محمد، أدب الرحلات، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد138، 1989م، ص138، 139.

(3) نبي الله إدريس بين المصرية القديمة واليهودية والإسلام، ص11، 12.

(4) هرمس مثلث الحكمة بين الأسطورة والواقع، ص22.

الموقف الراجح من التعامل مع الأساطير:

لـذا فإن الموقـف الراجح من الأسـاطير، وبخاصة التي وردت في شـأن النبي «إدريس» عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؛ أن نتعامـل معهـا كـما الإسرائيليات، فـما وافق الأصـول والقطعيـات والمقاصد الإسـلامية نوافقـه، وما تتعـارض معها نعارضـه، وما تردد بـين القبول والرفـض لا نكذبه ولا نصدقه.. بل نتعامل معه بدرجة التردد نفسها[1].

(1) من ذلك: ما أثاره بعض المنتقدين لمقولة الشيخ «علي جمعة» عند كلامه عن تجذر التوحيد عند المصريين القدماء، وجاء في سياق حديثه أن بعض العلماء ومنهم الشيخ «د. محمود أبو الفيض المنوفي» قد ذكر أن من الأخبار الواردة عن سيدنا «إدريس»؛ أن تمثال «أبو الهول» هو تجسيد رمزي لشخصيته عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ. ففضيلة الشيخ أورد ما أورد نقلا لا اجتهادًا منه، وموقفه من هذه المقولة كناقل هو الموقف الصحيح.. ولكن أكثر رواد مواقع التواصل الاجتماعي لا يعلمون.

المبحث الثاني

ارتباط سيرته بما ورد عنه من أخبار بين الحقيقة والأسطورة

.. العقيدة الهرمسية المزعومة تجعل من «تحوت المصري» المؤلف الحقيقي لكل الأفكار التي اكتشفها العقل الإنساني. بل إن أتباع الهرمسية كانوا يعتقدون أن «تحوت» أو «هرمس المصري» هو أب لكل أنواع الحكمة والاختراعات، وكذلك التشريعات والعقائد الدينية، وأن كل ما اكتشفه الإنسان وكتبه ما هو إلا أفضال «هرمس»..

(من مقولات «إسماعيل حامد» في كتاب «هرمس الحكيم وعلاقته بالنبي إدريس»).

وهذا المبحث سيذكر كل ما ورد من أخبار عن النبي «إدريس» بصوره المختلفة (العربية والمصرية القديمة والإغريقية والعبرية) دون تمييز بينها، لأن الأخبار - كما هو معلوم - تحتمل الصدق وكذا تحتمل الكذب. والهدف هنا ليس في تحقيق الواقعة المذكورة أيا كانت وأيا كان مصدرها - وإن كان كثير منها يصل لحد الخرافات والأباطيل - بقدر ما هو ذكر لمدى تأثير تلك الشخصية الموغلة في القدم في أفكار ومعتقدات وفلسفات عدة، مازال كثير منها قيد التشغيل إلى الآن في سماء المعرفة.

أولا: الحقائق الموثقة عن النبي «إدريس» في الإسلام

أ) ما ورد في القرآن الكريم:

حيث ذُكر في القرآن باسمه مرتين فقط. وقد أتى وصفه بصفات ثلاث: الصدق والصبر وعلو المنزلة، وذلك كما يلي:

1- ما ورد في سورة مريم (56، 57): ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ٥٦ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ [مريم: 56، 57].

2- ما ورد في سورة الأنبياء [85]: ﴿ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِدۡرِيسَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الأنبياء: 85]. وقد نشأت في ظلال تأويل ﴿ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ [مريم: 57]. وفي هذا السياق ظهرت الكثير من التفسيرات التي أثرت في الفكر الإنساني كله - كما سنرى - فمن قائل إن المكان العلي هو «الجنة»، مثل «الحسن البصري»، ومن قائل إنه رفع إلى السماء ولم يمت، مثل «ابن نجيح» كما ورد في تفسير «ابن كثير» (700هـ: 774هـ). علاوة على كثير من الشطحات التي ترتبت على ذلك، مثل قول البعض أنه مازال حيا، وأنه طواف مثل «الخضر» أو هو «الخضر» نفسه.. إلخ.

ب) ما ورد في صحيح السنة النبوية: وهما حديثان اثنان يعول عليهما:

الأول: ما جاء في الصحيحين في حديث الإسراء أن رسول الله ﷺ مر به في السماء الرابعة[1].

والثاني: ما جاء في صحيح «ابن حبان» (883م: 965م) حيث يذكر في صحيحه أن أبا ذر سأل النبي ﷺ: «كم كتابا أنزله الله قال: «مائة وأربعة كتب، أنزل على «شيث» خمسون صحيفة، وأنزل على «أخنوخ» ثلاثون صحيفة... «يا أبا ذر أربعة سريانيون آدم وشيت ونوح وأخنوخ وهو إدريس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وهو أول من خط بالقلم، وأربعة من العرب هود وصالح وشعيب ونبيك محمد يا أبا ذر»[2].

ظنية كل باقي الأخبار والمرويات عن النبي «إدريس»:

وعليه.. فإن كل ما دون ذلك من أخبار هو من قبيل الظني سواء ما جاء عن طريق «حديث نبوي»، أو «أثر»، أو ما جاء في تفسير القرآن الكريم، أو من مبالغات وشطحات الملل والنحل، أو من أخبار أهل الكتاب سواء في كتبهم التي يعتمدونها أم في كتبهم المنحولة

---

(1) أخرجه البخاري في «بدء الخلق» (2968) و«المناقب» (3598)، ومسلم في «الإيمان» (234).
(2) أخرجه ابن حبان في صحيحه، (2/ 77).

مثـل «أسـفار الأبو كريفا» وغيرهـا، أو حتى من الخرافات المنسـوجة عنـه، وأحيانا كثيرة الأسـاطير.. حيث نسـوقها كلها دون تدقيق، لا بغرض تبنيها ولكن بغرض التعرف على أي مدى قد بلغ اسـتخدام تلك الشـخصية الموغلة في القدم وتأثيرها في معظم عقائد وفلسـفات الدنيا كلها بما فيها الفلسفات الوضعية.

والمنهـج القويم في التعامل مع تلك الأخبار هو نفس المنهج الراجح في الفكر الإسـلامي في التعامل مع الإسرائيليات، فما وافق الأصول والقطعيات والمقاصد الإسـلامية نوافقه، وما تعارض نعارضه، وما تردد بين القبول والرفض لا نكذبه ولا نصدقه.. بل نتعامل معه بدرجة الترد نفسها.

ثانيا: قولهم بأنه في عمود نسب النبي محمد

هو أمر شـبه متعارف عليه في تاريخ الفكر الإسـلامي، إلا فيما يخص «الإمام البخاري» (194هــ: 256هــ) - كفقيـه لا كمحدث - الذي يشـكك في تلك الحقيقة مسـتندا على تأويله لحديـث الإسراء، وقد نقد الكثير مـن العلماء ذاك التصور من البخـاري، ومنهم الإمام «ابن كثير» (700هـ: 774هـ).

وقـد جاء في كتاب «البداية والنهايـة» لــ «ابن كثير»: «فإدريس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قد أثنى الله عليه ووصفه بالنبوة والصديقية. وهو خنوخ هذا. وهو في عمود نسب رسول الله ﷺ على ما ذكره غير واحد من علماء النسب»[1].

رغـم اعتراض الإمام «البخاري» الذي قال: «ويذكر عن «ابن مسـعود» و«ابن عباس» أن «إلياس» هو «إدريس»، واستأنسـوا في ذلك بما جـاء في حديث «الزهري» عن «أنس» في الإسراء أنـه لمـا مر به عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قال له مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح، ولم يقل كما قال «آدم» و«إبراهيم» مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قالوا فلو كان في عمود نسبه لقال له كما قالا له.

(1) البداية والنهاية، ج1، ص99.

لكـن الحافظ «ابن كثـير» (700هـ: 774هـ) قال بعد أن نقل ذلك ما يدل على ضعف رأي البخـاري وأنـه رأي لا يعـول عليه، وذلك في قولـه: «وهذا لا يدل ولابد، لأنـه قد لا يكون الراوي حفظ جيدا؛ أو لعله قاله له على سبيل الهضم والتواضع ولم ينتصب له في مقام الأبوة كـما انتصـب لـ «آدم» أبي البشر و«إبراهيم» الذي هو خليـل الرحمن وأكبر أولي العزم بعد محمد صلوات الله عليهم أجمعين»[1].

ثالثا: قولهم بأنه نبي «دين القيمة»

يقول الشيخ «عبد الوهاب النجار» (1862م: 1941م): «وشريعته تعرف في ملة الصابئين بالقيمـة. وطبقـت المعمور مـن الأرض، وكانت قبلتـه إلى حقيقة الجنـوب على خط نصف النهار»[2].

وقد أورد «المبشر ابن فاتك» (توفي بعد 445هـ) في كتابه «مختار الحكم ومحاسن الكلم» قولـه: «وانتهت شريعتـه - وهي الملة الحنيفية، وتعـرف أيضا بدين «القيمة» - إلى مشـارق الأرض ومغاربهـا، وشـمالها وجنوبها، وطبق الأرض بأسرها حتـى لم يبق على وجه الأرض آدمـي إلا وهو يدين بها. لذا فقد قرر «أحمد غسـان سـبانو» إن معنى «ديـن القيمة في القرآن الكريم إنما قصد به دين «هرمس»[3].

رابعا: ما قيل عنه أنه من أولي العزم من الرسل

وكـما يعـد المؤرخون الأول النبـي «إدريس» أول نبي بعـد «آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ»، مثل «ابن كثير» وغيره، كذلك فإن منهم من ذكر أنه من أولي العزم من الرسـل، ورغم خلاف العلماء في تحديـد مـن هم الأنبياء المقصودين بلقب «أولي العزم»، ورغم اشـتهار اقتصار ذاك اللقب على الأنبياء الخمسـة المذكورين في سورتي «الأحزاب» و«الشـورى» («نوح» و«إبراهيم»

(1) المرجع السابق.
(2) قصص الأنبياء، مرجع سابق، ص53.
(3) هرمس الحكيم بين الألوهية والنبوة، ص9.

و«موسى» و«عيسى» و«محمد»)؛ فإن هناك من العلماء من يعتبر الأنبياء جميعا من أولي العزم. فقد ورد عن «ابن جرير» قوله: «كل الرسل كانوا أولي عزم»، كما ورد في تفسير «القرطبي» (600هـ: 671هـ): «وقال «ابن عباس» أيضا: «كل الرسل كانوا أولي عزم»[1].

ورغم كل ما سبق فقد ورد في بعض التفاسير أنه أول أولي العزم من الأنبياء صراحة[2].

كما ورد في «تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس»: «وهو أول أولي العزم»[3].. وهذا الأمر رغم عدم تحقيق مصدره؛ فإنه في الوقت نفسه يتناسب مع السياق العام لحركة النبوة. فهم يستثنون «آدم» عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من هذا اللقب لورود آية «سورة طه» التي يعتقدون أنها أخرجته من زمرة «أولي العزم»، وهي: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [طه: 115]، فمن الطبيعي أنه بعد «آدم» وقريب عهد منه، فهو أول أولي العزم بذاك التصور.

خامسا: ما نسب إليه أنه هو مؤلف «كتاب الموتى» الفرعوني

وكتاب الموتى هو اسم جرى العرف على إطلاقه على مجموعة من النصوص الدينية والسحرية عرفت عند المصريين باسم فصول في السير أثناء النهار[4]. ويعتقد البعض أنه كتاب سماوي قد جرى عليه تحريف[5]. وقد كانوا يتعبدون به ويتقربون به إلى الله.

ويشير «د. عزت السعدني» إلى انتساب «كتاب الموتى» عند البعض إلى النبي «إدريس» أو «هرمس الحكيم»، والذي تذكر عنه موسوعة الديانات والعقائد أنه يعتبر أول كتاب في تاريخ البشرية فيه ذكر العالم الآخر والحساب، وهو كتاب كان يقدسه المصريون على عهد الفراعنة، معتقدين أنه من الكتب المنزلة[6].

ويذكر «عطية عامر» عن «واليس بدج» (1857م: 1934م) قوله: إن كثيرا من الباحثين

(1) القرطبي، التفسير، مرجع سابق، ص 117، وما بعدها.
(2) السمعاني، منصور بن محمد، تفسير السمعاني، ج3، دار الوطن، الرياض، ط1، 1997م، ص300.
(3) هرمس الحكيم بين الألوهية والنبوة، ص149.
(4) كنوز الفراعنة، ص232.
(5) لغز الحضارة المصرية، ص53.
(6) فجر الضمير المصري، ص32.

يـرى أن «كتاب الموتى» مـن تأليف «توت» (أو تحوت) وأن بعـض الفصول المخطوطة التي وصلت إلينا «كتبت بخط يده»[1]. وكذا «معجم الديانات وأساطير العالم القديم» الذي ورد فيه القول بكون «تحوت» هو مؤلف «كتاب الموتى»[2].

والشيخ «محمد أبو زهرة» (1898م: 1974م) يقول عن الكتاب: «هو كتاب مشتمل على آداب وفضائـل، وهو يعد الكتاب الأعلى عند قدماء المصريين، يتعبدون بتلاوته وهم أحياء، ويوضع معهم في قبورهم وهم أموات»[3].

سادسا: ما نسب إليه من علاقة بالملكين «هاروت» و«ماروت»:

﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 102].

اختلفت التفاسـير والاجتهادات في شـأن الملكين ببابل «هاروت» و«ماروت»، هل هما من الملائكة، أم من الجن، أم من البشر. لكن هناك روايات تقول بكونهما ملكين وأنهم أختبرا وابتليا وتوسطا بنبي الله «إدريس» لما سمعوا ذكره بالخير في الملأ الأعلى.

وعـن الروايات العديـدة لقصة الملكـين، «هـاروت» و«ماروت» يذكـر «ابن كثير» (700هـ: 774هـ) أنها جميعا ليس فيها حديث صحيح متصل الإسـناد، وقد حسـم «ابن كثير» هذا الحكم لإبطال الاعتقاد بما يتضمنه هذا الخبر[4].

---

(1) رسائل توت في الحكمة والفلسفة، ص3.

(2) معجم الديانات وأساطير العالم القديم، ص319.

(3) مقارنات الأديان، ص17.

(4) نبي الله إدريس بين المصرية القديمة واليهودية والإسلام، ص118، وكذلك انظر: تفسير ابن كثير، ج1، ص360.

ومما رواه «ابن كثير» في ذلك الحديث الوارد في ذلك إن صح سنده ورفعه وبيان الكلام عليه عن الإمام «أحمد بن حنبل» (164هـ: 241هـ) في مسنده. وقد كان أقرب الروايات له ما ورد في «مستدرك الحاكم» عن ابن أبي حاتم وفي آخره عن «ابن عباس»، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال:

«لما وقع الناس من بعد آدم، عَلَيْهِ السَّلَامُ، فيما وقعوا فيه من المعاصي والكفر بالله، قالت الملائكة في السماء: يا رب، هذا العالم الذي إنما خلقتهم لعبادتك وطاعتك، قد وقعوا فيما وقعوا فيه وركبوا الكفر وقتل النفس وأكل المال الحرام، والزنا والسرقة وشرب الخمر. فجعلوا يدعون عليهم، ولا يعذرونهم، فقيل: إنهم في غيب. فلم يعذروهم. فقيل لهم: اختاروا منكم من أفضلكم ملكين، آمرهما وأنهاهما. فاختاروا هاروت وماروت. فأهبطا إلى الأرض، وجعل لهما شهوات بني آدم، وأمرهما الله أن يعبداه ولا يشركا به شيئا، ونهيا عن قتل النفس الحرام وأكل المال الحرام، وعن الزنا والسرقة وشرب الخمر. فلبثا في الأرض زمانا يحكمان بين الناس بالحق وذلك في زمان «إدريس» عَلَيْهِ السَّلَامُ. وفي ذلك الزمان امرأة حسنها في النساء كحسن الزهرة في سائر الكواكب، وأنهما أتيا عليها فخضعا لها في القول وأراداها على نفسها فأبت فإن يكونا على أمرها وعلى دينها، سألاها عن دينها، فأخرجت لهما صنما فقالت: هذا أعبده. فقالا: لا حاجة لنا في عبادة هذا. فذهبا فغبرا ما شاء الله. ثم أتيا عليها فأراداها على نفسها، ففعلت مثل ذلك. فذهبا، ثم أتيا عليها فراوداها على نفسها، فلما رأت أنهما قد أبيا أن يعبدا الصنم قالت لهما: اختارا إحدى الخلال الثلاث: إما أن تعبدا هذا الصنم، وإما أن تقتلا هذه النفس، وإما أن تشربا هذا الخمر. فقالا: كل هذا لا ينبغي، وأهون هذا شرب الخمر. فشربا الخمر فأخذت فيهما فواقعا المرأة، فخشيا أن يخبر الإنسان عنهما فقتلاه فلما ذهب عنهما السكر وعلما ما وقعا فيه من الخطيئة أرادا أن يصعدا إلى السماء، فلم يستطيعا، وحيل بينهما وبين ذلك، وكشف الغطاء فيما بينهما وبين أهل السماء، فنظرت الملائكة إلى ما وقعا فيه، فعجبوا كل العجب، وعرفوا أنه من كان في غيب فهو أقل خشية، فجعلوا بعد ذلك يستغفرون لمن في الأرض، فنزل في ذلك: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ ۗ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الشورى: 5] فقيل لهما: اختارا عذاب الدنيا أو عذاب الآخرة فقالا: أما عذاب الدنيا فإنه ينقطع ويذهب، وأما عذاب الآخرة فلا انقطاع له. فاختارا عذاب الدنيا، فجعلا ببابل، فهما يعذبان».

وفي رواية أخرى لـ «ابن كثير» عن ابن أبي حاتم بها زيادة: «لما شربا الخمر وقتلا وسجدا، أخبراها بـ «اسم الله الأعظم» حينما قالت لهما: «أخبراني بالكلمة التي إذا قلتماها طرتما، فأخبراها فطارت، وأنساها الله ما تنزل به، فبقيت فمسخت جمرة، وهي هذه الزهرة».

خبر استغاثة الملائكة بـ «إدريس»:

ذكر «ابن كثير» (700هـ: 774هـ) في أمر استغاثة الملكين هاروت وماروت بالنبي «إدريس» عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ رواية أخرجها ابن أبي حاتم عن مجاهد أنهما قالا: «لو أتينا فلانا (أي «إدريس» عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) فسألناه يطلب لنا التوبة فأتياه، فقال: رحمكما الله، كيف يطلب أهل الأرض لأهل السماء؟ قالا: أبتلينا».. وقد نسب «ابن كثير» هذه الرواية إلى «كعب الأحبار» عن كتب بني إسرائيل، نافيا كونها عن النبي ﷺ.

وهذا يتوافق مع ما ورد في الرواية اليهودية في استغاثة الملائكة بـ «أخنوخ». حيث يصور كاتب السفر، أن «أخنوخ» كان رسولا بين الأرض والسماء، يذهب إلى الملائكة القضاة في السماء الذين يحكمون على الملائكة المتمردة، فينزل إلى الأرض لإخبارهم بالعقاب الإلهي المحكوم به عليهم، فلما وقعت الملائكة في المعصية - على حد زعمه - وعرفت الذنب الذي اقترفته في حق نفسها، وعلمت مصيرها، والعقاب الذي لابد وأن يصيبها، خافوا وخجلوا من خطيئتهم، فتوجهت الملائكة إلى «أخنوخ»، وتضرعت إليه للتوسط لها بتقديم استرحام لها عند الرب، راجية غفرانه، وكانت تناديه بـ(«أخنوخ» يا كاتب العدالة). وطلبوا منه أن يقدم لهم التماسا للرب ليحصلوا على مغفرته، فاستجاب «أخنوخ» لطلبهم[1].

سابعا: ما نسب إليه من علاقة بود وسواع ويغوث ويعوق ونسر

﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: 23].

يروي عن «ابن عباس» رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن الله قد بعث «إدريس» عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إلى «بني قابيل»،

(1) نبي الله إدريس بين المصرية القديمة واليهودية والإسلام، ص 116.

وكانوا يعبدون الأصنام، وقد حادوا عن توحيد الله تعالى. وكان «بنو قابيل» قد اتخذوا لهم أوثانًا يعبدونها من دون الله هي: (ود - سواع - يعوق - نسر)[1].

ولما تزايد عناد «بني قابيل» وكفرهم، أرسل الله إليهم «إدريس» عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ويقال أنه كان يدعوهم في الجمعة ثلاثة أيام. وكان عند «إدريس» عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ شدة بأس وصلابة في أمره ونهيه[2].

ولما زاد الفساد والكفر من «بني قابيل»، ولم يطيعوا نبي الله «إدريس» عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يقال إن «إدريس» عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أعد جيشا بالخيول والمشاة ليحارب المفسدين في الأرض. وقد مكنه الله من النصر على أعدائه[3].

ثامنا: هل «إدريس» هو «إلياس» عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ؟

وهناك تساؤل عن ذلك من قبل الإمام «البخاري» (194هـ: 256هـ) الذي قال: ويذكر «ابن مسعود» و«ابن عباس» أن «إدريس» هو «إلياس»، واستأنسوا في ذلك بما جاء في حديث الزهري عن أنس في الإسراء. كما ورد في الكشاف: «أن «إلياس» هو «إدريس» النبي، وقراءة «ابن مسعود» (وإن إدريس لمن المرسلين) في موضع «إلياس»، وقرئ «إدريس» وقيل هو «إلياس»[4]. والغريب في الأمر هو ما ورد في معجم المنجد: «أن «إدريس» و«إلياس» و«الخضر» ثلاثة أسماء لمسمى واحد»[5].

كما تجدر الإشارة بأن النبي الوحيد الذي تنص بعض أسفار العهد القديم على رفعه هو «إيليا»، ومن ذلك ما جاء في الإصحاح الثاني من «سفر الملوك» الثاني: «وفيما هما يسيران ويتجاذبان أطراف الحديث، فصلت بينهما مركبة من نار تجرها خيول نارية، نقلت إيليا في

---

(1) ابن إياس، محمد بن أحمد، بدائع الزهور في وقائع الدهور، كتاب الشعب، مصر، 1960م، ص62.

(2) هرمس الحكيم وعلاقته بالنبي إدريس، ص96.

(3) كشف المستور في الخبر المكنون، ص13.

(4) هرمس الحكيم بين الألوهية والنبوة، ص151.

(5) المرجع السابق، ص196.

العاصفة إلى السماء». وهذا مما يدغدغ في نفوس البعض[1] أن «إدريس» و«إلياس» ما هما إلا شخص واحد، استئناسا بآيتي «سورة مريم»: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ٥٦ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ [مريم: 56، 57].

علاوة على ورود كثير من الأخبار الغريبة التي لم يحسم صحتها واقتربت كثيرا من الضعف، وكثيرها ضعيف وبعضها موضوع مثل:

- ما ورد في البداية والنهاية من قول مكحول عن كعب: أربعة أنبياء أحياء اثنان في الأرض «إلياس» و«الخضر» واثنان في السماء «إدريس» و«عيسى». وقيل أن سيدنا «إلياس» وسيدنا «الخضر» يجتمعان كل عام فى شهر رمضان ببيت المقدس وأنهما يحجان كل سنة ويشربان من زمزم شربة تكفيهما إلى مثلها من العام المقبل ويجتمعان بعرفات كل سنة.

- ما ورد في فصوص الحكم: «أن «إلياس» هو «إدريس» كان نبيا قبل «نوح» وقد رفعه الله مكانا عليا فهو في قلب الأفلاك سكن، وهو فلك الشمس[2].

- كما ادعى «ابن عربي» (558هـ: 638هـ) في الفتوحات المكية أنه يعتقد بأن له جولانًا في الأرض، أي إنه طواف مثل «الخضر» - كما يزعمون - يطوف علي البلاد والعباد. كما يعتقد «ابن عربي» أيضا بأن له قطبية برية على الأرض في البر، كما أن للخضر قطبية بحرية على الأرض في البحر، وزعم كذلك أن بينه وبين «الخضر» اجتماعا، ويكون اللقاء برا وبحرا عند سد «يأجوج ومأجوج». وبينهما اجتماع آخر بمكة وثالث بعرفات، واجتماع أخير فيما يسمى «مرآة الزمان»[3].

---

(1) ومن هؤلاء الشيخ «بسام جرار». وانظر مقال له على صفحته بعنوان: «سلام على آل ياسين»، على الرابط: http:/ / www.islamnoon.com/ el-yasin.htm

(2) هرمس الحكيم بين الألوهية والنبوة، ص151، نقلا عن تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس.

(3) القرماني، أخبار الدول، تحقيق: فهمي سعد وأحمد حطيط، عالم الكتب، بيروت، 1992م، ص21، وكذا: هرمس الحكيم بين الألوهية والنبوة، ص153.

حديث مقابلة رسول الله للنبي «إلياس»:

وبعيدا عن الجدل الذي نشأ عن صحة الحديث الذي أخرجه الحاكم في مستدركه على شرط البخاري؛ تبقى فكرة تطواف سيدنا «إلياس» - الذي يقولون عنه إنه هو النبي «إدريس» - وبقاؤه حيا يتجول بين الأزمنة والأمكنة موجودة في الفكر الإسلامي، حتى وإن تم تأويل الحديث أو تضعيف متنه أو حتى سنده.

فقد أخرج الحاكم في مستدركه عن أنس بن مالك قال: «كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فنزلنا منزلا، فإذا رجل في الوادي يقول: اللهم اجعلني من أمة محمد المرحومة، المغفورة المتاب عليها، قال: فأشرفت على الوادي، فإذا رجل طوله أكثر من ثلاثمائة ذراع، فقال لي: من أنت؟، قلت: أنا أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ، قال: فأين هو؟، قلت: هو ذا يسمع كلامك، قال: فأته فأقرئه السلام، وقل له: أخوك إلياس يقرئك السلام، قال: فأتيت النبي ﷺ، فأخبرته، فجاء حتى لقيه، فعانقه وسلَّم، ثم قعدا يتحدثان، فقال له: يا رسول الله إني ما آكل في السنة إلا يوما، وهذا يوم فطري، فآكل أنا وأنت، قال: فنزلت عليهما مائدة من السماء، عليها خبز وحوت وكرفس، فأكلا، وأطعماني، وصلينا العصر، ثم ودَّعه، فرأيته مرَّ في السحاب نحو السماء»[1].

تاسعا: ما نسب إليه أنه «الخضر»

فالبعض يعدون نبي الله «إدريس» منتدبا من الله لإنجاز الأوامر الإلهية كما يقال عن «الخضر» عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ. ومنهم من قال عنه أيضا» أن «إدريس» أخو «إلياس» و«الخضر»[2]. ومنهم من يعدونه هو النبي «إلياس» عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.. فقد جاء في «معجم المنجد»: «وقال بعضهم إن «إدريس» و«إلياس» و«الخضر» هي ثلاثة أسماء لمسمى واحد»[3]. بل وأن من الشيعة من

(1) مستدرك الحاكم (2/ 674)

(2) هرمس الحكيم بين الألوهية والنبوة، ص8.

(3) توتل، فردينان، قاموس المنجد، المطبعة الكاثوليكية، الطبعة اليسوعية، بيروت، لبنان، 1960م، وكذا: هرمس الحكيم بين الألوهية والنبوة، ص196.

تطرف إذ يرى أن سيدنا «إدريس» سوف ينزل من السماء مؤيدا لما يسمى بـ «المهدي المنتظر» (وأحيانا يقولون: «إدريس» و«الخضر» معا، وأحيانا: «إدريس» و«إلياس» و«الخضر»).

«الخضر» عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وفكرة الطواف الذي لم يمت:

يقولـون كـما في البداية والنهايـة: أن «الخضر» مـن صلب «آدم» القريـب وأنه أرجئ لمواجهـة الدجـال. وقد نقل النـووي (631هــ: 676هــــ) عن الثعلبي (تـوفي 427هــ) قوله: «الخـضر نبي معمر على جميع الأقوال، محجوب عن الأبصار، يعني عن أبصار أكثر الناس»[1]. بـل إن بعضهـم يعتبر أن «مـوسى» عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كان في مهمـة تدريبية، يدربه فيهـا ذاك الرجل الطواف صاحب التجارب الذي لم يمت المسمى عند أهل السنة بـ «الخضر».

ويلاحـظ عنـد الصوفية تكرار ذكـر «الخضر» عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وقد يزعـم البعض منهم أنه قابله ورآه رأي العين.

وكـذا الشـيعة الإثنى عشرية أيضا، فبعضهـم يزعم: أن «الخضر» بايـع الإمام عليًّا كرم الله وجهه، وأنه أشهده على الأئمة الإثنى عشر، وأنه سيبايع المهدي في قابل إن شاء الله. بل إن بعضهـم قد بالغ باعتقاده أن «ذا القرنين» مازال حيا ومرجئا، وبالغ البعض في اعتباره طوافًا، وفي قول آخر شاذ لا دليل عليه أنه (أي «ذو القرنين») هو «الخضر» أو «إلياس» أو «إدريس» عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ.

أمـا عنـد اليهود: فقـد ورد في كتب اليهود المدونـة في القرن الحادي عـشر الميلادي عن مفسري التلمود في القرن الثالث الميلادي أنه قد حدث بين «إلياس» و«يوشع بن لاوي» نفس ما جرى بين «الخضر» و«موسى» عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ.

وفي المسـيحية يقولـون في «ماري جرجس» (230م: 303م) نفـس ما تعتقده الصوفية في «الخضر» عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

(1) شرح صحيح مسلم، النووي: ج15،

عاشرا: ما نسب إليه أنه هو «ذو القرنين»

وفي سفر أخنوخ تحكي النصوص عن وصول «أخنوخ» إلى منطقة نهاية العالم الغربية، وكذلك إلى منطقة نهاية العالم الشرقية، ليس هذا فقط بل نجد حديثا عن وصول «أخنوخ» إلى الماء الذي يغلي، و«النار التي في الغرب التي تستقبل مغيب الشمس في كل يوم»، وهو نص يقترب كثيرا من النص القرآني: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَغۡرُبُ فِي عَيۡنٍ حَمِئَةٖ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوۡمٗاۗ﴾ [الكهف: 86][1].

وفي ذلك يقول «حاتم الهمدان»: «والمثير للاهتمام أن كتبة السفر يصفون مغرب الشمس وصفا صحيحا فيصورونه منطقة بركانية مليئة بالجبال البركانية النشطة التي تسيل منها الحمم البركانية، بل ويذكرون النار التي تستقبل مغيب الشمس في كل يوم، كما يقولون عن بلاد الشمس أنها تقع وراء المحيط الهندي»[2].

ويصل «حاتم الهمدان» إلى قناعته القائمة على الأدلة التي ساقها أن سيدنا «إدريس» (أو أخنوخ) هو «ذو القرنين» وهو النبي الذي أماته الله مائة عام ثم بعثه، المسمى اصطلاحا بـ «عزير»، وأنه سيدنا «إدريس» أو «ذو القرنين» - على حد زعمه - ويرمز له في كثير من الحضارات بالإله «أوزوريس».. فلقد عقد مبحثا كبيرا لسوق أدلة اجتهاداته تلك على ركيزتين؛ أولاهما: تحليل اسم النبي «إدريس» بمنهج لغوي، وثانيتهما: استقراء ديانات القدماء وأساطيرهم[3].

وقد توصل بالتحليل إلى أن «ذا القرنين» على الأغلب كان نبيا، وأنه ربما كان ملكا على مصر، وأن القرآن قد قص عنه بعض الأمور فقط، وأن الله قد علمه من العلوم ما يتوصل به إلى ما يريد، وأنه كان يسافر وحده.

وعن طريق دراسته للنصوص المتعلقة بـ «أوزوريس»، تبين له أن «أوزوريس» كان

---

(1) ذو القرنين، مرجع سابق، ص540.

(2) المرجع السابق، ص561.

(3) انظر: المرجع السابق، ص570، وما بعدها.

بشرا، وأنه تلقب بذي القرنين، وأن القرنين هما جبلان عظيمان أحدهما في أرض مغرب الشمس، والآخر في بلاد مشرق الشمس، وأنه كان ملكا على مصر، وأنه أوتي العلوم فراح يعلم الناس الدين والحضارة، وأنه ذهب إلى «أمنت» مغرب الشمس وهي منطقة (الأنديز) الإستوائي، وهناك عذب طائفة من الكفار بالإله، وذلك بإثارة البركان عليهم، وعلم الناس هناك الزراعة والحضارة، ثم عبر المحيط الهادي الذي يقع في الجهة المقابلة لمنطقتنا، ليصل إلى جزيرة «غينيا» الجديدة وهي جزيرة مطلع الشمس، وهي الجزيرة التي بها (سخت عارو) أو حقول العراة، تلك التي تقع في الأودية المرتفعة، ثم ذهب إلى مكان آخر، وهناك بنى في شماله سورا محصنا، ليحمي قوما من الضعفاء، وبالتالي فإن «أوزوريس» هو «ذو القرنين»[1].

كما أنه قال: «كما أن النبي «ذا القرنين» هو نفسه النبي «إدريس»، وهو نفسه النبي الذي أماته الله مائة عام ثم بعثه، وهو «عزير»، وهذه الشخصيات الثلاثة مذكورة في القرآن الكريم، أما عن زمنه فلقد عاش في مرحلة سحيقة، وقبل عصر الكتابة ربما في بداية الألف الخامسة قبل الميلاد، أي ما يقرب من سبعة آلاف عام من وقتنا الحالي»[2].

وقد قال الكثير بمصرية «ذي القرنين» من قبل؛ مثل «حمدي أبو زيد»، الذي يعتقد بأنه كان معاصرا لموسى النبي - عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ - وأنه هو «أخناتون»[3] - بزعمه - ويوافقه في ذلك «محمد شادي شرف الدين»[4].

حادي عشر: ما نسب إليه أن الشخصية الأسطورية «أوزوريس» ترمز إليه

انتقد كثير من الباحثين قول البعض بأن الملك المصري الأسطوري «أوزوريس» هو أحد

(1) المرجع السابق، ص598.

(2) المرجع السابق، ص598، 599.

(3) أبو زيد، حمدي بن حمزة، فك أسرار ذي القرنين، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، ط1، 2004م، ص110، 111.

(4) شرف الدين، محمد شادي، ذو القرنين ويأجوج ومأجوج، دار إبداع للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 2016م، ص141.

صور تجسيد التاريخ المصري لشخصية النبي «إدريس»، بناءا على التشابه اللفظي الظاهري بين الاسمين («إدريس» و«أوزوريس»).

فقد ورد ذلك في كتاب «في ظلال القرآن» للأديب «سيد قطب» (1906م: 1966م) في تفسير ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ ﴾: «وهناك رأي نذكره لمجرد الاستئناس به ولا نقره أو ننفيه، يقول به بعض الباحثين في الآثار المصرية، وهو أن «إدريس» تعريب لكلمة «أوزوريس» المصرية القديمة. كما أن «يحيى» تعريب لكلمة «يوحنا» وكلمة «اليسع» تعريب لكلمة «إليشع»»[1].

كما أورد «سلامة موسى» (1887م: 1958م) قول بعض المؤرخين: «بأن «إدريس» هو تعريب «أوزوريس» الذي عبده المصريون القدماء، وكان ملكا أعطى لشعبه دفعة حضارية بسنه القوانين وتنظيم الزراعة التي تمثلت في نهضة زراعية وثورة حضارية وثورة دينية، ولم يكن لدى المصريين كباقي الآلهة التي عبدوها والتي تأخذ رمزا الحيوان أو طائر، بل عدوه بشرا مؤلها، وعلى هذا قال المؤرخون أن هناك رابطة بين «إدريس» عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ و«أوزوريس»؛ فـ«إدريس» عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ كان مصريا عاش في مصر، وأن ديانته تلتقي مع عقائد التوحيد التي نادى بها «أوزوريس»، إلى جانب عقائد الخلود والبعث، والميزان والصراط، والجنة والنار، والشيطان. ويرجعون هذا التشابه أيضا إلى تزامن الوقت بين «إدريس» عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ و«أوزوريس» أقدم الأرباب المصرية»[2]

كما ورد في كتاب «أنبياء الله» للأستاذ «أحمد بهجت» (1932م: 2010م) قوله: «إن الأساطير تقول إن «إدريس» هو «أوزوريس» بطل الأسطورة المصرية المشهورة وقد كان إلها فرعونيا».. ثم أردف قائلا: «ربما كان «إدريس» نبيا كريما قد بعث في مصر ورفعه الله مثل «عيسى» عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ولما رفع آمن به قومه وجعلوا منه إلها في الأسطورة ونحن لا نعرف فإنه كان صديقا نبيا»[3].

---

(1) قطب، سيد، في ظلال القرآن، ج4، دار الشروق، مصر، ص2312، 2313.

(2) موسى، سلامة، مصر أصل الحضارة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2012م، ص108، 109.

(3) بهجت، أحمد، أنبياء الله، دار الشروق ودار الريان للتراث، مصر، ط15، 1987م، ص164.

ومـن هؤلاء المنتقديـن لهذا التصور «إسـماعيل حامد» الـذي انتقد هـذا الارتباط بين «أوزريس» و«إدريس» ساندا الأمر إلى عدم الترجيح، رغم إقراره ببعض التشابه فيما يروى عـن كل منهما من أعـمال وكذا تشـابه في الأحداث التاريخيـة. لكنه لا يصـل بذلك مؤكدا إلى درجـة الترجيح، ناهيك عن اليقين[1]. لأن حرف السـين في اللغـة اليونانية زائدة، فكلمة «أوزيريـس» بذلك تعـني في الأصل: «أوزير».. فبالتالي كما يقول لا يوجد أي تشـابه لفظي بين («إدريس» و«أوزير»)[2].

وكذلـك مؤرخ الصعيد المـصري «عبد المنعم عبـد العظيم» في كتابـه «إدريس نبي من مـصر» يقـول: «وفي تقديري أن الذين تصوروا أن الإله المصري القديم صاحب الأسـطورة حـارس الدار الآخـرة في طيبة هو النبي «إدريـس» جانبهم الصواب وكذلـك من تصوروه «حـورس الابـن». ولعلني أرجح أن «إدريس» النبي هو ذلـك الإله المصري «تحوتي» مخترع الكتابة أبا للعلوم وإله الحكمة»[3].

كـما أنه يرجح أن تكون أسـطورة «إيزيـس» و«أوزريس» أصـداء لحكايات توارثها وجدان الشـعب المصري من قصة «قابيل» و«هابيل» رفضا أسـطوريا لأول جريمة على وجه البسيطة يقتل فيها الأخ أخاه حقدا في دورة الصراع الأبدي بين الخير والشر وأخذت تتناقلها الأجيـال جيلا بعد جيل ويضفي الخيال الشـعبي الخصب حكايات وحكايات تدور في دائرة الأسـاطير وترتبط بالنيل شريان الحيـاة وبالأرض مصدر الرزق وبالشـمس والقمر وبالقيم السائدة من حب وإخلاص ووفاء بكل ما تحمله الأدبيات المصرية من حكمة ورموز خالدة وخير ونماء وتطور[4].

و«عـلاء عبد المتعال» يذكـر العلة الحقيقية في مثل هذا الادعاء أنها لاقتراب الشـبه بينه

(1) هرمس الحكيم وعلاقته بالنبي إدريس، ص112.

(2) المرجع السابق.

(3) عبد العظيم، عبد المنعم، إدريس نبي من مصر، جمعية رواد الثقافة بأرمنت، نسخة إليكترونية، على الرابط: http://monemazim.blogspot.com.eg/2010/07/blog-post.html

(4) المرجع السابق.

وبين الملك «أوزوريس»، لاقترابه في الشبه من حيث الأعمال لا من حيث التشابه اللفظي[1]. حيث إن التصور الضيق بتشابه الألفاظ بين الشخصيتين الذي نسج على منواله الآخرين ليس هو الدليل على تطابقهما.

لكن.. ومع ذلك هناك من يعتقد بمثل هذا التشابه اللفظي؛ مثل «حاتم الهمدان» الذي يعتقد أن «أوزير» هو «إدريس» عَلَيْهِ السَّلَامُ.. ومن الملاحظ أن «حاتم الهمدان» كان منهجه مختلفا في وصوله إلى قناعة قائمة على أدلة كثيرة ساقها أن سيدنا «إدريس» (أو أخنوخ) هو «ذو القرنين» وهو النبي الذي أماته الله مائة عام ثم بعثه، المسمى اصطلاحا بـ «عزير» كما في الآية: ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: 259]، والذي يرمز له في كثير من الحضارات بالإله «أوزوريس».. فلقد عقد مبحثا كبيرا لسوق أدلة اجتهاداته تلك[2].

ثاني عشر: ما نسب إليه من باب التشابه اللفظي مع «أخناتون» و«أوزوريس»

من المثير والمستهجن اعتقاد البعض بأسماء أو ألقاب أخرى للنبي «إدريس» من باب التشابه اللفظي وفقط لشخصيات تاريخية مثل «أوزيريس» قريبة الشبه اللفظي بـ «إدريس»، و«أخناتون» قريبة الشبه اللفظي بـ «أخنوخ».

فمثلا يذكر «أحمد غسان سبانو» عن «إدريس» أو «أخنوخ»: «أنه ذو ارتباط مع «أخناتون» أول الموحدين»[3]. ويذكر في موضع آخر: «وقيل هو «أخناتون» التي حولت إلى «أخنوخ». و«أوزوريس» التي حولت إلى «إدريس»»[4].

(1) هرمس مثلث الحكمة بين الأسطورة والواقع، ص13.

(2) انظر: ذو القرنين، ص570، وما بعدها.

(3) هرمس الحكيم بين الألوهية والنبوة، ص7.

(4) المرجع السابق، ص8.

وقد يكون مثل هذا التشابه اللفظي هو من قبيل التسمية على اسم عظيم من العظماء - لا أكثر ولا أقل - فكما يوجد أكثر من «هرمس» وأكثر من «تحوت»؛ فربما يوجد كذلك أكثر من «أخنوخ»، وربما يكون منهم ذاك المسمى «أخناتون» الذي يقال عنه أسطوريا أنه أول الموحدين المصريين. لكن «حمدي أبو زيد» - كما سبق - يعتقد بأن «أخناتون» هو «ذو القرنين»[1].

ثالث عشر: ما نسب إليه أنه «حورس الأول» أو القديم

فقد كشف «مانيتون» (325ق.م: 268ق. م) في مذكراته عن عقائد المصريين القدماء التي يدينون بها، والتي تدعو إلى التوحيد، وأرجعها إلى الرسل الذين أرسلهم الله إليهم، فذكر أن «إدريس» عَلَيْهِ السَّلَامُ هو نبي المصريين القدماء الأوحد، وكانوا يطلقون عليه (هوروس)، وهو الذي عرف هو وأتباعه الحورشوس أو أتباع «حوروس»، المسمى وقتهم بعصر ملوك الكهنة، وهو عصر ما قبل «مينا» أول العائلات الفرعونية، وكان يدعو المصريين إلى عبادة الواحد الأحد فعرفوا منه التوحيد»[2].

ومن القرائن على الاحتمالية القائمة على صحة زعم «مانيتون» (325ق.م: 268ق. م) أنه يوجد لدى علماء المصريات إشكالية فجرتها مدينة «دمنهور» بتاريخها المزدوج المنسوب إلى «تحوت» مرة وإلى «حورس» مرة أخرى، باسميها المزدوج «ديمن- حورس» مرة و«هرموبوليس- بارفا» مرة أخرى، مما دعا البعض للتوفيق بين الأمرين ظنا وترجيحا لحل المعضل. ومنهم «فرانسوا ديماس» (1915م: 1984م) الذي افترض أنهما مدينتان متجاورتان ولا يلزم الخلط بينهما حيث يقول: «فليس هناك ما يمكن تصوره أن «مدينة هرمز» توارت لصالح «حورس»، الذي كان أقل شهرة لدى الإغريق»[3]. وقد تكلم عن ذلك أيضا العالم

(1) أبوزيد، حمدي بن حمزة، فك أسرار ذي القرنين، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، ط1، 2004م، ص110، 111.

(2) الدين المقارن، ص56، 57.

(3) آلهة مصر، ص116.

«لبسيوس» [Lepsius] (1810م: 1884م)[1] في «قائمة أكسفورد» وقوائم الجغرافية القبطية كيف انتقلت «دمنهور» في تسميتها من نسبتها إلى «حورس» إلى نسبتها إلى «هرمس».

لكن الإيطاليان «ماريو توسي» (ولد في 1942م) و«كارلو ريو ردا» يقرران في إشكالية علاقة مدينة «دمنهور» بـ «حورس» و«تحوت» معا: «أن «حورس» و«تحوت» متحدان معا من أجل الخلق»[2].

فمدينة «دمنهور» باسميها المزدوج «دي من حورس» و«هرموبوليس بارفا» ربما تمثل بذلك إحدى قرائن صحة الادعاء بأن «حورس القديم» الذي كان قبل «حورس إيزيس» إنما يرمز للنبي «إدريس».

وإن كان ذلك كذلك.. فربما كانت كلها ألقابا لشخصية عظيمة، ومن الطبيعي أن يلقب في دنيا الأساطير بأكثر من لقب.

(1) إقليم البحيرة، مرجع سابق، ص101، نقلا عن: Lepsius Scala Geogr . du copte d « Abbassinie 3 P:52

(2) معجم آلهة مصر القديمة، ص51.

المبحث الثالث

الأساطير والأفكار والعقائد التي نسجت على روايات موته

.. «أتـاه خليل له من الملائكة فطلب منه أن يكلم له ملك الموت ليؤخر أجله حتى يزداد علمه وعمله، فقال له: إن الله أوحى إلى كذا و كذا، فكلم لي ملك الموت، فليؤخرني حتـى أزداد عمـلا؛ فحمله بين جناحيه حتـى صعد به إلى السماء»..

(مـن الروايـات الظنية التي وردت في تفسـير «ابن كثير» عن رفع «إدريس» عَلَيْهِ السَّلَامُ مكانا عليا).

أولا: أخبار موته عَلَيْهِ السَّلَامُ

ورد في بعض المصادر الإسلامية المتأثـرة بالإسرائيليات أن «إدريس» عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يمت على الأرض، بل رفع حيا إلى السـماء، استئناسا بتفسـير بعض المفسرين لقوله تعالى في «سورة مريم» ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: 57].

بأنه حي يرزق، أي رفع إلى السماء حيا(1).

وفي رواية لــ «القرطبي» (600هـ: 671هـ) أن ملك الموت قبض روحه، ورفعها إلى الجنة، ودفنت الملائكة جثته في السماء الرابعة، فذلك قوله تعالى ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: 57](2).

وقد اختلفت الروايات عند المفسرين - التي لا تصل فيها واحدة لدرجة الصحة - في كونه حيًّا أم تُوفي، فتارة يقولون بخلوده.. كما في بعض روايات «ابن كثير» (700هـ: 774هـ) بسنده

(1) نبي الله إدريس بين المصرية القديمة واليهودية والإسلام، ص96.

(2) القرطبي، التفسير، ج11، ص118 - 121.

إلى «ابن عباس» : «أربعة من الأنبياء فيهم أرواحهم: إدريس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وعيسى في السماء، وإلياس والخضر في الأرض، وكلهم يموتون إلا إدريس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ»[1].. وتارة يقولون بوفاته.. كما في «ابن كثير» أيضا إلى «ابن عباس» كذلك: «رفع «إدريس» عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إلى السماء فمات بها». وقال «الحسن البصري»: ﴿وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: 57] قال: إلى الجنة»[2].

ومما انتشر من الإسرائيليات في كتب التفاسير تلك الرواية التي لا أساس لها يرتجى من الصحة، ولكنها تنم عن تصور الأقدمين عن ذاك النبي الذي انتشرت عنه الروايات التي لا يُعلم صحتها؛ وبُني عليها الكثير من الأساطير؛ تلك الرواية هي:

«أن ملك الموت كان صديقا لإدريس وقد صحبه في رحلته التي كان يتعبد فيها ويسيح في الأرض.. فقال له أسالك بالذي أحببتني لأجله أن تريني لمحة من الجنة- وكان قد طلب منه قبل ذلك أن يميته ويريه النار ليحمله ذلك على العبادة- فقال له ملك الموت عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ : يا نبي الله أبشر! فإنك إن شاء الله من خيار أهلها وإنها إن شاء الله مقيلك ومصيرك، فقال: يا ملك الموت إني أحب أن انظر إليها ولعل ذلك أن يكون أشد لشوقي وحرصي وطلبي! فذهب به إلى باب من أبواب الجنة فنادى بعض خزنتها فأجابوه فقالوا: من هذا ؟ قال: ملك الموت، فارتعدت فرائصهم وقالوا: أمرت فينا بشيء ؟ فقال: لو أمرت فيكم بشيء ما ناظرتكم ولكن نبي الله إدريس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ سأل أن ينظر إلى لمحة من الجنة فافتحوا، فلما فتح أصابه من بردها وطيبها وريحانها ما أخذ بقلبه فقال: يا ملك الموت إني أحب أن أدخل الجنة فآكل أكلة من ثمارها وأشرب شربة من مائها فلعل ذلك أن يكون أشد لطلبتي ورغبتي وحرصي، فقال: ادخل، فدخل فأكل من ثمارها وشرب من مائها، فقال له ملك الموت: اخرج يا نبي الله قد أصبت حاجتك حتى يردك الله مع الأنبياء يوم القيامة، فاحتضن بساق شجرة من شجر الجنة وقال: ما أنا بخارج منها وإن شئت أن أخاصمك خاصمتك، فأوحى الله إلى ملك الموت: قاضه الخصومة؛ فقال له ملك الموت: ما الذي تخاصمني به يا نبي الله ؟ فقال إدريس: قال الله تعالى كل نفس ذائقة الموت» فقد ذقت الموت الذي كتبه الله على خلقه مرة واحدة، وقال

(1) ابن كثير، التفسير، ج3، ص127.

(2) المرجع السابق.

الله: وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا، وقد وردتها أفأردها مرة بعد مرة، وإنما كتب الله ورودها على خلقه مرة واحدة؟ وقال لأهل الجنة: وما هم منها بمخرجين، أفأخرج من شيء ساقه الله إلي؟ فأوحى الله إلى ملك الموت: خصمك عبدي إدريس وعزتي وجلالي: إن في سابق علمي قبل أن أخلقه أنه لا موت عليه إلا الموتة التي ماتها وإنه لا يرى جهنم إلا خلا؟ الورد الذي وردها وأنه يدخل الجنة في الساعة التي دخلها وأنه ليس بخارج منها فدعه يا ملك الموت»[1].

وهذا التصور لموته عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يتوافق مع لفظ التوراة عنه، حيث جاء فيه: (وسار «أخنوخ» مع الله ولم يوجد لأن الله أخذه)[2]. وكذا ما ورد في «سفر يشوع بن سيراخ»[3]: (لم يخلق على الأرض أحد مثل «أخنوخ» الذي نقل عن الأرض).

وكذا ما ورد في الإنجيل (العهد الجديد)[4]: (بالإيمان نقل «أخنوخ» لكي لا يرى الموت، ولم يوجد لأن الله نقله، إذ قبل نقله شهد له بأنه قد أرضى الله). وهذا هو نفسه ما ورد في «سفر أخنوخ الأول» في كتاب الحكم في مخطوطات البحر الميت: «أن «أخنوخ» رفع حيا إلى رب الأرواح وسُحب من بين سكان اليابسة»[5].

وكما يقول «أحمد غسان سبانو»: «أما وفاته فقد أحيطت بحالة من الغموض. فعند الأمم التي اعتبرته إلها لا مجال للبحث في وفاته، لأن صفة الألوهية تجعله خالدا»[6].. فهو إما غائب ومنتظر عند البعض، وإما خالد طواف يعيش بيننا ولا نعرفه ويطوف على كل البلدان في كل الأزمان، وإما أنه رفع إلى السماء وهو فيها حي إلى يوم القيامة ولن ينزل الأرض، وإما أنه رفع إلى السماء ومات ودفن فيها، وإما أنه رفع إلى السماء ونزل ومات في الارض وفيها دفن، ومنهم من قال أنه دفن بأحد الهرمين.

(1) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، الدر المنثور، ج10، دار هجر، مصر، ط1، 2003م، ص94.
(2) في سفر التكوين في الإصحاح الخامس من العهد القديم، بالفقرات (18 - 25) منه.
(3) في الإصحاح (49/ 16).
(4) في رسالة العبرانيين (11/ 5).
(5) مخطوطات البحر الميت، ج2، ص45.
(6) هرمس الحكيم بين الألوهية والنبوة، ص10.

ثانيا: ما نسب إليه أنه رفع إلى السماء

قال بذلك كثير تفسيرا للآية، ومنهم «ابن نجيح» عن مجاهد أنه «رفع ولم يمت كما رفع «عيسى»»[1].

وقد توافق ذلك مع ما ورد عن «أبي الفيض المنوفي» (1891م: 1972م) أنه «حورس القديم»، الذي يعتقد الشيخ المنوفي بأنها إحدى صور التجسيد لسيدنا «إدريس» عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وأنه قد رفع إلى السماء[2].

ثالثا: ما نسب إليه أنه حي ولم يمت

«أربعة من الأنبياء أحياء؛ اثنان في الأرض وهما الخضر وإلياس، واثنان في السماء هما عيسى وإدريس».. هكذا ورد في كثير من المصادر[3]. ومن هذه المصادر ما ورد عن «ابن عباس» رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا بزيادة في آخره: «كلهم يموتون إلا إدريس»[4]. وقد جاء في البداية والنهاية لـ «ابن كثير» من قول ابن نجيح عن مجاهد في قوله ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: 57] قال «إدريس» رفع ولم يمت كما رفع «عيسى»»[5].

وأما في المسيحية: فإن أكثر الآباء والمفسرين على أنه لم يمت بل حجبه الله عن مرأى الناس كما فعل بـ «إيليا»، ويؤيد ذلك قول «بولس الرسول» (حوالي 5م: ما بين64م و67م): «وبالإيمان نقل «أخنوخ» لكي لا يرى الموت ولم يوجد بعد، لأن الله نقله»[6].

(1) البداية والنهاية، ج1، ص100، وكذا: قصص الأنبياء، المكتبة الإسلامية للنشر، مصر، 2002م، ص76.
(2) الدين المقارن، ص58.
(3) انظر: بكري، حسين بن محمد الديار، تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، ج1، مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع، دار صادر، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.
(4) أخبار الدول، ص21.
(5) البداية والنهاية، ج1، ص100.
(6) الدبس، المطران يوسف إلياس، تاريخ سوريا الديني والدنيوي، المطبعة العمومية الكاثوليكية، بيروت، لبنان، 1902م، ص60.

رابعا: ما نسب إليه أنه المقصود بمن يرد عند سؤال الله «لمن الملك اليوم»

وقد قيل عنه أنه سيظل حيًّا حتى يشهد يوم القيامة حيًّا.. وأنه هو الذي سوف يردد المقولة القرآنية الحاكمة: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [سورة غافر: 16].

فمن غرائب الصوفية قول «ابن عربي» (558هـ: 638هـ): أنه هو الذي يجيب الله تعالى إذا مات الخلق في قوله: «وقال «لمن الملك اليوم» فيقول «إدريس»: لله الواحد القهار»[1].

وأما في المسيحية: فإن أكثر الآباء والمفسرين على أنه لم يمت بل حجبه الله عن مرأى الناس كما فعل بـ «إيليا»، ويؤيد ذلك قول «بولس الرسول» (حوالي 5م: ما بين64م و67م): «وبالإيمان نقل «أخنوخ» لكي لا يرى الموت ولم يوجد بعد، لأن الله نقله»[2].

خامسا: ما نسب إليه أنه أول من خالط الملائكة والأرواح المجردة

وعن الصوفية في شخص «ابن عربي» (558هـ: 638هـ) قوله عن سيدنا «إدريس» عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: أنه أول من خالط الملائكة والأرواح المجردة، لأنه بزعمهم لم ينم لمدة ستة عشر عاما، لم يأكل فيها حتى بقي عقلا مجردا بلا شهوة، وحصل له معراج وروحانية في فلك الشمس[3].

كما ورد أكثر من خبر يدل على صداقته لـ «ملك الموت» - كما ورد في «بدائع الزهور» لـ «ابن إياس» (825هـ: 930هـ) - بل وأن «ملك الموت» استأذن الله مرة في زيارته، ولما زاره طلب منه سيدنا «إدريس» عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ طلبا»[4].

(1) أخبار الدول، ص21.

(2) تاريخ سوريا الديني والدنيوي، مرجع سابق، ص60.

(3) انظر: أخبار الدول، مرجع سابق، ص21.

(4) بدائع الزهور، مرجع سابق، ص63.

سادسا: ما نسب إليه أن طبيعته ملائكية

ولم تكتف الأساطير بكون سيدنا «إدريس» صديقا للملائكة، وأنه يراهم في الهواء حين يظهرون لكنهم قالوا بأن طبيعته في حد ذاتها ملائكية، كأنه يكون في حالة ما بين الإنس والملائكة، فقد قالت الصوفية عنه على لسان أحد أساطينها «محي الدين بن عربي» (558هـ: 638هـ): أن سيدنا «شيث» عَلَيْهِ السَّلَامُ قد تزوج بحورية من الجنة - نظرا لاختلاط أصحاب الحظوة من المقربين بالملائكة - فأنجبت له «إدريس» عَلَيْهِ السَّلَامُ، فكانت أمه من الحور العين[1].

ويستأنس في ذلك بما ذكر «ابن كثير» (700هـ: 774هـ) - سالفا - في أمر استغاثة الملكين «هاروت وماروت» بالنبي «إدريس» عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وقد ورد مثل ذلك في الرواية اليهودية في استغاثة الملائكة بـ «أخنوخ». حيث يصور كاتب «سفر أخنوخ»، أن «أخنوخ» كان رسولا بين الأرض والسماء، يذهب إلى الملائكة القضاة في السماء الذين يحكمون على الملائكة المتمردة، فينزل إلى الأرض لإخبارهم بالعقاب الإلهي المحكوم به عليهم، فلما وقعت الملائكة في المعصية - على حد زعمه - وعرفت الذنب الذي اقترفته في حق نفسها، وعلمت مصيرها، والعقاب الذي لابد وأن يصيبها، خافوا وخجلوا من خطيئتهم، فتوجهت الملائكة إلى «أخنوخ»، وتضرعت إليه للتوسط لها بتقديم استرحام لها عند الرب، راجية غفرانه، وكانت تناديه بـ(«أخنوخ» يا كاتب العدالة). وطلبوا منه أن يقدم لهم التماسا للرب ليحصلوا على مغفرته، فاستجاب «أخنوخ» لطلبهم[2].

سابعا: ما نسب إليه أنه رسول بين السماء والأرض

والمرويات اليهودية جعلته - حسبما زعموا - ملاكا بل رئيسا للملائكة[3]. فقد جاء في سفر «حانوك» أن «أخنوخ» رفع إلى السماء، وعين حارسا على الكنوز السماوية، ورئيس

---

(1) انظر: أخبار الدول، ص21.

(2) نبي الله إدريس بين المصرية القديمة واليهودية والإسلام، ص116.

(3) المرجع السابق، ص12.

ملائكة العرش، وهو يعلم كل الأسرار والأمور الغامضة، وكل الملائكة رهن إشارته، وهو الذي يقود الأرواح إلى مكان سعادتها، ولقب بـ «أمير وجه الله»، و«أمير التوراة»، و«أمير الحكمة»، و«أمير العظمة»، وهو الذي يتنزل بوحي الله على «موسى» عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ»[1].

وجاء أيضا: «أن «أخنوخ» كان يظهر في العديد من الأشكال الملائكية لبني إسرائيل ولأنبيائهم؛ حيث نراه في شكل ملاك الرب باعتباره صلة الوصل بين الرب والأنبياء، وأحيانا مبلغ لناموس جديد، أو يظهر في شكل نار، كما هو الحال في قصة النبي «موسى» مع شجرة العليقة»[2]. وقيل أيضا: «وهناك في السماء فتحت على «أخنوخ» أبواب الحكمة، وعين «ميتاترون»، ورئيسا لكل الملائكة، وتحول جسده إلى جسد من نور»[3].

وتفسر الرواية اليهودية في «سفر أخنوخ الثاني» أن «أخنوخ» كان بارا تقيا، ولا يوجد له مثيل في العالم، فحينما قام الرب بعمل الطوفان، أخذه معه كشاهد على الطوفان، وقام الرب بإصعاده إلى السماء، وتحويله إلى الملاك «مطاطرون» (أو ميتاترون)، ثم قام بتعيينه كملاك يشرف على البشر؛ وذلك أنه ليس كمثل شخصيات أخرى في سفر التكوين، فهو لم يمت، بل تم أخذه إلى السماء»[4].

.. بل أن هناك من تطرف في الأمر واعتبر أن «تحوت» أو «جحوتي» الذي يوازي النسخة المصرية القديمة للنبي «إدريس» قد تحول إلى الروح القدس «سيدنا جبريل» عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ[5]؛ كما قرر ذلك أيضا «س. هـ. ليدر» في أوائل القرن العشرين قائلا: «يعتقد الأقباط أن الروح يزنها رئيس الملائكة «ميخائيل»، الذي يحل محل تحوت فيما قبل المسيحية»[6].

---

(1) ذو القرنين، ص540.
(2) نبي الله بين المصرية القديمة واليهودية والإسلام، ص81.
(3) ذو القرنين، ص540.
(4) نبي الله إدريس بين المصرية القديمة واليهودية والإسلام، ص150.
(5) مثل أحمد الهلالي، في مقال بعنوان «كيف تحول النتر جحوتي إلى الملاك جبريل حامل الوحي الإلهي»، بموقع حركة مصر المدنية، على الرابط: http:/ / www.civicegypt.org.
(6) أبناء الفراعنة المحدثون،مرجع سابق، ص153.

ثامنا: ما نسب إليه أنه بطل الأسطورة الشمسية

وقد جاء في «دائرة المعارف الإسلامية»، الترجمة العربية، مادة «إدريس»: «والذي يجعل «إدريس» بطلا من أبطال الأسطورة الشمسية هو أن روحه قبضت عند مغيب الشمس. ونجد في رواية أخرى لهذه القصة عدة نواح تشير إلى صلته بالأسطورة الشمسية . «ففي ذات يوم أثناء رحلة له اشتدت عليه حرارة الشمس فسأل الله أن يخفف وطأتها رحمة بالذي يطوي كل يوم رحلة قدرها خمس مئة سنة تحت هذه الحرارة (يعني ملك الشمس). وسأل «إدريس» هذا الملك أن يؤخر أجله، فحمله هذا الملك نحو مشرق الشمس وأبلغ سؤاله ملك الموت، ولم يستطع هذا الأخير أن يجيب سؤاله، فأطلعه ملك الموت على يوم موته، ولما فتح ملك الموت ديوانه لم يجد فيه وفاة «إدريس» ففسر الملك ذلك أن وفاة «إدريس» يجب أن تكون عند شروق الشمس، وقد وجده ملك الموت ميتا بالفعل عندئذ». ومع ذلك فإن «إدريس» خالد لم يمت، ومعنى ذلك - لو عبرنا عن الأسطورة الشمسية باللغة الجارية - أن الشمس تموت كل يوم وتحيا. أي إنها خالدة. ومازالت ناحية أخرى من نواحي صلة «إدريس» بالأسطورة الشمسية مائلة للأذهان في تفسير «المكان العلي» الوارد في الآية 57 من «سورة مريم». بأنه فلك الشمس[1].

كما ورد في كتاب «تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس» : «وفي فصوص الحكم أن الله قد رفعه مكانا عليا فهو في قلب الأفلاك ساكن، وهو فلك الشمس»[2].

تاسعا: ما نسب أنه أول من صعد إلى الفضاء

جاء في ذكر «إدريس» عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في «أخبار الدول» لـ«القرماني» (939هـ: 1019هـ) أمر عجيب، وهو: «أن الله أمر الملائكة أن تسكنه قلب الأفلاك وفلك الشمس وعلم دور الأفلاك وطبائع الكواكب وخواصها»[3].

---

(1) هرمس الحكيم بين الألوهية والنبوة، ص180.
(2) المرجع السابق، ص151.
(3) أخبار الدول، ص21.

وعند «إخوان الصفا» أيضا أن «إدريس» عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ صعد إلى فلك «زحل» ودار معه ثلاثين، حتى شاهد جميع أحوال الفلك، ثم نزل إلى الأرض فخبر الناس بعلم النجوم»[1].

وفي ذلك يقول «إسماعيل حامد»: «غير أن البعض غال - فيما يبدو - في أمر صعود النبي «إدريس» عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ إلى السماء حتى أن البعض تحدث عن قيام نبي الله بغزو الفضاء بواسطة مركبة فضائية. وهو أمر يشق علينا قبوله، لاسيما أن الروايات والحكايات التي تروي هذا المقام أقرب إلى الأساطير منها إلى الحكايات التي يقبلها العقل الإنساني.

وإن كنا لا ننكر - في الوقت ذاته - حدوث معجزة ربانية جعلها الله - عز وجل - آية منه لنبيه «إدريس»، فإن «القرآن الكريم» و«السنة النبوية» لم يتحدثا عن تلك المعجزة صراحة.

ولسنا نغفل - هنا - دور الإسرائيليات - في نبوغ الكثير من المزاعم والأباطيل - بل والخرافات - ولا ريب أن أكثر هذه المرويات ذيوعا ما ورد في كتاب عثر عليه بحارة اسكتلندي عام 1776م في بلاد الحبشة (أثيوبيا) ويدعى كتاب «أسفار أخنوخ». وهو يتحدث عن صعود «أخنوخ» إلى الفضاء بوساطة مركبة فضائية، وطالما أن «أخنوخ» هو ذاته النبي «إدريس» - كما هو شائع - فإن الحكايات والأسفار التي يزعمها هذا الكتاب هي ذاتها التي قام بها النبي «إدريس» وهو أمر لا حجة له[2].

«سفر أخنوخ» غير المعترف به:

«في عام 1776م، كشف أحد البحارة الاسكتلنديين ويدعى «بروس» عن نسخة من هذا الكتاب في بلاد الحبشة (أثيوبيا). وبعد ذلك بقرابة قرن من الزمان، تم العثور على نسخة أخرى لكتاب «سفر أخنوخ» في أوروبا (يوغسلافيا). ويعتقد أن هذه النسخ كانت منقولة عن متون عبرية أو يونانية أو حبشية»[3].. «ينسب هذا السفر لنبي التوراة «أخنوخ» وهو

(1) رسائل إخوان الصفا، ج1، ص138.
(2) هرمس الحكيم وعلاقته بالنبي إدريس، ص102.
(3) منصور، أنيس، الذين عادوا إلى السماء، دار نهضة مصر، مصر، ط1، 2012م، ص53.

سفر يوضع ضمن «أسفار الأبو كريفا» التي لا تعترف بها الطوائف اليهودية ولا تعترف بها الطوائف اليهودية والمسيحية. ويطلق على هذا الكتاب - أيضا - اسم «أسرار أخنوخ»»[1].

«والكتاب عبارة عن مجموعة من الأسفار اليهودية كتبت أصلا باللغة الآرامية على وجه الترجيح.. ويحتوي على رحلة «أخنوخ» في السماوات السبع وإعلانات الله لـ «أخنوخ» حسبما يزعمون، وكذلك يحتوي على ما يقولون إنه تحذيرات «أخنوخ» لأبنائه»[2].

«سفر أخنوخ» والمركبة الفضائية:

وقد ورد في السفر الشهير (سفر أخنوخ) - الذي يعتبره آباء الكنيسة من الأسفار غير القانونية - خبر رحلة «أخنوخ» في السموات السبع وإعلانات الله لـ «أخنوخ»، وتحذيرات «أخنوخ» لأبنائه[3]. ويصف الكواكب والأجرام السماوية، كما يتحدث عن دوران الشمس والقمر والأرض. وكان من الغريب أن يتكلم «أخنوخ» عن المدارات غير الدائرية للكواكب، وكذلك درجات الحرارة، وتتابع الألوان عن قرب وعن بعد كما يتحدث عن وصفًا غريب وغير مألوف لأحد المركبات الفضائية التي حملت «أخنوخ» وعرجت به إلى السماء[4].

وقد جاء في «سفر أخنوخ» ما يعتبر وصفًا للمركبة الفضائية التي أقلته إلى السماء: (وأدخلوني السماء من حائط من الكريستال محاط بالنار والشرار.. ثم دخلت هذا الجسم الهائل اللامع الذي ارتفع إلى السماء)[5].

عاشرا: ما قيل عن تجليه بعد ذلك في أزمان مختلفة

لعل الاعتقاد بفكرة التجلي في أزمان عديدة وتجاوز حدود الزمان؛ من جملة الاختلافات

(1) هرمس الحكيم وعلاقته بالنبي إدريس، ص125.
(2) هرمس الحكيم بين الألوهية والنبوة، ص184، 185، باختصار.
(3) المرجع السابق، ص185.
(4) الذين عادوا إلى السماء، مرجع سابق، ص53.
(5) سفر أخنوخ، الإصحاح: 14.

التي طالت سيرة نبي الله «إدريس» في صوره المختلفة، سواء العربية أو اليونانية أم المصرية القديمة.

فقد كان «القديس أوغسطين» (354م: 430م) يعتقد أن «هرميس المعظم ثلاثا» قد أتى بعد النبي «موسى» بقليل وتعلم منه ومن التعاليم الدينية التي وردت في الكتاب المقدس[1].

ويقال إن «فيتشينو» [Vicino] (1433م: 1499م) قد أثار موضوع المشابهات بين الوثائق و«سفر التكوين» التوراتي حتى ظن البعض أن «هرمس مثلث العظمة» والنبي «موسى» عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ يعودان إلى العصر ذاته - كما يزعم «د. وديع بشور» (1930م: 2015م) - وذلك إلى الدرجة التي تمادى فيها البعض وزعم أن «هرمس» هو ذاته «موسى» عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ[2].

وهو مثل قول «محمد عابد الجابري» (1936م: 2010م) عن اليهود في زعمهم أن النبي «موسى» هو «هرمس طوط»[3]. وهذا ما يؤكد عليه «المسيري» (1938م: 2008م) في الموسوعة حين يقول: «كان الظن السائد في عصر النهضة أن «موسى» و«هرمس» هما شخص واحد أو أن أحدهما تعلم من الآخر»[4].

بل أنه قد ورد في «البداية والنهاية» لـ «ابن كثير» (700هـ: 774هـ) وقد زعم بعضهم أن «إدريس» لم يكن قبل نوح بل في زمان بني إسرائيل»[5]. ويعلق الشيخ «عبد الوهاب النجار» (1862م: 1941م) على قول «ابن كثير» قائلا: «وقضية قوله: (زعم بعضهم) أن هذا الزعم لا يعول عليه»[6].

وقد ورد في «سفر التكوين»: «إن «أخنوخ» كان موجودا منذ بدء الخليقة، وأنه كان

(1) أثينا السوداء، ص270.
(2) الميثولوجيا السورية وأساطير آرام، مرجع سابق، ص47.
(3) راجع: تكوين العقل العربي، ص171.
(4) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ج5، مرجع سابق، ص298.
(5) البداية والنهاية، ص100.
(6) قصص الأنبياء، ص50.

يزور الهيكل في «عيد الحانو كاه»، وفي أعياد أخرى كالفصح و كان يعلم ويرشد الأنبياء مثل «إيليا» و«إشعيا» و«زكريا»»[1].

ويقول رواة «المشنا» اليهودية: «إن الرب خلق العالم بواسطة التوراة التي أعطاها لـ«أخنوخ»، وبعثه ليسلمها إلى «موسى» في جبل سيناء، وأنه أخبر «موسى» أن يكتبها حتى لا يعرفها إلا الخاصة من أبناء بني إسرائيل، و كان من بينها «المشنا» والتشريعات الخاصة ببني إسرائيل».

ويقول «المدراش» أيضا: «إن «أخنوخ» كان يزور الهيكل اليهودي عدة مرات في الأوقات التي يمر فيها الشعب اليهودي بمحن، وأنه كان يبكي على بني إسرائيل وما يصيبهم من محن، ويدعو الرب أن يرحمهم ويرفع عنهم ظلم الأمم الأخرى، ويظهر لهم ليقدم لهم الصبر والسلوان فيما يمرون به من ضوائق و كوارث».

وجاء أيضا: «إن «أخنوخ» كان يظهر في العديد من الأشكال الملائكية لبني إسرائيل ولأنبيائهم؛ حيث نراه في شكل «ملاك الرب» باعتباره صلة الوصل بين الرب والأنبياء، وأحيانا مبلغ لناموس جديد، أو يظهر في شكل نار، كما هو الحال في قصة النبي «موسى» مع شجرة العليقة»[2].

(1) نبي الله إدريس بين المصرية القديمة واليهودية والإسلام، ص80.

(2) المرجع السابق، ص81.

المبحث الرابع

ما نسب إليه من أعمال

.. «له دور بارز ومؤسس لأركان الحضارة الإنسانية، في الدين والعلم والفن والفلسفة»..

(من مقولات «د. ماجد الصعيدي» عن «هرمس مثلث الحكمة» بكتاب «هرمس في المصادر العربية»).

أولا: ما نسب إليه أنه أول من اخترع الكتابة

حيث إن معظم التفسيرات لتشير لانتساب اختراع الكتابة إلى نبي الله «إدريس». فقد جاء في تفسير النسفي: «أول من خط بالقلم وخاط اللباس ونظر في علم النجوم والحساب واتخذ الموازين والمكاييل والأسلحة فقاتل بني قابيل»[1]. وجاء في التفسير الكبير لـ «الفخر الرازي» (توفي 606هـ) أيضا: «إن الله تعالى شرفه بالنبوة وأنزل عليه ثلاثين صحيفة وهو أول من خط بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب وأول من خاط الثياب ولبسها، وكانوا يلبسون الجلود»[2].. مما يشير إلى علاقة ما بين اختراع الكتابة وتلك الشخصية الموغلة في القدم «هرمس مثلث الحكمة».

علاوة على الحديث الوارد في «صحيح ابن حبان» الذي جاء فيه من قول رسول الله ﷺ لأبي ذر: «وأخنوخ وهو إدريس عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهو أول من خط بالقلم»[3].

لذا قال «القنوجي» (1832م: 1890م) إن «آدم» عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يرسم الخطوط بالبنان،

(1) تفسير النسفي، ج16، مجلد 3، مرجع سابق، ص169، 170.
(2) تفسير الرازي، ج21، ص234.
(3) أخرجه ابن حبان في صحيحه، (2/ 77).

وكان أولاده يتلقونها بوصية منه، وبعضهم بالقوة القدسية القابلية فكان أقرب عهد إليه، «إدريس» عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؛ فكتب بالقلم، واشتهر عنه من العلوم الكثير»[1]

كما ورد في «الموسوعة العربية الميسرة» لـ «محمد شفيق غربال» (1894م: 1961م): أنه يعد أول من خط بالقلم[2]. ولما ذكر «أفلاطون» (428ق.م: 348ق.م) مع بداية القرن الرابع قبل الميلاد أن «تحوت» هو مخترع الكتابة والأعداد والفلك وغير ذلك من العلوم[3]؛ تلازم مع ذلك أسئلة عدة عن علاقة ذلك بتاريخ الهيروغليفية في المصرية القديمة. خاصة مع إقرار الكثير بارتباط بداية الكتابة مع شخصية «هرمس» في ثقافات عدة، فقد اشتهرتا شخصيتا «هرمس المصري» واليوناني بأن كلا منهما قد اخترع الكتابة[4].

ويعتبر كل من «شيشرون» (106ق.م: 43ق.م) و«كليمنت السكندري» (150م: 215م) أن «تحوت» مخترع الكتابة الهيروغليفية ومؤلف النصوص الأساسية للحكمة المصرية القديمة هو أصل الإله اليوناني «هرمس».. لأن الكاهن الأفلاطوني «كليمنت السكندري» - الذي يعد أحد المرجعيات المعتبرة في الحضارة اليونانية، وهو الأعلم بالحضارة المصرية لقربه الزمني والمكاني منها- قد أعلن فعلا ذلك في نهاية القرن الثاني الميلادي[5].

وقد قدم «أفلاطون» (428ق.م: 348ق.م) - في محاورته الشهيرة «فايدروس» - «تحوت» على أنه أول من اخترع الأرقام والحساب والهندسة وعلم الفلك وحروف الكتابة[6].

ثانيا: ما نسب إليه أنه هو «اللوجوس»

وقد قالوا عنه أنه هو «اللوجوس».. أي «الكلمة» المقدسة أو «العقل» الذي يحكم

(1) القنوجي، محمد صديق خان بن حسن، أبجد العلوم، ج1، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 2002م، ص163.

(2) غربال، محمد شفيق، الموسوعة العربية الميسرة، دار الشعب، مصر،1965م، ص99.

(3) أثينا السوداء، ص265.

(4) هرمس مثلث الحكمة بين الأسطورة والواقع، ص41.

(5) معجم آلهة مصر القديمة، ص6.

(6) راجع: رسائل توت في الحكمة والفلسفة، ص4.

الكون. كما ورد في الهرمسيات المنسوبة إليه أن الله قد صنع العالم عن طريق «الكلمة» (اللوجوس) ليكون الله مرئيا في مخلوقاته[1].

و«اللوجوس» هي من أكثر الكلمات غموضا في الفكر الإنساني سواء الديني أو الفلسفي، وأول من استخدم الكلمة هو الفيلسوف اليوناني القديم «هيراقليطس» (540ق.م: 480ق.م): الذي اعتبره هو «القانون الكلي للكون»، ويعتقد أن كل القوانين الإنسانية تتغذى من قانون إلهي واحد. و«الفلاسفة الرواقيون» يقولون إن «اللوجوس» هو المبدأ الفعال في العالم، وهو الذي يشيع فيه الحياة، وهو الذي ينظم ويرشد العنصر السلبي في العالم وهو المادة. ثم جاء الفيلسوف اليهودي «فيلون» (25ق.م: 50م) من بعد فقال عن «اللوجوس» إنه أول القوى الصادرة عن الله وأنه محل «الصور» وأنه النموذج الأول لكل الأشياء.

وفي «سفر الحكمة» لسليمان من «أسفار العهد القديم» أن الحكمة هي «اللوجوس». وبـ«الإنجيل الرابع» المنسوب إلى «يوحنا»(ولد 6م) تصور مختلف عن «اللوجوس» أنه هو الله، والكلمة هي الخالقة وهي ابنه «يسوع المسيح»، وإنجيل «يوحنا» يستهل بالحديث عن «الكلمة»: «في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، والله هو الكلمة». ثم جاء الآباء المسيحيون «يوستينوس» (265م: 340م) و« كليمنت السكندري» (150م: 215م) و«أوريجانس السكندري» (185م: 254م) فوجدوا في فكرة «اللوجوس» وسيلة لتفسير الاتفاق بين الفلسفة اليونانية وبين العقيدة المسيحية، بأن ادعوا أن «اللوجوس» مصدر كلتيهما والينبوع الوحيد لكل حقيقة. وقد أكدوا على أن «اللوجوس» يشارك فيه كل الجنس البشري من حيث هو «العقل».

حتى جاء مجمعا الكنيسة («نيقية» سنة 325م و«أفسوس» سنة 431م) الذين قالوا فيهما بالتساوي بين الله والابن الذي هو «اللوجوس». ومن إثر ذلك أصبح «اللوجوس» معنى دينيا، أكثر منه فلسفيا نجده خصوصا عند الصوفية، وبخاصة عند «ابن عربي» (558هـ: 638هـ) بين المسلمين. ثم صار «اللوجوس» مهملا تقريبا عند الفلاسفة المحدثين[2].

---

(1) زيدان، يوسف، دوامات التدين، دار الشروق، مصر، ط1، 2013م، ص31.

(2) موسوعة الفلسفة، ج2، مرجع سابق، ص371، 372، باختصار.

وتختلف كلمة «اللوجوس» بناءا على سياقاتها. ومن معانيها: «الكلمة» و«المنطق» و«الخطاب» و«اللغة» و«المبدأ» و«العقل» و«العقل الكلي» و« كلمة الإله» ومعاني أخرى كثيرة.

أما عند علماء المسلمين فإن مفهوم «اللوجوس» يتوافق مع مفهوم الكلمة التي خلق بها الله الكون « كن» كما في القرآن الكريم ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: 82] بل ولما ورد عن الفيزيائيين الجدد قولهم بأن الكون ما هو إلا صدى لتردد واحد نشأ قبل «الانفجار العظيم»، وافق ذلك مقوله علماء المسلمين أن الكون صدى لكلمة واحدة.. هي « كن» فيكون.

والمسيري يرى تمايز الرؤية الإسلامية لنقطة البداية الكونية؛ فيقول: «ولعل اختلاف نقطة البدء الإسلامية عن نقطة البدء المسيحية أمر عميق الدلالة في هذا المضمار.. ففي المسيحية واليهودية، نجد أن لحظة البدء هي الكلمة نفسها (تجسد اللوجوس)، فالكلمة هي الأساس الأنطولوجي لهذا العالم. أما في الإسلام، فإن لحظة البدء هي اللحظة التي يُعلم فيها الإله آدم الأسماء كلها، فلحظة بدء العالم لحظة إبستمولوجية معرفية، وتفترض وجود إله يسبق خلق المادة، إله عالم عليم، ومن خلال التي يتلقاها آدم منه يصبح إنسانا، أي يتم التواصل بين الإله والإنسان بدون تجسد، أي أن ثمة اتصالًا وانفصالًا في آية»(1).

عود على بدء وغاية.. فكل من قال عن «هرمس» أنه هو «اللوجوس» أو قالوا هو تجسيد للكلمة أو «اللوجوس»؛ ارتكن إلى كونه مخترع الكتابة وأنه أول من خط بالقلم، لأن الوعي يحتاج إلى لغة واللغة هي أداة الوعي، وفي اللغة قول أو نطق أو منطق أو كلمة.. بمعنى اصطلاحي فلسفي أخر «لوجوس».

وكما يعتقد «هنري برستيد» (1865م: 1935م) أن تصور الغربيين لعقيدة «اللوجوس» نابع من المعين المصري القديم(2). فإن «علاء الدين عبد المتعال» يرى وضوح فكرة المصدر

(1) اللغة والمجاز، مرجع سابق، ص135.
(2) برستيد، هنري، تاريخ مصر، ترجمة: حسن كمال، مكتبة مدبولي، ط2، مصر، 1997م، ص236.

المصري لتصور «اللوجوس» كما صوره «هيراقليطس» (540ق.م: 480ق.م)[1].. كما يلاحظ أيضا أن تصور «هنري برستيد» أفضل لتحديده مفهوم «اللوجوس» على أنه «العقل الإلهي» المدبر الأعلى، الذي ينطق اللسان بأمره «كن» فيتكون الموجود على صورته في الواقع الخارجي[2].

والجدير بالذكر أنه في لاهوتيات أخرى كان «تحوت» هو مخترع الكتابة والرياضيات وسيد التعاويذ السحرية، وهو رمز الكلمة المقدسة التي ربطت الآلهة ببعضهم، كما ربطت بينهم وبين البشر، حتى أنه كان يعامل أحيانا على أنه خالق العالم[3].

ثالثا: ما نسب إليه أنه أول كيميائي

لقد أكثر الباحثون في تاريخ الكيمياء من ذكر «هرمس». وكما جاء في «الفهرست» لـ «ابن النديم» (توفي 438هـ) أن «هرمس» أول من تكلم في علم الصنعة (أو الكيمياء) في قوله: «زعم أهل صناعة الكيمياء وهي صناعة الذهب والفضة من غير معادنها أن أول من تكلم عن علم الصنعة «هرمس» الحكيم البابلي المنتقل إلى مصر عند افتراق الناس عن بابل. وكان حكيما فيلسوفا وأن الصنعة صحت له وله في ذلك عدة كتب. وقد قيل إن ذلك قبل «هرمس» بألوف السنين على مذهب أهل القدم»[4].

ويرجع تاريخ الكيمياء إلى نحو ثلاثة آلاف أو يزيد من السنين قبل الميلاد. وأن الحضارات التي تستوحي منها شيء عن الكيمياء وكيفية نشوئها كانت حضارة مصر القديمة»[5]. ولكن «د. عدنان الظاهر» لا يستبعد أن تكون كلمة «كيمياء» مشتقة أصلا من الكلمة المصرية

(1) هرمس مثلث الحكمة بين الأسطورة والواقع، ص172.

(2) المرجع السابق، ص173.

(3) أثينا السوداء، ص264.

(4) الفهرست، مقالة 10، ص507، 508. وكذا: هرمس الحكيم بين الألوهية والنبوة، ص125.

(5) عبد الرحمن، حكمت نجيب، الكيمياء عند العرب، ص303، أبحاث الندوة العالمية الأولى لتأريخ العلوم عند العرب، جامعة حلب، 1976م.

القديمة «كمي» أو «خمي» التي تعني «التراب الأسود»[1]. أو كما يقول باحثون آخرون أنها مشتقة من «كيم» أو «كمت» المصرية القديمة التي تعني «التربة السوداء»[2].

رابعا: ما نسب إليه أنه أول من تكلم في علم الفلك

لما ذكر «أحمد غسان سبانو» عن «هرمس» أنه أول من تكلم في الأمور السماوية أي علم الفلك والنجوم والتقويم، وقال: «فلهرمس ارتباط كبير بما يسمى «الأسطورة الشمسية»»[3]، أورد أقوالا تدعم ما يقول، مثل قول «أبو الحسين بن فارس» (329هـ: 395هـ = 940م: 1004م) في كتابه «فقه اللغة»: «إدريس» أول من نظر في علم النجوم والحساب» كذا في «البرهان» للزركشي (745هـ: 794هـ). وذكر في موضع أخر: «وحكماء اليونان ينسبون إليه في علم الهيئة والنجوم والحساب ويسمونه «هرمس الحكيم»، وهو عظيم عندهم»[4].

كما أورد «لويس مينار» (ولد في 1898م) أخبارا عن انفراد «هرمس المصري مثلث الحكمة» ببحث عن النجوم ووضع علم الفلك والرياضة. وقد ورد ذلك عند كل من «البلخي» (787هـ: 886هـ) و«الشهرستاني» (476هـ: 548هـ) و«ابن النديم» (توفي 438هـ) وغيرهم، حيث أورد «الشهرستاني» أن «هرمس» مؤسس عقيدة الصابئة ومحدد الهياكل الفلكية على أنهم «الصابئة المؤمنون». كما حدد «ابن النديم» أسماء الكتب التي تولت البحث في النجوم والأفلاك. وإن كان «كليمنت السكندري» (150م: 215م) قبلهم جميعا قد أورد أن «مثلث الحكمة» هو الذي أضاف الأيام الخمس فتكتمل السنة الشمسية 360 يوم»[5].

مما يوافق ما ذكره «ياروسلاف تشيرني» (1898م: 1970م) عن «تحوت الأكبر» - المقابل المصري القديم لـ «هرمس» - في قوله: «وقد كان المصريون القدماء يحتفلون بعيد «تحوت»

(1) الهاشمي، محمد يحيى، الإمام الصادق ملهم الكيمياء، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1993م، ص185.

(2) الكيمياء عند العرب، مرجع سابق، ص303.

(3) هرمس الحكيم بين الألوهية والنبوة، ص7.

(4) المرجع السابق، ص149.

(5) هرمس مثلث الحكمة بين الأسطورة والواقع، ص45.

الأكبر في الشهر الأول من التقويم المصري. ومنذ عصر «الدولة الحديثة» أصبح يطلق على ذلك الشهر اسم «تحوت» وقد تحول هذا الاسم في اللغة القبطية إلى «توت»»[1].

ويوافق أيضا ما ورد في أساطير تفسيرات «المشنا» و«التلمود» من قول «رابي أفراهام»: «إن «أخنوخ» ترك عددا من الكتب السرية، وأوصى ألا يطلع عليها أحد من أبنائه لا من هو يعلم بشؤون الفلك»[2].

خامسا: ما نسب إليه أنه أول طبيب

يذكر «أحمد غسان سبانو» في مقدمته أنه أول طبيب؛ ذاكرا أن تاريخ الطب سواء في مصر أو بابل يعود للألف الرابعة والثالثة قبل الميلاد[3].

وقد كان كثير من المؤرخين ينسبون الطب في بدايته إلى «اسقلبيوس» كما ذكر غير واحد منهم، مثل «يحيى النحوي» (490م: 570م) وكثير منهم يخلط بين «اسقليبيوس» - الذي يعدونه «امنحوتب» وزير الملك «زوسر» - و«هرمس»، لكن بقليل من التحقيق يتضح قدم «هرمس» المشار إليه كان قبل الطوفان، أي أقدم من «اسقلبيوس»، وأنه هو الذي اشتهر قبله بالطب إلى جانب كونه صاحب كتاب «الحيوانات والسموم»[4]. ويذكر «د. شوكت الشطي» (1900م: 1979م) في كتاب «تاريخ الطب»: «كما يروى أن «هرمس» جمع قواعد الطب فأودعها في ستة كتب من كتبه الإثنى والأربعين المقدسة وكانت حراسة هذه الكتب موكولة إلى الكهنة»[5].

كما قد جاء في «دائرة معارف القرن العشرين» لـــ «محمد فريد وجدي» (1887م: 1954م) «وأما «أبو معشر البلخي» المنجم (787هـ: 886هــ) فإنه ذكر في كتاب «الألوف»

(1) الديانة المصرية القديمة، ص79.
(2) نبي الله إدريس بين المصرية القديمة واليهودية والإسلام، ص154.
(3) هرمس الحكيم بين الألوهية والنبوة، ص7.
(4) هرمس مثلث الحكمة بين الأسطورة والواقع، ص42، 43، بتصرف واختصار.
(5) هرمس الحكيم بين الألوهية والنبوة، 168.

أن «أسقليبيوس» هذا لم يكن بالمتأله الأول في صناعة الطب، ولا بالمبتدئ بها بل إنه عن غيره أخذ، ونهج من سبقه سلك، وذكر أنه كان تلميذ «هرمس المصري»»[1].

إذن لا عجب من قول «هوميروس» في «ملحمة الأوديسة»: «في مصر الرجال ماهرون في الطب أكثر من أي جنس بشري آخر»[2]. وإلى الآن لا تزال شارة «الطبابة» تعرف باسم «صولجان هرمس»، وهي شارة عالية عبارة عن صولجان تلتف عليه حيتان في أعلاه جناحان[3].

«شارة الطبابة» المعروفة عالميا بـ «صولجان هرمس»..

(1) المرجع السابق، 183.

(2) هاري، جاميسون، إيمحتب، إله الطب والهندسة، ترجمة: محمد العزب موسى، هيئة الآثار المصرية، مشروع المائة كتاب، رقم12، مصر، 1988م، ص17.

(3) هرمس مثلث الحكمة بين الأسطورة والواقع، ص6، وكذا: هرمس الحكيم بين الألوهية والنبوة، ص198.

سادسا: ما نسب إليه أنه شيخ الصنَّاع والحرفيين وأول من حاك الثياب

لما كتب «أحمد غسان سبانو» عن «هرمس» أنه مبدع الكتابة والخياطة وعلم الفلك والطب الفلسفة[1]؛ استشهد بما ورد في «الموسوعة العربية الميسرة» لـ «محمد شفيق غربال» (1894م: 1961م): «أنه يعد أول من خط بالقلم وأول من عرف التنجيم والطب، وشيخ الصناع وأهل الحرف»[2]. وكذا ما جاء في «دائرة المعارف الإسلامية» في ترجمتها العربية عن «هرمس»: «أنه راعي الخياطين، وأحد الرعاة السبعة الذين يرعون النظام النقابي»[3]. وقد ورد في «معجم الميثولوجيا العالمية» كذلك: «أن «هرمس» يعد إلها للحرف اليدوية»[4].. وقد وصفه «هيكاتاوس» (550ق.م: 476ق.م) بأنه أعظم المخترعين من البشر[5].

وقد قال «سبانو» في مقدمة كتابه في التعريف بـ «هرمس»: «وهو أول من خاط الثياب، وثابت علميا وأثريا أن أول طريقة كانت في استخدام ما يستر الإنسان كان لف القماش لفا، وأن أوائل الخياطة قد وجدت في مصر وبابل في فجر حضارتها بنفس المدة المقترحة[6].

كما ورد في تفسير «ابن كثير» عن «ابن عباس» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أن «إدريس» عَلَيْهِ السَّلَامُ كان خياطا، فكان لا يغرز إبرة إلا قال: «سبحان الله» فكان يمسي حين يمسي، وليس في الأرض أحد أفضل منه»[7].

وقد وافق ذلك ما ورد في سفر «هيي هنوك» في نص متأخر يظهر «أخنوخ» إسكافيا، لا يغرز غرزة إلا وذكر الله[8].

(1) هرمس الحكيم بين الألوهية والنبوة، ص9.
(2) الموسوعة العربية الميسرة، دار الشعب، مرجع سابق، ص99.
(3) هرمس الحكيم بين الألوهية والنبوة، ص179.
(4) المرجع السابق، 198.
(5) أثينا السوداء، ص265.
(6) هرمس الحكيم بين الألوهية والنبوة، ص7.
(7) ابن كثير، التفسير، ج3، ص127.
(8) ذو القرنين، ص541.

سابعا: ما نسب إليه أنه واضع أول تقويم «التقويم التحوتي»

جاء في مقدمة «أحمد غسان سبانو» لكتابة «هرمس الحكيم بين الألوهية والنبوة» أن «هرمس» هو مكتشف التقويم وعلم الفلك[1].. وقد وافق ذلك ما جاء في «لغز الحضارة المصرية»: أن «تحوت» (أو «هرمس المصري») هو أول من وضع «التقويم التحوتي»[2].

علما بأن أقدم تقويم عرفته البشرية كان «التقويم المصري القديم»، والذي عرف باسم «التقويم التحوتي المقدس» لنسبته لـ «تحوت» إله المعرفة وحساب الزمن عند المصريين القدماء.. ولعل فكرة قياس الزمن والتقويم، ولاسيما «التقويم الشمسي»، أوحتها للإنسان الدورة الزراعية، إذ يمكن قياس طول السنة الشمسية من وقت بذر إلى وقت بذر آخر أو من حصاد إلى حصاد آخر[3]. كما أن السنة تنتهي باسم مصر، أي شهر «مسرا»[4]

وهو تقويم يعتمد على النجوم في تحديده، وهو تاريخ أقدم دورة للنجم «سبدت» أو «سيروس» (الشعرى اليمانية) في ظهوره الاحتراقي مع شروق الشمس. وكان ظهور «النجم الشعري» يعلن عن يوم الفيضان، وهو بداية العام في التقويم التحوتي. وبداية «التقويم التحوتي» أي «عيد رأس السنة» يوافق يوم (19 يوليو) من «التقويم الميلادي» الحالي.

وقد استخدم الرومان «التقويم التحوتي» المصري وأطلقوا عليه اسم «التقويم القيصري» وعملت به أوربا عدة قرون، ثم قام بتعديله البابا «جريجوري الثالث عشر» (1530م: 1585م)، وهو المعمول به حاليا[5].

(1) هرمس الحكيم بين الألوهية والنبوة، ص7.

(2) لغز الحضارة المصرية، ص120.

(3) انظر: باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج1، دار الوراق، لندن، انجلترا، 2009م.

(4) السيسي، وسيم، في البدء كانت مصر، الدار المصرية اللبنانية، مصر، 2017م، ص27.

(5) عبد الفتاح، سيد صديق، أغرب الأعياد وأعجب الاحتفالات، دار الأمين، مصر، ط1، 1994م، ص503 - 505.

ثامنا: ما نسب إليه أنه أول من مدن المدن

لما ذكر «د. علاء الدين عبد المتعال» أن «هرمس» أول مؤسس لمدينة على وجه الأرض[1]، ارتكن في ذلك على ما أورده «القفطى» (568هـ: 646هـ) في كتابه «إخبار العلماء»: «خرج «إدريس» من مصر، وجاب الأرض كلّها، ثم عاد إليها»[2].

وورد في «تاريخ الحكماء» لـ «القفطي» أيضا: «إن «إدريس» عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ قسم الأرض إلى أربعة أقسام. وجعل على كل قسم منها ملكا يسوس حتى آخر الجزء المعمور منه»[3]. ويقول أيضاً: «وكان «إدريس» في رحلته للشرق قد ابتَنَى مائة وأربعين «مدينة» ثم عاد لمصر»[4].

كما يقول عنه: «أنه جمع كل طالبي العلم بكل مدينة فعرفهم السياسة المدنية، فبنت كل فرقة من الأمم مدنا في أرضها، وكانت عدة المدن التي أنشئت في زمانه مائة مدينة وثمان وثمانين مدينة، أصغرها «الرها»»[5].

وفي ذلك يقول «د. محمد عمارة»: «ولقد أقام إدريس بمصر - ومن معه - يدعو الخلائق إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وطاعة الله، عز وجل.. ورسم لهم تمدين المدن. وجمع لهم طالبي العلم بكل مدينة. فعرفهم السياسة المدنية. وقرر لهم قواعدها.. وعلمهم العلوم»[6].

تاسعا: ما قيل عنه أنه كان ملكا على مصر

يقول «المقريزي» (764هـ: 845هـ) في «المواعظ والاعتبار»: «أن النبي «إدريس» قد

(1) هرمس مثلث الحكمة بين الأسطورة والواقع، ص22.
(2) إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص2.
(3) المرجع السابق، ص4.
(4) المرجع السابق، ص3.
(5) إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص202.
(6) في فقه الحضارة الإسلامية، ص228.

أعقب أبناءً، أحدهم يدعى «طا»، وآخر يدعى «صا»، وثالث يدعى «أتريب»، أما الابن الرابع فكان يدعى «قفط»»[1].

أما في «أنباء الرسل» فقد جاء: «وكان نبي الله «إدريس» يأمر الناس بصلوات ذكرها لهم، وأمرهم بصيام أيام معلومة من كل شهر، وكان يحثهم على الجهاد في سبيل الله. ويقال إن «إدريس» أمر المصريين بزكاة الأموال معونة للفقراء والضعفاء. وشدد عليهم الطهارة، وحرم لحم الحمار والكلب، وحرم المسكر من الشراب. ويقال أيضا إن «إدريس» عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ جعل للمصريين قرابين إلى الله منها دخول الشمس رؤوس البروج، وعند رؤية هلال القمر، وعند دخول الكواكب في مداراتها، ومناظرتها للكواكب الأخرى. كما جعل «إدريس» أعيادا كثيرة في أوقات معلومة»[2].

عاشرا: ما نسب إليه أنه أول رائد للسحر والتنجيم

رغم أن التنجيم (Astrology) هو الوجه السحري والشعبي لعلم الفلك (Astronomy) فإن الفارق بينهما كبير، حيث إن علم الفلك هو علم رياضي يتحرى حركة الكواكب والنجوم وطبيعتها وأبعادها، بينما علم التنجيم علم سحري يربط بين حركة الأفلاك وسلوك الأفراد والجماعات على الأرض بطريقة سحرية[3]. لكن التنجيم لم يبدأ بداية سحرية، بل كان في بدايته محاولة لرصد الكواكب والنجوم في السماء وتحديد أوقات سقوط المطر وهبوب الرياح وتبدل الفصول.

ولعل فكرة قياس الزمن والتقويم، ولاسيما «التقويم الشمسي»، أوحتها للإنسان الدورة الزراعية، إذ يمكن قياس طول السنة الشمسية من وقت بذر إلى وقت بذر آخر أو من حصاد إلى حصاد آخر[4].

---

(1) الخطط، مرجع سابق، ص114.

(2) من أنباء الرسل، مرجع سابق، ص37.

(3) مقال بعنوان «التنجيم السومري والأبراج السومرية»، بقلم: خزعل الماجدي، بموقع بوهيميا، على الرابط: http:/ / www.bohemea.net/

(4) انظر: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج1، مرجع سابق.

وقد أورد صاحب «الفهرست» في ذكر كثير من الكتب التي نسبت إلى «هرمس»، ومنها كتب «هرمس» في النيرنجات «الخواص والطلسمات»، ومنها: كتاب «هرمس» «في النشر والتعاويذ والعزائم»، وكتاب «الطاريطوس من نيرجات الأشجار والثمار والأدهاق والحشائش»، وكتاب «فريقوسوس في الأسماء والحفظة والتمائم والعوذ من حروف الشمس والقمر والنجوم الخمسة وأسماء الفلاسفة»، وكتاب «فريقوسوس في الخواص»، وقد جزأه ثلاثة أجزاء، كل جزء يحتوي على معنى»[1].

لذا يقرر «د. نجيب بلدي»: «أن علم التنجيم كان علاقته بعلوم نظرية كالفلك والهندسة مذكورا مدروسا في المؤلفات الهرمسية وفي أقدم أجزائها إلى قبل العصر الميلادي ذاته»[2].

ولفظ «Hermetic» (آو الهرمسيات) كما يذكر «جورج سارتون» يشير إلى العلم المستور، ويشير أيضا إلى المغلق المحكم. كما كانت صناعة الكيمياء تسمى الفن المحكم الانغلاق، وكانوا يتحدثون أيضا عن الطب المحكم الانغلاق.. وحتى القرن الثالث قبل الميلاد فإن العناصر الفنية في التنجيم وتفاصيل عبادة النجوم، كان مصدرها بابل ومصر. وكان أهم الكواكب التي يعتمد عليها في تفسير القدر هي الكواكب السبعة، ومنها «عطارد» أو «هرمس»»[3].

وقد وافق ذلك ما ورد عن كتاب «تحوت» أو المقابل المصري القديم لـ «هرمس» المسمى بـ «كتاب الحكمة»، إذ «تتحدث الأساطير المصرية القديمة عن كتاب فريد ينسب إلى «تحوت» أو «هرمس المصري». وتقول الأساطير إن «تحوت» رب الحكمة والمعرفة كان قد دون في هذا الكتاب كل العلوم والمعارف، وكذلك فنون السحر. ويدعى هذا الكتاب «كتاب الحكمة»»[4].

وليس هذا هو الكتاب الوحيد من هذه النوعية، ولكن يوجد مثلا كتاب آخر اسمه

---

(1) الفهرست، ص417، وكذا: هرمس الحكيم بين الألوهية والنبوة، ص125.

(2) تاريخ مدرسة الإسكندرية وفلسفتها، ص92، 93.

(3) سارتون، جورج، تاريخ العلم، ج4، دار المعارف، مصر، 1991م، ص296 - 298.

(4) حامد، إسماعيل، موسوعة الأساطير الفرعونية، مكتبة النافذة، مصر، ط1، 2009م، ص305.

«السبع كواكب السيارة» الذي ينتمي إلى نوعية المؤلفات التي تتحدث عن «علوم التنجيم» والتنبؤات وكذلك الطالع، وذلك ربطا بحركات الأجرام ومدارات الأفلاك السماوية»[1].

وقد أشيع عند علماء المصريات عن «تحوت» أنه كان يحمل ألقابا مهمة منها «سيد السحر» و«العظيم في السحر» بحسب الأساطير المصرية[2]. كما جعلت براعة «تحوت» في الهيروغليفية والألفاظ الإلهية ساحرا قويا يستطيع تحويل أي شيء يريد إلى أي صورة يشاؤها، بسبب معرفته بقوة «الكلمة الخلاقة»، هذا ما تؤكده الميثولوجية المصرية»[3]. لذا فقد اعتبره قدماء المصريين حارس التمائم ونسبوا إليه وضع الكثير من رموزها وأشكالها وطلاسمها السحرية، وإلى قوته يرجع أثرها في الحفظ ودفع الشر والمناعة والعلاج واستجلاب الخير[4].

حادي عشر: ما نسب إليه أنه عطارد

قد ذكر ابن النديم (توفي 438هـ) في الفهرست: «أنه كان أحد السبعة السدنة الذين رتبوا لحفظ البيوت السبعة، وأنه كان إليه «بيت عطارد»، فإن عطاردا باللغة الكلدانية: «هرمس». وقيل إنه انتقل إلى أرض مصر بأسباب وإنه ملكها»[5].

وعطارد هو أصغر كواكب المجموعة الشمسية وأقربها إلى الشمس، وقد سمي «ميركوري». ويظهر «عطارد» بشكل متألق عندما يراه الناظر من الأرض، رغم صعوبة النظر إليه. وهو يشبه قمر الأرض في شكله. ويرجع تاريخ رصد عطارد إلى الألفية الأولى قبل الميلاد. وقد أطلق الإغريق عليه تسمية «هرمس» ويشتق الرمز الفلكي لعطارد من شكل الصولجان الأسطوري لإله التجارة الإغريقي «هرمس».

---

(1) هرمس الحكيم وعلاقته بالنبي إدريس، ص78.

(2) الديانة المصرية القديمة، ص79.

(3) بوزنر، جورج، معجم الحضارة المصرية، ترجمة: سلامة أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، مصر، 2001م، ص95.

(4) كريم، سيد، السحر والسحرة عند قدماء المصريين، نهضة مصر، مصر، ط2، 2008م، ص13.

(5) الفهرست، ص494. وكذا: هرمس الحكيم بين الألوهية والنبوة، ص125.

قصة كتاب «الحكماء السبعة» الطلسمي:

جرت العادة عند الإغريق أن ينسبوا إلى كل كوكب إلها باسمه، فإن المؤلفين العرب الأوائل فضلوا أن يطلقوا على تلك الآلهة تعبير «سدنة» لبيوتها لا آلهة. ووصفوهم بالحكمة، فكتاب «الحكماء السبعة» - على هذا الأساس - ليس إلا مجموعة من المعارف المأخوذة من الميثولوجيا الشرقية القديمة، وليس كتابا واحدا قائما بذاته، لكنه - كما يدعون - يحتوي على الحكمة المنسوبة إلى «هرمس» أو «عطارد».

أما عن زعم علاقة الكواكب بأقدار البشر، فإن نصوص هرمس تقول: «الشمس تكفلت بالفرح، وتكفل القمر بالنوم، وتكفل زحل بحدود العدالة والضرورة، وتكفل المشترى بالسلام، وتكفل المريخ بالصراع، وتطوعت الزهرة بالحب، وتولى «عطارد» (أو هرمس) الحكمة»[1].

ثاني عشر: ما نسب إليه أنه مكتشف الموسيقى ومخترع القيثارة والمزمار

ورد في دائرة المعارف البريطانية «بر تانيكا»: أن «هرمس» كان «نصير الموسيقى»، وهو الذي اخترع القيثارة[2]. وقيل إنه مبتكر المزمار كذلك.. وإذا كان «فيثاغورث» (570ق.م: 501ق.م) هو الذي وضع التقسيمات الموسيقية على أساس تقسيم أطوال الأوتار على القيثارة، فإن المزمار من الناحية المنطقية يعتبر اختراعا مصريا أقدم، والسبب وهو وجود البوص كنبات طبيعي قديم اعتبر السبب في ابتكار المزمار أو ما تطور وأصبح الناي.. وكذلك الحال بالنسبة لاختراع القيثارة فهي تمثل الاختراع الفرعوني الأقدم الذي تطور بعد ذلك ليصبح آلة «الهارب» الموسيقية[3].

(1) متون هرمس، ص57.

(2) هرمس الحكيم بين الألوهية والنبوة، 197.

(3) هرمس مثلث الحكمة بين الأسطورة والواقع، ص41، بتصرف.

ثالث عشر: ما نسب إليه أنه رمز للسلام في العالم

وقـد قالوا عنه في تصورهم اليوناني الميثولوجي بأنه «رمز السـلام». بل واتخذوا عصاه كرمزية لهذا الادعاء فيقولون: «إن عصاه غدت رمزا للسلام»[1].

رابع عشر: ما نسب إليه أنه نصير الرياضيين

ورد في «معجـم الميثولوجيا العالمية» أنـه كان «نصير الرياضيـين»[2]. و«لويس مينار» (ولـد في 1898م) يقرر حقيقة إغريقية تقـول: «إنه صاحب جميع الألعاب الجمبازية «ألعاب القوى» في بلاد اليونان»[3].

(1) حاتم، عماد، أساطير اليونان، الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1988م، ص95.

(2) هرمس الحكيم بين الألوهية والنبوة، ص198.

(3) هرمس مثلث العظمة أو النبي إدريس، ص276.

المبحث الخامس

ما نسب إليه من علاقته بالكعبة والأهرامات

.. «وكان «هرمس» أول من أنذر بالطوفان، وخاف ذهاب العلم ودروس الصنائع فبنى الأهرام والبرابي. وصور فيها جميع الصنائع والآلات ورسم العلوم فيها لتبقى خالدة»..

(من مقولات المؤرخ والرحالة العربي «ابن بطوطة» في كتاب «رحلات ابن بطوطة»).

أولا: ما نسب إليه أنه أول بانٍ للأهرام

فقد ذكر «المقريزي» (764هـ: 845هـ) في خططه أن باني الهرمين هو الملك «سوريد بن سلهوق»، وأنه بناهما بعد رؤية أزعجته، وهي أن الأرض ستتعرض لطوفان مدمر لن يذر فيها شيئا، فرأوا أن تكون الأهرام حصنا يحفظ كنوزه ويسجل علوم مصر وحضارتها[1].

لكنه نقل أيضا عن «طبقات الأمم» لـ «ابن صاعد الأندلسي» (419هـ: 462هـ) خبرا آخر مفاده أن «هرمس» هو «إدريس»، وأنه الذي بنى الأهرام، حينما قال: «وقالوا أنه أول من أنذر بالطوفان ورأى آفة سماوية تصيب الأرض بالماء والنار، فخاف ذهاب العلم واندراس الصنائع، فبنى الأهرام والبرابي التي في صعيد مصر الأعلى. وصور فيها جميع الصنائع والآلات ورسم فيها صفات العلوم حرصا على تخليدها لمن بعده، وخيفة أن يذهب رسمها من العالم. و«هرمس» هذا هو «إدريس» عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ»[2].

وقد ذكر مثل هذا غير واحد من المؤرخين، مثل المؤرخ «ابن جلجل» (333هـ: بعد

(1) موسى، محمد العزب، أسرار الهرم الأكبر، دار المعارف، مصر، 1992م، ص40.
(2) الخطط، ص53.

377هـ)[1]. وكذا «ابن بطوطة» (703هـ: 779هـ) الذي قال: «وكان «هرمس» أول من أنذر بالطوفان، وخاف ذهاب العلم ودروس الصنائع فبنى الأهرام والبرابي. وصور فيها جميع الصنائع والآلات ورسم العلوم فيها لتبقى خالدة»[2].

و«ابن ذولاق» (306هـ: 387هـ) في قوله: «هو المثلث بالنعمة، نبي وحكيم وملك. وهو الذي ضرب الرصاص ذهبا. وهو الذي بنى الهرمين الكبيرين. وقيل هو «إدريس» عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ»[3].

ويذكر «الإدريسي» (توفي 649هـ): «وأما «إدريس» فيقال إنه كان ملكها - أي مصر - فيما غبر من الزمان، وإنه مشيد الأهرام وبانيها ومودع أسرار الحكمة فيها، وزعم قوم من أكابر المؤرخين أن جسده بأحد الهرمين، وأن لأجل صحة ذلك تحجهما الصابئة وتعظمها تعظيم الحرمين»[4].

ويذكر أيضا: «قرأت في تاريخ «أبي عبد الرحمن العتقي» (132هـ: 191هـ) يقال: إن أحد الهرمين، اللذين على النيل بإزاء الفسطاط اليوم، قبر هرميس، واسمه في التوراة «حنوخ»، وهو «إدريس» عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ»[5].

وكما يذكر «أبو الصلت» (460هـ: 529هـ) صاحب الرسالة المصرية: «زعم نفر من الناس أن «هرمس الأول» المدعو بالمثلث، بالنبوة والملك والحكمة، وهو الذي يسميه العبرانيون خنوخ بن يرد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن «شيث» بن «آدم» - وهو «إدريس» عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ - استدل من أحوال الكواكب على كون الطوفان يعم الأرض، فأكثر في

(1) طبقات الأطباء والحكماء، مرجع سابق، ص5، 6.
(2) المختار من رحلات ابن بطوطة، وصف مصر والشام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، 1999م، ص60.
(3) ابن ذولاق، فضائل مصر وأخبارها وخواصها، تحقيق: علي محمد عمر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مهرجان القراءة للجميع، مصر، 1999م، ص17.
(4) الإدريسي، أبو جعفر، أنوار علوي الأجرام في الكشف عن أسرار الأهرام، تحقيق: ألريش هارمان، منشورات المعهد الألماني للأبحاث، ط1، 1991م، ص29.
(5) المرجع السابق، ص98.

بنيان الأهرام، وإيداعها الأموال وصحائف العلوم، وما يشفق عليه من الذهاب والدروس حفظا لها واحتياطا عليها»[1].

أما الرحالة «القزويني» (605م: 682م) فيذكر أن «من الناس من يزعم أن «إدريس» عَلَيْهِ السَّلَامُ أمر ببناء الأهرام وإيداعها الأموال وصحائف العلوم، إشفاقا عليها من الدروس واحتياطا عليها وحفظا لها»[2].

كما يؤكد «الدمشقي» (654هـ: 727هـ) أن «السبب الموجب لبنائها استدلال «هرمس» بالأحوال الكوكبية على حدوث الطوفان فأمر ببنائها وإيداعها صحائف العلوم والأموال وما تخاف عليه من الذهاب الدثور»[3].

و«الشهرزوري» (توفي بعد 687هـ) يذكر أن «هرمس مثلث العظمة» كان قبل الطوفان، وقيل إنه نصح ببناء الهرم الأكبر حفاظا على العلوم وتخليدا لها بأنه تنبأ بحدوث الطوفان الأعظم[4].

وبرغم رفض «زاهي حواس» لفكرة أن يكون باني الهرم هو شخص آخر غير «خوفو»، بل واعتباره أن فكرة بناء «هرمس» له من الأساطير المختلقة[5]، فإنه لا يستبعد أن يكون الملك «خوفو» قد وصل إلى سر الإله «تحوت» إله الحكمة - المقابل المصري القديم لـ «هرمس» - الذي تشير إليه «بردية وستكار»[6]. كما أنه يذكر أن الملك «خوفو» قام بأول ثورة دينية في التاريخ[7].

---

(1) أبي الصلت، أمية بن عبد العزيز، الرسالة المصرية، ضمن نواد المخطوطات، تحقيق: عبد السلام هارون، مج1، مكتبة البابلي الحلبي، مصر، ط2، 1972م، ص27.

(2) القزويني، زكريا بن محمد، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1998م، ص269.

(3) الدمشقي، محمد بن أبي طالب، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، طبعة لايبتزج، سانت بيتر سبرج، روسيا، 1923م، ص33.

(4) لغز الحضارة المصرية، ص192.

(5) حواس، زاهي، معجزة الهرم الأكبر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2004م، ص172، 173، وكذا: حواس، زاهي، الأهرامات والمشاهير وأنا، كتاب اليوم، دار أخبار اليوم، مصر، 2017م، ص13.

(6) المرجع السابق، ص64.

(7) المرجع السابق، ص63.

وكما هو معلوم لأهل هذا اللون من المعرفة ما ورد في النصوص المصرية الأقدم أن «تحوت» هو الذي أمر ببناء الهرم الأكبر[1].

كما نسب «كتاب الموتى» بناء الهرم الكبر الذي أطلق عليه اسم «بيت الأماكن الخفية» إلى «الإله تحوت» إله المعرفة، كاتم الأسرار الإلهية، وحارس كلمات العدالة والحق[2]. وقد جاء في إحدى برديات منف التي ورد ذكرها في بحوث عالم الفلك «جون جريفر» (1602م: 1652م) إن الهرم الأكبر تجسيد لكتاب الموتى بما فيه من معرفة كونية وتعاليم سماوية، وبه أسرار علاقة دورة الفلك في السماء بدورة الحياة في الأرض. وسيحتفظ بأسراره لا يكشف عنها إلا لمن ينال الإذن الإلهي»[3].

بالإضافة إلى القرينة اللغوية التي تدل على المعنى نفسه عند البعض: إذ يعتقد أن اسم «هرمس» مشتق من الكلمة اليونانية «هرما» التي تعني «حجر» أو «صخر»[4]. كما جاء في «دائرة المعارف البريطانية» (برتانيكا) في مادة «هرمس» و«هارم»: وهو في الدين الإغريقي، شيء حجري مقدس يتعلق بدين «هرمس»، إله الخصب، ومن الممكن ان اسم «هرمس»، بالنسبة لبعض العلماء، قد اشتق من كلمة «هرما» أو تعني بالإغريقية «حجر» أو «صخر»[5].

ثانيا: هل خوفو هو «هرمس»؟

«كان من المعتقد أن اسم «خوفو» هو اسم مولده. فإن البحوث أثبتت أن هذا الاسم مكتسب وقد أطلقه «خوفو» على نفسه بعد سنوات من توليه الحكم ومعنى ذلك أن اسمه الأصلي واسم مولده مازال مجهولا حتى الآن»[6].

ويطلق عليه المؤرخون والرحالة العرب الذين زاروا مصر اسم «سوريد» وهذا

(1) هرمس مثلث الحكمة بين الأسطورة والواقع، ص107.
(2) لغز الحضارة المصرية، ص193.
(3) المرجع السابق، ص181.
(4) هرمس الحكيم وعلاقته بالنبي إدريس، ص38.
(5) هرمس الحكيم بين الألوهية والنبوة، 197، 198، نقلا عن دائرة المعارف البريطانية (برتانيكا).
(6) كشف المستور في الخبر المكنون، ص38.

الاسم ليس أسطوريا أو خرافيا، وإنما هو من أسماء خوفو الحقيقية - كما يقول «خالد نبهان» - فالخرطوش الذي يحمل اسمه يمكن قراءته «خنوم خوفوي» أو «سوريس خوفوي» وكلمة «خوفو» اختصار للاسم الكامل «خنوم خوفوي» وهو يعني المسيطر أو الآمر!»[1].

ومن القرائن على اختلاط الأسماء ما ذكره «رمضان السيد»: «أن خوفو كان رجلا تقيا فيما يخص الديانة، وأنه قد كتب كتابا مقدسا»[2]. وأكد على ذلك المؤرخ القديم «مانيتون» (325ق.م: 268ق. م) بقوله: «أن باني الأهرامات أوجد كتابا مقدسا ثم ارتفع ليحيا حيا بين آلهة السماء»[3].

مما جعل «خالد نبهان» يجتهد في الربط بين شخصيات كل من المدعو «سوريد» و«خنوم» أو «خوفو» و«إدريس» أو «أخنوخ».. للبرهنة على احتمالية كونهم شخصًا واحدًا، فيقول: «وقد تكون «سوريد» مشتقة من الكلمة اليونانية «سورد» التي تعني «الكبش»، والكبش في اللغة المصرية القديمة يسمى «خنوم»، أي: («سوريد» = «سورد» في اليونانية = «الكبش» في العربية = «خنوم» في المصرية = «خنوخ» = «أخنوخ» في العبرية = «حنوك» أو المحنك أو الدارس وهو «إدريس» في العربية)!!.. بقيت ملاحظة أخيرة - كما يقول «خالد النبهان» - وهي أن باني الهرم الأكبر يدعى «خنوم خوفوي»!![4].

ويقول الباحث العراقي «خزعل الماجدي» عن الارتباط السابق: «حيث كان «هرمس» يسمى «خنوفيس» الذي يتطابق مع «خوفو»»[5].

(1) المرجع السابق، ص38.
(2) السيد، رمضان، تاريخ مصر منذ أقدم العصور حتى عام 332 قبل الميلاد، وزارة الثقافة، هيئة الآثار المصرية، مصر، 1988م، ص257، بتصرف قليل.
(3) أسرار الهرم الأكبر، مرجع سابق، ص192.
(4) كشف المستور في الخبر المكنون، ص32.
(5) الماجدي، خزعل، كشف الحلقة المفقودة بين أديان التعدد والتوحيد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2014م، ص216.

ثالثا: خرافة عبادة الأهرام

هـذه الظاهرة ليسـت ظاهرة جديدة، وإنما مدى الظاهرة ممتـد منذ أزمان غابرة.. فكما يقـول «عمرو منير»: «إن تلـك الظاهرة قد اتخذت أطـوارا متباينة وأشـكالا عدة، ونتيجة لشيوع الأساطير والخرافات حول الأهرام بين شعوب العالم الوسيط، نشأ نوع من «الحج» لزيارة الأهرام، فتوافد - خلال العصور الوسطى - مئات الألوف سواء من الشرق أو الغرب، وخلد المؤرخون تلك الزيارات في سياق حديثهم عن عجائب مصر»[1].

وكـما يقول «أوليا جلبـي» (1611م: 1682م) عن الهرمين الكبيريـن: «كان يؤم هذين الهرمين في ربيع كل سنة مئات الألوف من الناس من أنحاء العالم ويزورونهما»[2].

ومن المؤرخين القدامى؛ يذكر «البغدادي» (557هـ: 629هـ) «أنه كان يحج إليهما، ويهـوي نحوهما مـن أقطـار الأرض»[3]. و«ابن ظهـيرة» (846هـ: حـوالي 910هـ) الذي يقـول: «كان جبل الهرمين في تلك العصور مزارا للخـاص والعام، لأنه مقبرة يزورونها، ويتطوفـون بها مثل الكعبـة، وقد دام الحال على هـذا المنوال منذ عهد سـيدنا «إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ»[4]. وكـذا «الكنـدي» (185هـ: 256هـ) الذي يقـرر: «أن الصابئة تحجهما من حران»[5].

رابعا: ما نسب إليه من علاقته بتمثال «أبو الهول»

ورد في «أخبار الدول وآثار الأول» للمؤرخ الشهير بـ«القرماني» (939هـ: 1019هـ) عن

(1) مصر في الأساطير العربية، مرجع سابق، ص176.

(2) جلبي، أوليا، سياحتنامة مصر، تحقيق: محمد علي عوني وعبد الوهاب عزام وأحمد السعيد سليمان، دار الكتب والوثائق القومية، مصر، ط1، 2009م، ص618.

(3) البغدادي، عبد اللطيف بن يوسف، الإفادة والاعتبار في الأمور والمشاهدات والحوادث المعاينة بأرض مصر، إعداد: عبد الرحمن عبد الله الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط2، 1998م، ص94.

(4) ابن ظهيرة، محمد بن محمد، الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة، تحقيق: مصطفى السقا وكامل المهندس، مطبعة دار الكتب، مصر، 1969م، ص154.

(5) الكندي، فضائل مصر، ص66.

«إدريس» عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: «أنه كان نبيا وملكا عظيما، ولد بمصر وسموه «هرمس الهرامسة»، أي «أسد الأسود».

لكن الشيخ «محمود أبو الفيض المنوفي» (1891م: 1972م) يقول: «ووضع «أبو الهول» على شكل له جسم ثور وصدر سبع ورأس امرأة إشارة إلى القوة والصبر واللطف - وهو تمثال لـ «هرمس» أو «إدريس» - أو رمز للحكمة أو للنيل في فيضانه الحاصل دائما وللشمس في برج الأسد والجوزاء»[1].

وكذا فإن «إسماعيل حامد» يتكلم عن كون كلمة «هرمس» أو «هور - مس» هي أقرب الكلمات للأصل المصري «حور - مس» التي تعني بالمصرية القديمة «وليد حورس»، كما يتكلم عن كون «أبو الهول» (Sphinx) يطلق عليه لقب «حور - إم - اخت» أو بالنطق الإغريقي «حورماخيس» والتي تعني «حورس في الأفق».. مما يدل عنده بأن هناك علاقة ما بين «هرمس» و«أبو الهول»[2]. ويؤكد العلامة اللغوي والأثري الكبير «علي فهيم خشيم» (1936م: 2011م) على ذلك ذاكرا: «أن «حر - مس» أو «هرمس» هو الاسم الأصلي لـ «أبو الهول»»[3].

فيبدو أن فكرة «أبو الهول» قد جاءت تمثيلا لكائن مقدس هيئته تجمع بين القوة والحكمة، هي هيئة مصرية خالصة عبارة عن حيوان خرافي يجمع بين جسد الأسد ورأس آدمي.. وفهو يمثل قوة الذي يبطش بالمتمردين ويحمي الخيرين، بوجهه الإنساني ذي اللحية فهو ملك وبجسمه الحيواني فهو أسد ضار ولا يمكن مقاومته أثناء القتال.

خامسا: «أبو الهول» عمل فني تعبيري ميتافيزيقي بالدرجة الأولى

لما قرر «هيجل» (1770م: 1831م) في كتابه «العالم الشرقي» بأن الحضارة المصرية اعتمدت على الثنائيات (الروح والجسد) في أسسها الفكرية والفلسفية، ولما قرر في

(1) الدين المقارن، ص60.
(2) هرمس الحكيم وعلاقته بالنبي إدريس، ص44.
(3) آلهة مصر العربية، ج1، ص393.

«فلسفة التاريخ» أن «أبو الهول» صنع على غرار الإنسان ثنائي المعنى (أي يعبر عن الروح والجسد معا)[1]؛ كان تصوره لا يبعد كثيرا عن تصور القدماء، لأن الفنان المصري القديم كان يستخدم الرسوم للتعبير بما يوافق لغته الأولى (الهيروغليفية) القائمة على الرسم والتعبير، ولم يقتصر الأمر على الرسوم والنقوش بل تعداه بطبيعة الحال إلى النحت والتماثيل.

فمثلا: كما يشير بعض الباحثين أن اسم «تحوتي» مشتق من الاسم القديم للطائر «إيبيس» «تحو»، مع إضافة «تي» التي تدل على أنه ملك يحمل كل صفات «إيبيس»؛ لأن الطائر يرمز إلى القلب.. وتقدمه النقوش على جدران المعابد على أنه إنسان له جسم رجل يحمل رأس الطائر «إيبيس»، كأنهم يريدون التأكيد على أنه يستمتع بالقوة الجسدية والقلبية؛ أي أنه يجمع بين المادة والروح.. والفن الرمزي منتشر في مصر القديمة، وكلنا نعرف تلك اللوحات والتماثيل التي رسمت ونحتت في هذا اللون، ومن أشهرها «تمثال أبو الهول» الذي يحمل رأس إنسان على جسد أسد[2].

وعليه فليس بمستبعد عن عمل فني كبير مثل «أبو الهول» أن يكون تجسيدا لقيمة رمزية كبيرة تعبر عن مسيرة نبي أو قديس، خاصة وأن لغة العصر آنذاك تجيز ذلك. وفي ذلك يقول «علاء الدين عبد المتعال»: «فمنطق العقل المصري يمكن تفسيره وفهم أساطيره وعمقها من خلال ذلك المعنى الرمزي»[3].. «وهنا تجب الإشارة إلى أن بداية فجر التاريخ بحسب ما ورد لدى المتخصصين في دراسة علم المصريات. وجد لنفسه طريقا يفسر ما أسلفت ذكره وتحليلا للمعنى الرمزي الذي صاغ نسيج الأسطورة التي تشير إلى المقدس في مصر الأقدم»[4].

وقد لاحظ المؤرخون من أن الحج وصفات القداسة لم تقتصر على الأهرام فحسب، بل

---

(1) انظر: بيجوفيتش، علي عزت، الإسلام بين الشرق والغرب، ترجمة: يوسف عدس، تقديم: عبد الوهاب المسيري، دار الشروق، مصر، ط8، 2016م.
(2) رسائل توت في الحكمة والفلسفة، ص3، 4.
(3) هرمس مثلث الحكمة بين الأسطورة والواقع، ص96.
(4) المرجع السابق، ص87.

حـاز تمثال «أبو الهول» على قدر كبير من تلك الصفات القدسـية وأعـده البعض أحد أركان مناسـك الحـج إلى الأهرامات، حيث كانـت الصابئة تحج إليه وتقول: «يا أبـا الهول إليك قد حججنا»(1).

الحديث المزعوم بين النبي «موسى» وتمثال «أبو الهول»:

لم يجـد «عمرو منير» وصفا لرواية «أوليا جلبـي» (1611م: 1682م) عما حدث لـ «أبو الهول» على يد نبي الله «موسى»، سوى وصف الأسطورة(2)، والتي يقول فيها: «ومن بوابات الأسـطورة دخلت بعض الروايات لتفسـير تشـويه وجه «أبو الهول» فتقـول: «لما بلغ ذلك «موسى» عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ذهب إليه - «أبو الهول» - وقال له: إنك قادر على التحدث فيجب عليك أن تؤمن بي أنا رسـول الله الحق، فقال له «أبو الهول» إني أؤمن بـ «إدريس» عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ولا أؤمن لغـيره، فغضب «موسى» وكان عاتيا، وضرب أبا الهول بعصـاه، وثلمه عدة ثلمات، وخدش فمـه وأنفه وقال: «اسـكت يا ملعون»، وانصرف ومن ذلك اليـوم صمت «أبو الهول»، ولم يعد يتكلم، ولا تزال آثار عمل «موسى» باقية على رأسه، ولم تزل عيناه مخدوشتين، ومع ذلك فهو صنع إنسان بديع، وأثر عجيب»(3).

سادسا: علاقته بالكعبة المشرفة

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [البقرة : 127].

يؤكـد القـرآن الكريـم تأكيـدا جازما عـلى أن سـيدنا «إبراهيم» عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ هـو الذي رفـع القواعـد من البيت.. أي إن القـرآن ليقرر بذلك أن الكعبة بنيـت في زمن أقدم من زمن «إبراهيم» عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وهو الذي رفع القواعد فقط.

---

(1) الفضائل الباهرة، مرجع سابق، ص154، وكذا: الأقفهسي، شهاب الدين بن العماد، أخبار نيل مصر، تحقيق: لبيبة مصطفى، ونعمات محمد، دار الكتب، مصر، ط1، 2006م، ص62.

(2) مصر في الأساطير العربية، ص181.

(3) سياحتنامة مصر، مرجع سابق، ص622، 623.

وقد كان الأنبياء من بعد «آدم» إلى زمان «إبراهيم» - كما يقول «السيوطي» (849هـ: 911هـ) - يعظمون الكعبة ويحجونها ويطوفون بها.. إلخ. وطبعا من هؤلاء الأنبياء «إدريس» و«نوح»... إلخ[1].

وتعتقد طائفة الصابئة بأن الكعبة بيت الله الحرام من بناء سيدنا «إدريس» عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فكما يقول «أ. عباس محمود العقاد» (1889م: 1964م): «والمشهود عن الصابئة أنّهم يوقّرون الكعبة في مكة، ويعتقدون أنّها من بناء «هرمس»، أو «إدريس» عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ»[2]. وكذا «عبد الحميد جودة السحار» (1913م: 1974م) يقول: «كما كان الصابئة المندائيون، وصابئة حران، وهم من مصر.. يعظمون الكعبة، ويحجون إليها»[3].

علاوة على ما قد ذكره «السيوطي» في قوله: «تؤكد عقيدة الصابئة أن الكعبة من بناء نبيهم «إدريس» عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وكان الأنبياء اللذين من بعد آدم إلى زمان «إبراهيم الخليل» يعظمون البيت (الكعبة)، ويحجونه ويطوفون به، ويصلون عنده ويدعون»[4].

وهذا الأمر رغم غرابته فإنه يتوافق مع ما يتداول عن تاريخ البناء الأول للكعبة، الذي يدعون أنه قبل «طوفان نوح»، وهي هلكت بسبب الطوفان، فهي أقدم من 4000 سنة قبل الميلاد.

ومن القرائن التي تشير إلى احتمالية أن يكون «إدريس» عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ هو صاحب أول بناء «للكعبة»؛ رحلة النبي «إدريس» عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إلى الحجاز لنشر ديانة التوحيد «الصابئة» أو «الحنيفية». وفي ذلك أورد «القفطى» في كتابه «إخبار العلماء»: «خرج «إدريس» من مصر، وجاب الأرض كلّها، ثم عاد إليها»[5]، ويذكر «الألوسى» (1803م: 1854م) فى كتابه «روح المعاني»: «وكان «إدريس» قد وُلِدَ بمصر، ثم خَرج منها وطاف الأرض كلها، فدعا الخلق إلى

(1) هذه هي مصر، ص133.

(2) إبراهيم أبو الأنبياء، ص108.

(3) هذه هي مصر، ص133.

(4) نبي الله إدريس بين المصرية القديمة واليهودية والإسلام، ص223، نقلا عن: إتحاف الإخصا بفضائل المسجد الأقصى.

(5) إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص2.

الله تعالى فأجابوه حتى عّمت ملته الأرض، وكانت ملته «الصابئة»[1]. ويذكر «القفطى» (568هـ: 646هـ) أيضاً: «وكان «إدريس» في رحلته للشرق قد ابتَنَى مائة وأربعين «مدينة» ثم عاد لمصر»[2]. وكانت بلا شك الجزيرة العربية من المناطق التي زارها وأقام بها نبى الله «إدريس» عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ومن معه من قومه المصريين المطيعين له.

سابعا: المصرية القديمة تشير إلى علاقة ما بالأراضي المقدسة

إن الناظر لما تبقى من آثار ثقافية طبعتها المصرية القديمة على طابع ومسمى وأسماء الكثير من الأماكن والأفعال، بل والشعائر المرتبطة بالحج؛ لتتملكه الدهشة. وكما يقولون قد يتغير سُكان المكان بتعاقب وتقلب الأزمنة، ولكن تبقى أسماء «الأمكنة» لتحتفظ بذكرى البدايات الأولى لأقدم سُكان «المكان»[3].

والكثير من أسماء الأماكن ما هي إلا ألفاظ «مصرية قديمة.. فلفظ «حج» ذاته يعنى في اللغة المصرية القديمة «ضياء النور الإلهي»، ولفظ «آزُ» يعنى في اللغة المصرية القديمة «أَتى مُسرعاً على رجليه لمنطقة معلومة ومحددة».. إذن نكون أمام كلمة لفظ «حج» بمعنى ضياء النور الإلهي + لفظ «آزُ» بمعنى «أَتى مُسرعاً على رجليه لمنطقة معلومة ومحددة» = الـ«حجاز».. وقد ورد في الصحيح أن النبي ﷺ جعل الحج ضياء»[4].

وكلمة «كعبة» أصلا كما يقول «د. لويس عوض» (1915م: 1990م) في كتابه «مقدمة في فقه اللغة» إنما جاءت من كلمة مصرية قديمة وهي «كابا» انتقلت إلى العربية «كعبة»، وإلى الإنجليزية «Cube» أي مكعب[5].

وقد جاء في أنشودة كتبها «حور محب» صاحب أول قانون لحقوق الإنسان.. تقول:

---

(1) روح المعاني، مرجع سابق، ج6، ص307.

(2) إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص3.

(3) بتصرف من الرابط: http:/ / www.linz-arab.com/ makalat/ hamdy%20mustafa/ pharon2.htm.

(4) يراجع في ذلك: السيار، نديم، المصريون القدماء أول الحنفاء، نشر المؤلف، مصر، 2004م، ص466، وكذا: هذه هي مصر، ص131 - 135.

(5) المرجع السابق، ص131، 132.

«التحية لك أيها القمر الذي يتفحص الحجيج... إلخ، وهذا يوضح لنا الارتباط الشديد بين القمر وشعيرة الحج[1].

والمنطقية التاريخية لتشير بتوافق الأمر وعدم تعارضه مع الأحداث التاريخية بين مصر القديمة والأراضي المقدسة. فقد جاء في كتاب «فجر الضمير المصري» للأستاذ «عزت السعدني» ما يلي: «لقد ذهب المصريون القدماء إلى الجزيرة العربية لأول مرة عام2280 (ق.م) عقب الأسرة السادسة، عندما هرب أهل منف عقب ثورة الرعاع وعصر الاضمحلال إلى الجزيرة العربية.

ويصف لنا المؤرخ المصري القديم «أيبيور» كيف هرب أهل منف إلى الصحراء الشرقية وجنوب الوادي، وعبروا البحر الأحمر إلى الجزيرة العربية، حيث أطلق عليهم «بنو مناف» ومنهم «السيدة آمنة» أم سيدنا رسول الله، كما أطلق عرب الجزيرة على مهاجري مصر اسم «جرهم» ومعناها «مهاجرو مصر»، وهي القبائل التي نسب إليها مساعدة سيدنا «إبراهيم» وولده سيدنا إسماعيل عَلَيۡهِمَاٱلسَّلَامُ في بناء الكعبة.

كما لجأت إليهم السيدة «هاجر» المصرية أم سيدنا «إسماعيل»، عندما تركها سيدنا «إبراهيم» عند الكعبة، لأنها لم تكن على علم بلغة أهل الجزيرة العربية فبحثت عن قبائل «جرهم» المصريين الذي قاموا بإيوائها ووليدها، وفي إشارة إلى مشاركة قبائل «جرهم» المصرية في بناء الكعبة. ويقول «زهير بن أبي سلمة» (520م: 609م) في معلقته المشهورة: «فأقسمت بالبيت الذي طاف حوله ... رجل بنوه من قريش وجرهم»[2].

---

(1) المرجع السابق، ص133، وكذا انظر: مري، مرجريت، مصر ومجدها الغابر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط1، 1998م، ص452.

(2) فجر الضمير المصري، ص37، 38.

الفصل الرابع

ما نسب إليه من علاقة ببعض الأفكار

.. «أنا أعلم الأشياء كلها، بعضها من فم الرب، والأخرى رأتها عيناي من البداية وحتى النهاية»..

(مما ورد في «مخطوطات البحر الميت» على لسان «أخنوخ» النبي، موجها خطابه لأبنائه).

المبحث الأول

ما نسب إليه من علاقة ببعض الأفكار

المبحث الأول

«هرمس» وفكرة الخلاص

.. «إن العالم في انتظار مصلح يوحد العالم تحت علم واحد وشعار واحد»..

(من مقولات الفيلسوف البريطاني الكبير «برتراند راسل»).

وسيدنا «إدريس» عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ هو أول من أطلق عليه لقب «المنتظر» في التاريخ.. فقد قالوا عنه أنه حي سينزل مؤيدا لشخص ما ينصره على عدوه، ويملأ الأرض عدلا بعد أن ملئت جورا. فكما جعلوه علما على بدايات تاريخ الإنسانية، جعلوه أيضا علما حاضرا شاهدا لأحداث النهاية، كمخلص.

وكما يزعمون أن الأنبياء والرسل الأحياء المنظرين إلى ظهور ما يسمى بـ «المهدي» في آخر الزمان هم: «عيسى» و«إلياس» و«إدريس» و«الخضر» مع الاختلاف في نبوة الأخير. والصوفية يعدونه مخلصا منتظرا، فقد جاء على لسان «ابن عربي» (558هـ: 638هـ) في الفتوحات المكية أنه ينزل من السماء مثل «عيسى» عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ[1].

(1) أخبار الدول، ص21.

والصابئة يقولون إنه هو المخلص المنتظر، فعندهم هو «بوذا سيف» أو «ذوناي» أي «مخلص البشر». مع العلم أن كلمة «أخنوخ» في العبرية أصلها من الفعل «حنك» أي «أخلص» فهو «مخلص».. هكذا اسمه في العبرية.

وفي المسيحية يقولون بعودة النبيين «إدريس» (المسمى عندهم «أخنوخ») و«إلياس» (المسمى عندهم «إيليا») إلى الأرض، كما ورد في «سفر الرؤية»، بفقرة: (سأعطي لشاهديَّ فيتنبآن ألفا ومائتين وستين يوما لابسين مسوحا)[1].

ويقول الربانيون في «مدراش» - الذي هو تأويل الربانيين للعهد القديم - أن «أخنوخ» سوف يظهر قبل مقدم «المسيح» المنتظر الذي ينتظره اليهود في نهاية العالم، ومعه كل ملائكة السماوات، ويكون هو قائدهم، ولأنه سوف يظهر في أشكال بشرية مثل «إيليا»، أو «إشعيا» وغيرهما.

ويذكرون أيضا أن «أخنوخ» سيظهر قبل أن يأتي «المسيح»، وسوف ينزل في فلسطين، ومنها سيجوب العالم على أجنحة ألف ملاك كي يقضي على قادة الشياطين في كل العالم، ويمهد لقدوم «المسيح» للعالم، كي يحارب الأشرار من البشر فقط، وأن الملائكة المحاربة الذين سوف يأتون مع «المسيح» هم أنفسهم الملائكة الذين سيقودهم قبل مقدم «المسيح»، وأن «أخنوخ» سوف يعطي «المسيح» كل الكتب السرية التي علمها لابنائه؛ كي يتغلب بها على أعدائه[2].

وفي «سفر أخنوخ» جاء في النسخة اليونانية أن المخلص المنتظر المسمي في العهد القديم بـ «المسيا»؛ كثيرا ما يدعى: «ابن الإنسان»، كما يقول كاتب السفر: «أن «ابن الإنسان» كان موجودا قبل خلق العالم.. وإنه سيدلك على الشعب البار»[3].. كما نجد تلامذة «أخنوخ» يمثلونه بـ«ابن الإنسان» الموجود قبل الوجود ومانح الحضارة للإنسانية[4]..وصورة «أخنوخ»

---

(1) الآية 3.

(2) نبي الله إدريس بين المصرية القديمة واليهودية والإسلام، ص81.

(3) هرمس الحكيم بين الألوهية والنبوة، ص185.

(4) مخطوطات البحر الميت، ج2، ص11.

في التوراة أنه «معلنًا عن خيرات الخلاص المدخرة لنهاية الأزمنة» و«ديان للجميع» و«مخلص الأبرار ومنتقم لهم»(1).

«و«ابن الإنسان» هذا «شخصية متعالية» هي أقرب ما تكون إلى «الإلهية»، قائمة وغائبة في عالم آخر، لكنها في نهاية الزمان ستظهر وتعود إلى العالم لتحكم على الناس لا مع بعث الأموات، ولتقيم عالما يحكمه السلام والعدل»(2).

وكتاب «سفر أخنوخ» مليء بأخبار الرؤى عن «المسيا المنتظر» و«الدينونة الأخيرة» و«ملكوت المجد». ولعقيدة «المسيا» في هذا الكتاب أهمية خاصة، لأنها تمهد الطريق للعهد الجديد(3).

حتى الكتابات الهرمسية، برغم عدم قطعية ثبوتها عن «هرمس»، فإنها هي الأخرى تنشد الخلاص والمخلص، فكما يقول «عبد الرحمن بدوي» (1917م: 2002م): «ويزعم أصحاب هذه الكتابات أنهم ينطقون عن وحي إلهي وأن هدفهم هو خلاص الإنسان»(4). وتؤمن الهرمسيات كذلك بالخلاص عن طريق «تناسخ الأرواح»(5).

وهذا يبرر ما قاله «جوردييف» (1866م: 1949م) عند دهشته من تشابه المبادئ المسيحية مع مبادئ الديانة المصرية القديمة التي تسبقها، حيث قال: «مصر ما قبل التاريخية كانت مسيحية قبل آلاف السنين من مولد «المسيح».. وكانت ديانتها تتكون من نفس المبادئ والأفكار التي تشكل المسيحية الحقة». ولما كانت فكرة محورية من أفكار المسيحية مثل فكرة المخلص مصرية خالصة؛ كان لزاما على من يكتشف ذلك أن يرتبك مثلما ارتبك «جوردييف». فهو لم يجد تبريرا لما وصل إليه سوى محاولة تلفيق رؤيته لتتوافق مع تحيزه للمركزية المعرفية الأوربية، التي ترفض الاعتراف بمرجعية ما قبل

(1) المرجع السابق.

(2) جدعان، فهمي، في الخلاص النهائي، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 2012م، ص47.

(3) هرمس الحكيم بين الألوهية والنبوة، ص185.

(4) موسوعة الفلسفة، ج2، ص538.

(5) زيدان، يوسف، دوامات التدين، دار الشروق، مصر، ط1، 2013م، ص31.

الكتاب المقدس، وتتعصب بذا ضد الحضارة المصرية القديمة التي ينتمي لها ذاك المسمى «هرمس».

المطلب الأول
أثر فكرة الغائب المنتظر (المخلص) في حركة التاريخ

وفكرة الخلاص فكرة قديمة، وللمخلص في التاريخ أسماء مختلفة غير اسم «المخلص» مثل: (المنجي).. (المنقذ).. (المنتظر).. (المرتجي).. (الموعود).. (المهدي).. وأحيانا (المجدد). حيث يؤمن أتباع الديانات الكبرى الثلاث اليهودية والمسيحية والإسلام بفكرة «المخلص» أو «المنقذ». وهو الشخص الذي سوف يأتي في أخر الزمان ليملأ الأرض قسطا وعدلا بعد أن تملأ ظلما وجورا.

ويعتبر علم دراسة نهاية العالم: «اليسكاتولوجي» (Eschatology) هو أحد فروع علم اللاهوت (Theology) الذي يهتم بدراسة ما الذي سوف يحدث عند نهاية العالم، والذي يمكن تسميته على أنه «علم دراسة نهاية العالم». وهذا العلم أو الموضوع يوجد في اللاهوت اليهودي والمسيحي والإسلامي.

ومفهوم «المخلص المنتظر»، وكذا «مبدأ الخلاص» يمثلان قاسما مشتركا بين أكثر الحضارات، و«فكرة المخلص» تلك ماثلة في أكثر روافد التراث الإنساني (الدين، والفلسفة، والسياسة). ويعتبر هذا المفهوم هو أكثر المفاهيم امتدادا زمنيا، فهو من أقدم المفاهيم الإنثربولوجية في تاريخ العقائد. والملاحظ أن التشابه بين الفكرة كبير في كل الديانات السماوية والوضعية على حد سواء، فإن أي باحث في انثربولوجيا العقائد القديمة سيجد أنها نسجت صورا متشابهة لشخصية ذاك المنقذ المخلص ولا شك.

و«عقيدة الخلاص» (Mesianizm) أو موضوع «المخلص» هذا به كثير من التداخل بين العقائدي والتاريخي، وبين المقدس وغير المقدس، وبين العاطفة والغوغاء. بل إن منه من استدعى وصالا بالأساطير.

تقول إحدى وجهات النظر عن فكرة المخلص: «فهو المعين الإنساني الذي نهلت منه

جميع المجموعات المظلومة ملامح تراثها العقدي في صراع الخير والشر، النور والظلمة، الحق والباطل... ما تجسده لنا العديد من النصوص عند مجمل الفرق، سواء الإسلامية أو الديانات المسيحية واليهودية، وحتى المذاهب والعقائد القديمة، التي احتاجت إلى بطل، منقذ عندما ضاقت بها السبل، فرسمت صورة غلب عليها الطابع الأسطوري لمنقذها، نسجها خيال أولئك المضطهدين في كل جماعة بشرية وليس عند المسلمين فحسب»[1].

والبعض يرى فكرة المخلص تطورًا للأسطورة في صورة «أسطورة البطل المؤله»[2].

ولم تقتصر الفكرة على الديانات السماوية والطوائف الملحقة وحسب، بل انتشرت حتى في الديانات الوثنية. وقد اختلفت شخصية هذا المنقذ عند العقائد الوضعية، فعلى سبيل المثال: النيل - كما يدعي البعض - عند المصريين القدامى، والإله «تموز» عند العراقيين القدامى، و«كرشنا» و«رامي» عند الديانة الهندوسية، و«بوذا» عند الديانة البوذية، و«زرادشت» عند ديانة الفرس القديمة، وأخرى تظهر لنا طبقة البروليتاريا عند المفكرين الماركسيين.. إلخ.. كلها أشكال وتجليات للفكرة.

و«فكرة المخلص» هذه تشكل بسببها مذاهب وفرق وطوائف عدة، كل واحدة تدعي لنفسها أن مخلصها هو الذي سيظهر على كل الطوائف، فمفهوم فكرته الأساسية في جانبها الإيجابي لتوحيد الناس على خير ما، لكن من سلبيات الفهم المغلوط للفكرة أن أصبحت أهم أسباب الفرقة بدلا من أن تكون أهم أسباب الوحدة. حيث إن كل فرقة لها تصورها الخاص عن «المنقذ المنتظر» الذي سيأخذ بثأرها من الآخرين. وكما تقول «ماري لويزا» (1611م: 1667م): «وهكذا تصبح اليوتوبيا حلم الجنس البشري بالسعادة واشتياقه الخفي للعصر الذهبي أو لجنته المفقودة كما تصور البعض»[3].

---

(1) مقال بعنوان «قراءة في عقيدة المنقذ المنتظر»، بقلم: عبد الله الرشيد، مجلة المجلة، لندن، بتاريخ 29/ 7/ 3013م.

(2) انظر: خليل، أحمد خليل، مضمون الأسطورة في الفكر العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط3، 1986م، ص96، وكذا: الميثولوجيا السورية وأساطير آرام، ص8.

(3) برنيري، ماري لويزا ، المدينة الفاضلة عبر التاريخ، ترجمة: عطيات أبو السعود، سلسلة عالم المعرفة، رقم225، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1997م، ص18.

إن «فكرة المخلص» في إحدى صورها السلبية المحرفة - على قول من الأقوال - تزرع في عقل وفكر ووجدان الإنسان أنه عاجز عن تحقيق العدالة والسلم والمحبة واللاعنف في هذا العالم. وأن كل ما يحلم به من سيادة لهذه القيم السامية لا يمكن له أن يتحقق على يد الإنسان نفسه، مهما سعى وبذل من الجهد لتحقيق ذلك، وأن هذا الأمر لا يتحقق إلا بظهور رجل خارق للعادة، وفوق مستوى البشر العاديين، أو حتى أنه يكون الرب نفسه. وهذه الفكرة، بهذا الطرح، تقتل الأمل في نفس الإنسان وتجعله يائساً من قيام العدالة في هذا العالم، وبالتالي فأنه، حتى لو بذل كل الجهد لتحقيق العدل، فإنه في قرارة نفسه يدرك بأن كل جهوده لن تصل بالعالم إلى العدل الاجتماعي، لأن هذا الأمر لا يتحقق إلا على يد المخلص(1).

وقد كان من تجليات فكرة المخلص وعقيدة الخلاص في الفكر الإسلامي؛ فكرة «المهدي المنتظر»، وهي تكاد تكون أكبر قضية جدلية في الفكر الإسلامي كله، حيث الخلاف على طبيعته، وقد نتج عن هذا الخلاف مذاهب وفرق، وقد تعلق بهذا الخلاف الشائك كثير من الأساطير التي اختلطت بدورها فيها الحقيقة.

وفي ذلك يقول «نبيل هلال» تحت عنوان: «الإمام المنتظر والانهزامية وسيادة التفكير بالتمني»: «نحن نؤمن بالحلول السماوية السحرية السريعة التي تهبط علينا فجأة لتحيل ضعفنا قوة، وتمنحنا العزة بعد المذلة. ما زلنا نحلم بأنه لن ينقذنا من هذا الضعف والهوان إلا ظهور الخليفة أو المهدي المنتظر.. وذلك ضرب من سيادة التفكير بالتمني، وهو تفكير يعفينا من مشقة العمل وجهد النظر»(2).

وفكرة «المهدي المنتظر» تلك أثرت من ناحية الاهتمام الوجداني في أفكار أخرى مجاورة، مثل فكرة «الخلافة الإسلامية» وذاك الخليفة المسلم المنتظر لدى جماعات الإسلام السياسي الذي يملأ الأرض عدلا بعد أن ملئت جورا، ومثل فكرة «المجدد» أو «مجدد الدين» الذي يبعثه الله على رأس كل مائة سنة يجدد دين الأمة، ورغم أصالة فكرة «التجديد» في النسق الفكري الإسلامي؛ فإن من سلبيات فهمها المبتور أنها قد تتطور لفكرة سلبية أخرى هي «المجدد الأوحد المنتظر».

---

(1) مقال بعنوان: الدين السياسي، بقلم: واثق غازي عبد النبي، على موقع «الحوار المتمدن»، العدد3346، بتاريخ 24 إبريل 2014م، على الرابط: http:/ / www.ahewar.org/ debat/ show.art.asp?aid=256388.

(2) هلال، نبيل هلال، اعتقال العقل المسلم، دار الكتاب العربي، دمشق، القاهرة، ط 3، 2005م، ص72.

المطلب الثاني
تجليات فكرة المخلص الغائب في التاريخ

1) **في ديانات المصريين القدامى** .. يذكر «جافري بارندر» في كتابه «المعتقدات الدينية لدى الشعوب» أن «أوزوريس» هو المخلص، والتوحد به هو سبيل السعادة عند المصريين القدماء[1].

2) **ديانة الإغريق القدماء**.. «يعد اليونانيون أكبر صانعي الأساطير، وقد فرضوا معتقداتهم على تراث أوربا القديم في منتصف الألف الثاني قبل الميلاد»[2]. و«الإله زيوس» يعتبر أعلى آلهة الإغريق، و«زيوس» عندهم هو جامع الغيوم وإله المطر والسحاب والبرق وإله الزواج والمكمل والمنقذ[3].

3) **الديانة الهندوسية**.. وكتابهم المقدس «الفيدا».. يقولون: «إن هذا العالم ليس مخلدا، فسيأتي يوم ينهار فيه كل شيء بسبب النار والفيضان، وعندئذ سيتدخل «الإله فشنو» ويحول دون احتراق العالم وغرقه، وبدلا من أن ينتهي العالم إلى الفناء، فإنه سينتقل إلى عصره الذهبي»[4]. وتتلخص «فكرة المخلص» و«ضرورة الخلاص» من خلال أمرين اثنين: «الإله فشنو»، و«مبدأ الانطلاق». أما فيما يخص «مبدأ الانطلاق» فالهندوسية تعتقد أن الشهوات أقوى العوامل في حياتنا، ولتخليص النفس من أدران تلك الشهوات تحدث فكرة «تناسخ الأرواح» (تكرار الولادة) لتأدية الحقوق، لينال كل مخطئ جزاءه في الدنيا.. والسبيل إلى عدم تكرار الولادة بأن يقنع الإنسان بما عنده ولا يطمع في المزيد وينقطع عن كل الوشائج التي تربطه بالدنيا والناس، وإذا

---

(1) بارندر، جافري، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ترجمة: إمام عبد الفتاح، سلسلة عالم المعرفة، رقم173، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1993م، ص58.

(2) إرثر، كورتل، قاموس أساطير العالم، ترجمة: سهى الطريحي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1993م، ص127.

(3) المرجع السابق.

(4) مظهر، سليمان، قصة الديانات، مكتبة مدبولي، مصر، 1995م، ص94.

تم له ذلك نجا من تكرار الولادة وامتزج بـ «براهما»؛ وهذا ما يسمونه «الانطلاق». فالانطلاق هو: (سبيل الخلاص بالامتزاج ببراهما)[1]. لذا فإنهم يقولون: «لقد لعبت «فكرة الخلاص» دورا أساسيا في رسم مسارات الفكر الديني الهندوسي، وكانت تدور حولها أهم العقائد في الديانة الهندوسية. إذ تمثل ذلك في فكرتين: أولاهما (الانطلاق والاندماج في الروح الأعظم براهما)، وثانيهما (الجسد والعودة)»[2].

4) **الديانة الجانتية**.. وهي عبارة عن إصلاح للهندوسية بيد «مهاويرا».. ونتيجة لمسالمتهم ومبالغتهم في عدم العنف لدرجة أنهم يمنعون من قتل الحشرات، اعترفوا بآلهة الهندوس: «براهما»، و«فشنو»، و«سيفا»، و«مقابل الانطلاق» كعنوان للخلاص لدى الهندوس نجد لديهم عنوان «النجاة»، ومقابل «فشنو» المخلص فإن «المخلص» عند الجانتية هو «بارسفا».. و«النجاة» هي تخليص الروح من «الكارما» (الشهوات) عن طريق تكرار الولادة والموت حتى يتخلص من المادة ويحدث «النجاة»[3]. و«بارسفا» هو «المرشد الثالث والعشرون» عند تلك الطائفة.

5) **الديانة البوذية**.. حيث آخر تجسدات «فشنو» كانت في «بوذا» مؤسس البوذية[4].. التي هي إصلاح للهندوسية على يد «بوذا».. و«النرفانا» هي درب الخلاص، و«بوذا» الذي من معانيه «المنقذ المنتظر» هو «المخلص»[5]. وعندهم أرقى أشكال الخلاص بعد أن يجتاز المرء مرحلة «الكارما»، ومرحلة «التناسخ»، وهو «الانطلاق والاندماج» في الروح الأعظم «براهما»، وهو ما يسمونه «النرفانا»، أي اتحاد المخلوق بالخالق[6]. و«النرفانا» تلتقي بالانطلاق عند الهندوسية، والنجاة عند الجانتية، إنها تعنى الخلاص

(1) انظر: شلبي، أحمد، أديان الهند الكبرى، مكتبة النهضة المصرية، مصر، ط11، 1997م، ص52.
(2) مهدي، فالح، البحث عن منقذ، دار ابن رشد، بغداد، العراق، ط1، 1981م، ص53.
(3) أديان الهند الكبرى، مرجع سابق، ص120.
(4) السواح، فراس، موسوعة تاريخ الديانات، دار علاء الدين، دمشق، ط1، 2006م، ص98، 99.
(5) المعتقدات الدينية لدى الشعوب، مرجع سابق، ص215.
(6) البحث عن منقذ، مرجع سابق، ص 54 - 57، باختصار.

من تكرار المولد، وهي تقوم كما ذكرنا سابقا على عقيدة تناسخ الأرواح[1]. وتؤمن البوذية بـ «نظرية الفداء»، إذ دون مخلص سيخضع الأفراد إلى نتائج أعمالهم، وهذا المخلص هو «بوذا شاكيمني» للطور الكوني الحالي، يليه «بوذا ميتريا» الذي سيغدو «سيد العهد المقبل»، والذي سيسبق مجيئه زوال العالم[2].

6) **الديانة الزرادشتية..** المبدأ الأساسي عند «ذرادشت» أن الشر لا يأتي من الخالق، لأن الشر جوهر مثل الخير، وكل منهما يرجع إلى سبب أول.. فالتاريخ هو تاريخ صراع بين الخير والشر، بين «أهورامزدا» إله الخير و«أهرمان» إله الشر[3]. وينقسم التاريخ باعتقادهم إلى أربع حقب، تمتد كل حقبة ثلاثة آلاف سنة. وفي الحقبة الأخيرة يحدث التشابك بين الخير والشر.. ثم يظهر المنقذ «ساونشيان» الذي يولد من عذراء فيأتي لتجديد الحياة في نهاية العالم، وستتحد الأرواح بالأجساد بعد القضاء على الشر[4].

7) **ديانة المانديون..** يؤمنون بسيد النور وسيد العظمة «مانا» العظيم، الذي يقابل مملكة الظلام، ويعتقدون أنه قد تم خلقه عن طريق فيوض صدرت عن «مملكة النور»، ومن أهم الموجودات التي صدرت عنه المخلص «مانداهاي» أو «معرفة الحياة»، ومنها اشتق اسم هذه الديانة، ويؤمنون أن الروح سجينة البدن، ونهاية العالم عندما يحصل التخلص من الأرض والكواكب، فإن أرواح الأتقياء الأبرار سوف تتحرر. ويمكن التحرر هنا نتيجة لعمل «هيبل زيوا» (Hibilziwa) وهو مخلص اقتحم العالم وهزم أرواح الشر[5].

8) **الديانة المانوية..** وقد أعلن «مان» أنه جاء ليتم عمل «زرادشت» و«بوذا» و«المسيح» عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وهو يؤمن بثنائية إله النور وإله الظلام، وقد وحد إلهه مع إله المستمعين له،

(1) المرجع السابق، ص219.

(2) كرزويه، موريس، موسوعة تاريخ الحضارات العام، ترجمة: فريد داغر وفؤاد أبو ريحان، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ط1، 1964م، ص627.

(3) فوزي، إسماعيل، الديانة الزرادشتية، دار علاء الدين، دمشق، سوريا، بدون معلومات طباعة، ص5.

(4) قاموس أساطير العالم، مرجع سابق، ص45.

(5) المعتقدات الدينية لدى الشعوب.

فإذا وجه خطابه إلى المسيحيين فهو «المخلص يسوع» وعندما يخاطب الزرادشتيين فهو الإنسان الأول «أهورامزدا».

9) وفي اليهودية.. في الكثير من في كتبهم إشارات إلى المنقذ، وأهمها الحديث عن «يهوه» الإله المخلص، وثانيهما «المسيح الموعود» الذي يوحد اليهود وينجيهم من ذلتهم. ففي المزمور الثاني والسبعين من مزامير «داود عَلَيْهِ السَّلَامُ» من «العهد القديم» نقرأ بشارة بالمخلص جاء فيها: (اللهم اعط شريعتك للملك، وعدلك لابن الملك؛ ليحكم بين شعبك بالعدل، ولعبادك المساكين بالحق).

10) في المسيحية.. قد عزا بعض المؤرخين سبب اعتناق المصريين للنصرانية إلى أن «عيسى» سوف يرجع ليحكم العالم ويرفع الظلم بعد أن يقضي على الظالمين»[1].. وذلك لعمق وتجذر «عقيدة الخلاص» في المصرية القديمة.

11) في الإسلام .. رغم خلاف البعض على أصالة فكرتي «المهدي» و«المسيخ الدجال» المرتبطتين تلازما بأحداث نهاية الزمان، لكن تبقى «فكرة الصراع بين الخير والشر» حتى يأتي المنتظران يلتقيان («المسيح» و«المسيخ الدجال») ماثلة بين ثنايا الوجدان المسلم.. ويقول «د. فهمي جدعان» في ذلك: «الإسكاتولوجيا» الإسلامية (أي الأخرويات) التي غزاها حشد من الأحاديث والأخبار المشكوك في صحتها؛ هي وليدة الفشل المرير الذي منيت به التجربة الإسلامية، ونتيجة لتبدد الرجاء والأمل بين الناس. ذلك أن ما بدا من أنه جور نظم الجبروت والغلبة والافتئات والظلم في الزمان، أي «نظم الملك العضوض»، قد حفز المخيلة الجماعية وعزز الآمال «المسيانية» (الخلاصية) بقدوم «زمن »، قريب أو بعيد، يسود فيه العدل[2].. ويتابع رصده تحليلا بقوله: «ومع أن جوهر النزعة «المسيانية» - أو «المسيحانية» (Messianism/ e) ليس غريبا عن «النص» الديني الإسلامي، إذ ثمة فيه تشديد على أنه برغم «الغربة» التي ستأتي على الإسلام فإن الظفر النهائي سيكون له في يوم من

---

(1) عمران، أحمد، قراءة في التشيع، دار كرم، بيروت، لبنان، ط1، 1996م، ص43.

(2) في الخلاص النهائي، مرجع سابق، ص46، باختصار.

الأيام الآجلة - وذلك باب من أبواب «التفاؤل» التي ينطق بها «النص». لكن الوعي الإسلامي التاريخي الذي كان «شقيا» بمصيره جسد هذا التفاؤل تجسيدا «ميثيا» - أي في تمثلات تصورية رمزية تجاوز الزمن المباشر وتشخص المعاني - وذلك بابتداعه، أو اتباعه لرؤى «آخر الزمان»، أي لرؤية «إسكاتولوجية» مشخصة تمثلت في مفاهيم «المهدي المنتظر»، و«المسيخ المنتظر» و«المسيخ» أو «المسيح الدجال» الذي تصاحب خروجه ومجيئه «علامات» دالة على قرب قدومه وعلى أن «ساعة الخلاص» قد أزفت»[1].

12) ومن ضمن الأفكار التي تنبت في بيئة الإسلام السني من دون مغالاة عما دونها - بالمقارنة مع الفكرة نفسها عند الشيعة - هي فكرة «المجدد» الذي يبعثه الله على رأس كل مائة سنة ليجدد دين هذه الأمة.. لكن بشيء من التطرف في تصور الفكرة؛ يجعلها تقترب كثيرا لتصبح و كأنها شيعية الهوى، وليكن هذا التطرف - مثلا - في اعتبار ذاك المجدد منتظرا؛ يتوقف الإصلاح عليه ولا يتم إلا به، عكس ما يوحي به حديث التجديد الرئيس؛ الذي يوحي بكون ذاك التجديد المنشود هو عبارة عن حركة دائبة يشارك فيها كل المسلمين كل على قدر تخصصه وقدر بذل جهده، تعويلا على كون «من» المذكورة في حديث التجديد الرئيس المقصود بها «الجمع» وليس «فرد واحد»[2].

13) كما أنه في العصر الحديث مع سقوط الخلافة الإسلامية على يد «أتاتورك» نبتت

(1) المرجع السابق، ص46، باختصار.

(2) «يقول «فهمي جدعان»: «على الرغم من انتشار عقيدة «المهدي المنظر» في أوساط عامة أهل السنة، فإن «الفكر السني» يجنح إلى الأخذ بمبدأ «المجدد الديني» الذي يبعثه الله على رأس كل مئة عام ليجدد للأمة أمر دينها. لكن «الأدب الشعبي» والتاريخي الميثي و«العلمي الديني» السني يحفل بالكلام على هذا المهدي ويقرن ظهوره بقدوم «المسيخ الدجال». وهكذا لأننا نجد مثلا مؤرخا كابن كثير يستحضر ما ساقه أحمد بن حنبل في المسند، ويستجمع قدرا كبيرا من الأخبار التي تتعلق بأشراط الساعة كالدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم وغير ذلك، ملحقا ذلك بنهاية الزمان والتاريخ، من منظور يجسد الشكل الرئيس من أشكال «الوعد الإسكاتولوجي» بالخلاص النهائي»(انظر: في الخلاص النهائي، ص49،48).

فكـرة «الخلافة المنتظـرة» و«الخليفة المنتظـر» التي تبناها - فيما بعـد - الكثير من جماعات الإسلام السياسي، والتي اختزلت بدورها الإسلام في تلك الخلافة المنتظرة، بل وتوقف تماما تطبيق دين الله الخاتم على تطبيق تلك الفكرة التي لم تحسم قطعيتها في خلافـات العلماء في المذهب الواحد، فضلا عن خلافات المذاهب فيما بينها. وقد تزعم حتى بعض الجماعات الإسـلامية - التي لا تهتم بالسياسـة أصلا - مثل «جماعة التبليغ» أن الخلافة يرجعها المهدي، وهم ينتظرونه، وهذا مما لا دليل عليه. مصدرين للجماهير نداءا شـعبيا ينـم عما يرجونه: (عُد إلينا يا صـلاح الدين).. حتى أصبح الوجدان الجمعي لهم يؤمن بمخلص كمثل «صلاح الدين الأيوبي» بزعمهم.

14) والشيعة.. يعتقد الشـيعة في بشارات التوراة الخاصة بما يعتقدون أنها إشارة للمهدي الذي ينتظرونه كمخلص.. فمثلا في الفقرة (20) من الفصل (17) من «سفر التكوين» وفيه: «لقد سـمعت دعاءك بخصوص إسماعيل. ها أنا أباركه وأثمره وأجعله كبيرا (أو عظيـما) بماماد واثني عشر إماما يكونون من نسـله، وسـيكون أمـة عظيمة».. الملحوظة هنا أنه «إسـماعيل» وليس «إسـحاق»، ويؤولون النسـل هنا أنه من ظهر سـيدنا «محمد» ﷺ (أي الأئمة الإثنى عشرة). وكذلك الرؤية الثانية عشر في سـفر الرؤيـة لــ «القديس يوحنا» (ولد 6م) صاحب انجيل يوحنا: (وظهرت آية عظيمة في السـماء امرأة متسربلة بالشمس والقمر تحت رجليها، وعلى رأسها إكليل من اثني عـشر كوكبا).. وقد فسر علماء الكنيسـة المـرأة بأنها «مريم» عليها السـلام، وأن الكواكب التي فوق رأسـها هم الحواريون أصحـاب «عيسى» عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وأن ابنها الذي يرى الأمم بعصاه. وهو ما يرمز هنا إلى المخلص الموعود. فسروه بأنه المسـيح «عيسى» ابن مريم. والشيعة تقول إن التفسير ظاهر البطلان، لأن مريم لم يكن لها نسل كثير كما ينص الإنجيل.. ويعتقدون بذلك أن المرأة هي «فاطمة الزهراء».

15) البهائية والبابية.. ففي إيران: ظهرت «البابية» على يد «ميرزا علي محمد الشيرازي» (المولود 1820م) من طائفة الشيعة الإثنى عشرية»، وادعى في بادئ الأمر أنه وحده الناطق بعلم الإمام المستور الغائب وأنه «الباب» إليه، ثم ادعى أنه «المهدي المنتظر» الذي سيظهر بعد ألف سنة من غيبة الإمام الذي غيب سنة (260هـ). وادعى أن الله

حل فيه، وأنه هو الذي يظهر الله به لخلقه. وأنه السبيل لظهور «موسى» و«عيسى» في آخر الزمان[1]. ثم خلفه «بهاء الله» الذي ادعى حلول الإله فيه، وأنه المظهر الكامل، وإن أستاذه بشر به، وأن وجود «ميزرا علي» كان تمهيدا له، كما كان وجود «يحيى» تمهيدا لوجود «المسيح»[2]. فبهاء الله أعظم من الباب لأن الباب هو القائم والبهاء هو القيوم، أي يظل ويبقى.. وقد رأى فيه أتباعه أنه كان فوق البشر، وأضفوا عليه كثيرا من الصفات الإلهية[3].

16) الحركات الماسونية في العالم.. التي تؤمن بتعاليم الهرمسية الغنوصية القائمة على المعرفة الخفية الباطنية، والتي رصد «المسيري» (1938م: 2008م) كونها متأثرة إلى حد بعيد ببعض أفكار الخلاص في بعض الجماعات الإسلامية (أو شبه الإسلامية)، مثل: الدروز، والطائفة الإسماعيلية، وجماعة الحشاشين[4] .. إلخ.. وهي الجماعات التي تؤمن بفكرة «المخلص المنتظر». لكن المخلص في الماسونية غالبا ما يكون قديمًا يأتي عن طريق المصرية القديمة، كما يعتقد أن بعض الحركات الماسونية - مثل «الروزيكروشيانية» أو «الصليب الوردي» الذين تحولوا إلى جماعة سرية كاملة متأثرة بالديانة الفرعونية، ورأوا أن «المسيح» سوف يظهر لهم في غرفة دفن الملك «خوفو»[5].

17) المجتمعات الفاضلة (اليوتوبيات) التي حلم بها الفلاسفة وبشروا فيها بالمخلص والخلاص على طريقتهم الخاصة ولكن أشهرها على الإطلاق: «جمهورية أفلاطون» (428ق.م: 348ق.م)، و«المدينة الفاضلة» لـ «الفارابي» (260هـ: 339هـ) و«مدينة

(1) أبو زهرة، محمد، تاريخ المذاهب الإسلامية، دار الفكر العربي، مصر، 1996م، ص215م.

(2) المرجع السابق، ص217.

(3) إجناتيس، جولدتسهير، العقيدة والشريعة، ترجمة: محمد موسى، وعبد العزيز عبد الحق، وعلي حسن عبد العزيز، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1946م، ص244.

(4) اليد الخفية، مرجع سابق، ص120.

(5) مقال بعنوان: أهلا بجماعة الصليب الوردي، بجريدة الشرق الأوسط، بقلم: أنيس منصور، بتاريخ 7 مارس 2011م، العدد11787.

الله» لـ «القديس أوغسطين (354م: 430م)، و«المدينة الفاضلة» لـ «توماس مور» (1478م: 1535م)، و«مدينة الشمس» لـ «دومينك كامبانيلا» الإيطالي (1568م: 1639م) و«أطلنطا الجديدة» لـ «فرنسيس بيكون» (1214م: 1292م).

18) وفي مقولات الفلاسفة المحدثين ما يعبر عن «فكرة المخلص».. مثل: «برتراند راسل» (1872م: 1970م) في قوله: «إن العالم في انتظار مصلح يوحد العالم تحت علم واحد وشعار واحد».. و«أينشتاين» (1879م: 1955م) في قوله: «إن اليوم الذي يسود العالم كله الصلح والصفاء ويكون الناس متحابين متآخين ليس ببعيد».. و«برنارد شو» (1856م: 1950م) الذي بشر بمجيء المصلح العالمي في كتابه «الإنسان والسوبرمان».. إلخ.

المطلب الثالث
التوظيف السياسي لفكرة المخلص المنتظر

ولـ «فكرة المخلص المنتظر» تلك رغم أنها تربط الناس بعالم الغيب الذي لم ينقطع، وتجعلهم يشعرون بانتمائهم لأمة كبيرة قديمة في الماضي وتقدمية في النظرة للمستقبل، إذ أنهم بذا يعيشون في التاريخ لهم فيه بداية ولو كانت قبلهم، ولهم كذلك نهاية ولو كانت بعدهم. لكن تبقى في فكرة المخلص نقطة ضعف كبيرة، وهي كونها منفتحة على المستقبل، مما يجعلها معرضة للسطو من أي من يطمح في ذلك.

فكما يقولون فإن هذه البطولة التي تحظى بها شخصية «المهدي» في كافة العقائد جعلت منه صورة مثالية، وطموحا يمثل التشكل الأسمى لـ «الإنسان الأعلى» كما يسميه «نيتشة» (1844م: 1900م)، ولذلك لا تتوقف الأحلام والطموح بأن يكون كل صاحب غرض أن يكون هو «المهدي»، أو أن يتوهم بأنه هو «المهدي». وقد يطمح البعض في «الخلافة» التي هي صنو للمهدية، أو على أقل تقدير يطمح لرتبة «المجدد المنتظر».

وهنا في الاستخدام السياسي برز مفهوم آخر للمخلص يستخدم عند التوظيف السياسي له، ولنسمّه استئناسا مفهوم «المخلص الوظيفي».

وفيما يلي بعض من الاستخدامات السياسية لفكرة «المخلص الوظيفي»:

1) **في دولة الإغريق القديمة**: لقد أسقط اليونانيون على أبطالهم صفات الألوهية، مثل «الإسكندر الأكبر» (356ق.م: 323ق.م) الذي جعل الألوهية هي الفكرة الأساسية للإمبراطورية.. وبعد ذلك اتخذ الحكام ألقابا مثل «المحيين» (Gete. Eu) أو «المنقذ» و«تجلي الإله». كما اتخذوا الصاعقة كـ«يورانوس»[1]. وينقل صاحب «قصة الحضارة» المؤرخ «وول ديورانت» (1885م: 1981م) كيف كان «عراف الإسكندرية» يخاطب «الإسكندر»: «ينبغي لخطاك أن تكون بعد اليوم كخطى الصاعقة، وإن تاج المحرر لمصر ينتظرك كابن للإله «آمون»»[2].

2) **في الدولة العباسية**: «وظف العباسيون سياسيا مفهوم المخلص «المهدي» عندما لقب «أبو جعفر المنصور» (95هـ: 156هـ) ابنه بـ«المهدي» (127هـ: 158هـ) وتسمية «أم المهدي» بـ«أم الخلفاء» تشبها بـ«أم المؤمنين»»[3]. و«عبد الرحمن بدوي» (1917م: 2002م) يقرر أيضا هذا التوظيف السياسي لخليفة العباسيين الأول: «وقد كان الخليفة العباسي الأول «السفاح» (104هـ: 136هـ) يدعى بـ«االمهدي»»[4].

3) **في الدولة الفاطمية**: وفي المغرب العربي: ظهر «عبيد الله المهدي» (873م: 934م) الذي انقلب على العباسين، وأسس «مدينة المهدية»، وأنشأ «الدولة الفاطمية»، ومن نسله جاء «المعز لدين الله» الذي فتح مصر على يد «جوهر الصقلي» (928م: 992م) وأسس فيها حضارة عظيمة، حتى أزال ملكهم «صلاح الدين الأيوبي» (532هـ: 589هـ)[5].

4) ظهور جماعات سياسية كبيرة ارتبطت بالمخلص المنقذ.. مثل «ثورة الزنج» في القرن

(1) انظر: قاموس أساطير العالم، ص45.
(2) قصة الحضارة، مرجع سابق، ج1، ص521.
(3) انظر: أمين، أحمد، المهدي والمهدوية، دار نوابغ الفكر للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2009م، ص13.
(4) انظر: بدوي، عبد الرحمن، مذاهب الإسلاميين، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1997م، ص79.
(5) انظر: المرجع السابق، ص15.

الثالث الهجري، وهي أخطر ثورة واجهت الدولة العباسية لمدة أكثر من 14 عاما، إذ بدأت منذ عهد «الخليفة المهتدي» سنة (255هـ/ 869م) وازداد خطرها في عهد الخليفة المعتمد (256هـ: 279هـ/ 870م: 892م) وكان زعيم تلك الثورة رجلا ادعى النسب العلوي، وقد غادر إلى «هجر» بالبحرين القديمة - الأحساء حاليا -، وهناك أعلن ثورته وادعى النبوة وأنه يعلم الغيب(1).

5) وكذا «ثورة القرامطة» على الدولة الفاطمية وعلى الخلافة العباسية أيضا في القرن الرابع الهجري.. ومؤسس مذهب القرامطة هو «حمدان بن الأشعس» الملقب بـ «قرمط» كان من طائفة الإسماعيلية التي تدعو إلى «محمد بن إسماعيل» (128هـ: 193هـ) على أنه إمام غائب ثم انقلب على الإسماعيلية لما ادعى «عبيد الله المهدي» (430هـ: 518هـ) أنه «المهدي المنتظر»(2).

6) و«ثورة الحشاشين» أواخر القرن الخامس وأوائل السادس الهجري.. وقد كانت طائفة الحشاشين بقيادة زعيمهم «الحسن الصباح» (430هـ: 518هـ) ومن أتى بعده يقولون عن أنفسهم: إنهم دعاة الأئمة من نسل «نزار»(3).. ولما جاء أحد خلفائه «الحسن الثاني» أعلن نفسه أنه الإمام(4).

7) في دولة الموحدين بالأندلس: أقام «محمد بن تومرت» (471هـ: 524هـ) دولة باسم المهدي.. وكما يقول «د. عبد الرحمن بدوي» (1917م: 2002م): «وكانت دولة شيعية عظيمة تستند على «فكرة المهدي»»(5).

---

(1) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار سويدان، بيروت، لبنان، 1967م، ج3، ص1743، 1744، باختصار.

(2) البغدادي، عبد القاهر بن طاهر، الفرق بين الفرق، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط2، 1977م، ص282، وما بعدها باختصار، وكذا: دفتري، فرهاد، خرافات الحشاشين وأساطير الإسماعيليين، ترجمة: سيف الدين القصير، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، سوريا، 1996م، ص 36 - 39، باختصار.

(3) جلي، أحمد محمد أحمد، دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، السعودية، ط3، 2008م، ص345 باختصار.

(4) المرجع السابق، ص346.

(5) انظر: مذاهب الإسلاميين، مرجع سابق، ص37.

8) في تركيا.. ظهرت «طائفة الدونمة» اليهودية أو «السبتيين» عام 1648م على يد «سبتاي زيفي» (1626م: 1676م) الذي ادعى أنه «المسيح المنتظر»[1].

9) الحملة الفرنسية على مصر: في سنة 1798م اندلعت في البحيرة التي كانت مسرحا للأحداث السياسية آنذاك - ثورة عظيمة ظهر فيها رجل من طرابلس يكنى «أبو عبد الله» ادعى المهدية وكان يسمى «المهدي الدرناوي»، ودعا الناس لقتال الفرنسيين. وتترس بمدينة «دمنهور»، وقاتل منها الفرنسيين وانتصر عليهم، وكان لهذا الانتصار أثر كبير في نفوس أهالي «مديرية البحيرة» فزاد عدد أتباعه. وهاجموا الحامية الفرنسية في الرحمانية، واضطر بذلك القائد الفرنسي للانسحاب. ولكن الجنرال «لانوس» عاد وهزم رجال «المهدي»، ودخل «دمنهور» في 10 مايو، وفتك بالأهالي انتقاما وفر أتباع «المهدي»، ولم يعرف إن كان قتل أو فر[2]. وله ضريح باسمه إلى الآن في أشهر أحياء «دمنهور» الذي سمي باسمه «أبو عبد الله»؛ يقولون إنه له.

10) في العصر الحديث: يقول «فهمي جدعان»: لكن القرن التاسع عشر شهد موجة عارمة من الحركات «الخلاصية» ذات الطابع «المسياني» (أو المسيحاني) التي اتخذ بعضها طابعا «جهاديا» بينما اتخذ بعضها الآخر طابعا لاهوتيا متحللا من العقائد الدينية الإسلامية التقليدية. وتوجه هذه الحركات جميعا فكرة «المهدي المنتظر» الذي سيملأ الأرض عدلا بعدما ملئت جورا وظلما»[3]. ففي السودان يتكلم المؤرخون عن الاستخدام السياسي لحركة المهدي السوداني «محمد أحمد بن عبد الله» (المتوفى 1885م)[4]. وفي ليبيا مهدي السنوسية «محمد المهدي السنوسي» (المتوفي

(1) قطب، محمد علي، يهود الدونمة، سلسلة اعرف عدوك، رقم1، دار الأنصار، مصر، ط1، 1978م، ص10، 11، باختصار، وكذا: اليد الخفية، ص95، وما بعدها.

(2) إقليم البحيرة، ص385، وما بعدها، بتصرف واختصار. وكذا انظر: الوافي، محمد عبد الكريم، يوسف باشا القرمانلي والحملة الفرنسية على مصر، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، ليبيا، ط1، 1984م.

(3) في الخلاص النهائي، مرجع سابق، ص54.

(4) انظر: المهدي والمهدوية، مرجع سابق، ص79.

1902م)[1]. وكذا «مهدي تهامة» باليمن. و«مهدي السنغال». و«مهدي السوس». و«مهدي الصومال».

11) في دولة «إسرائيل الصهيونية»: ودولة إسرائيل وفكرتها نابعة بالأساس من «فكرة المخلص»، حيث إن فلسطين عند الصهاينة هي «الأرض الموعودة» التي ينتظرون فيها مخلصهم في معركتهم المزعومة «هرمجدون». والهجرة إليها تمت باستخدام «فكرة المخلص» ذاتها. حيث إن «القدس» تحتل مكانة مركزية في سيناريوهات صراعات آخر الزمان.

12) في دولة إيران الحديثة: تنتشر أفكار «حركة الحُجَتِية» التي ينتسب إليها رئيس الجمهورية السابق «أحمدي نجاد» التي تعتبر أن نشر الحروب يقرب من ظهور «المهدي المختفي».. ومنهم من يرى أن الصراع في «سوريا» هو المرحلة النهائية لظهور «المهدي».

13) في أمريكا: فقد «استطاعت الصهيونية بمنظماتها العديدة أن توجه الكنائس الأمريكية بثقافتها التوراتية والتلمودية، واستطاعت هذه المنظمات أن تحوّل المسيحية بشكل جذري إلى اليهودية، وأن تتبنى كنائس الولايات المتحدة وجهات النظر الإسرائيلية، حتى أصبح العهد القديم هو المرجع الروحي للمسيحيين بشكل عام، لذلك نرى أن بعض المحافظين في الإدارة الأمريكية الحالية وغيرهم ممن سبقوهم، وقد غسلت أدمغتهم وتمسكوا بالتوراة ونبوءاتها، يحاولون جاهدين تحقيقها، وإكسابها صفة القدسية الروحانية»[2].

14) وفي أمريكا أيضا: يفسر «ناتان بيرلمتر» وهو يهودي أمريكي، من حركة «بناي برث»، وهي إحدى المنظمات اليهودية في أمريكا، يفسر أسباب تحالف يهود الولايات المتحدة مع الأصوليين المسيحيين، رغم الخلاف الشديد بينهما، بقوله: «إن الأصوليين الإنجيليين يُفسّرون نصوص الكتاب المُقدّس بالقول: «أن على جميع

(1) الأعلام، الزركلي، ج7، ص76.
(2) الماضي، مروان، الإدارة الأمريكية المحافظة، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 2005م، ص17.

اليهود، أن يؤمنوا بـ «المسيح» أو أن يُقتلوا في معركة «هَرْمَجَدُّون»، ولكنه يقول في الوقت نفسه: «نحن نحتاج إلى كل الأصدقاء لدعم إسرائيل... فإذا جاء «المسيح» فسوف نفكر بخياراتنا في ذلك اليوم، أما في الوقت الحاضر دعونا نُصلّي للرب ونرسل الذخيرة»(1).

15) جماعات الإسلام السياسي.. يقرر «د. فهمي جدعان»: «والحقيقة أن وعود الإسلاميين الموجهة أولا وأخرا إلى مبادئ «الاستخلاف في الأرض» و«الحاكمية» و«حتمية الدولة الإسلامية»، وأمر «تغيير العالم»، لم تعد تمثل فقط وعودا طوباوية (خيالية) في جملتها، كما لم تعد تمثل وعودا ملقية بالمسلمين إلى التهلكة والدمار فحسب، ولكنها أيضا فوق هذا وذاك وعود «تحريفية» هي وليدة الظروف التاريخية الصعبة التي مر بها العالم العربي والإسلامي في العصر الحديث.. هي وعود «تحريفية» بمعنى أنها تخرج عن حدود الغائية الكبرى والمركزية التي أرادها الإسلام لنفسه، وذلك بما هو دين قد جاء رحمة وهديا للعالمين بالحكمة والموعظة الحسنة، بما هو شرع يتوخى أولا وأخرا وبإطلاق، تحرير الإنسان من العبودية وإقامة مبدأ العدل على الأرض»(2).. وهو - أي فهمي جدعان - لا يأخذ على الإسلاميين الذين يعتبرون الخلاص في الدولة الإسلامية أو الخلافة؛ على أن يظل رأيا «أيدلوجيا» فحسب، ولا يصير مدعاة للمقاتلة باسم الإسلام والحقيقة الإلهية(3).

16) ومعرفيا.. لكن «صلاح سالم» يرى أن حركات الإسلام السياسي تمثيل للفكرة الشيعية «ولاية الفقيه» قائلا: «فلم ينتج ولاية فقيه سنية إلا الحركات الدينية السياسية التي شغلت القرن المنصرم، قد نزعت إلى تأسيس نوع خاص من الوصاية الدينية على بقية المسلمين تؤدي بعد خطوة واحدة أو اثنتين إلى النتيجة نفسها، بدءا من تمييز أنفسهم باعتبارهم جماعة المسلمين، وكأن الآخرين خارج الإسلام. ثم ادعائهم لأنفسهم دورا سياسيا باسم الدين، على نحو يمنحهم حقا معنويا وأفضلية

(1) هالسيل، جريس، النبوءة والسياسة، ترجمة: محمد السماك، دار الشروق، مصر، ط2، 2003م، ص121.
(2) في الخلاص النهائي، ص69.
(3) انظر: المرجع السابق، ص77.

أدبية باعتبارهم، في الخطاب المضمر، حراس العقيدة، ووسطاء الروح»[1].. لذا فقد انبثق من الفكرة نفسها فكرة «الدولة الإسلامية»، حتى صارت الدولة الإسلامية نفسها هي المخلص.

17) وأقصى حركات الإسلام السياسي تطرفا في موضوع الخلافة تلك هي جماعة «حزب التحرير» المنشق على جماعة الإخوان في الأردن والتي لها فروع في كثير من أنحاء العالم، ففي مطلع الخمسينيات شرع الشيخ «تقي الدين النبهاني» (1914م: 1977م)، من القدس، في تأسيس حزبه الذي أطلق عليه اسم «حزب التحرير الإسلامي». ويمثل النبهاني، في جوهر الأمر - كما يقول «فهمي جدعان» - خروجا صريحا على نهج جماعة الإخوان المسلمين»[2].. رغم أن التحقيقات فيما يعرف بأحداث الفنية العسكرية في مصر في سنة 1974م لتنم على تنسيق كامل بين «حزب التحرير» و«جماعة الإخوان[3].

18) في الحرم المكي: حادثة «جهيمان العتيبي» (1936م: 1980م) أمير «جماعة السلفية المحتسبة» الذي ادعى أنه «المهدي المنتظر»، وقام هو وجماعته باقتحام الحرم المكي سنة 1979م، طالبا مبايعته فيه بين الركن والمقام على أنه «المهدي»[4].

19) تنظيم «داعش» في الشام.. اهتمام تنظيم «داعش» بالترس حول منطقتي «دابق» و«الأعماق» لإيهام الناس بأنهم المقصودون في حديث «مسلم» عن رسول الله ﷺ عن «دابق والأعماق»[5]، وأن بها مقتلة نهاية العالم. وقد أصدر تنظيم «داعش»

(1) سالم، صلاح، الأساطير المؤسسة للإسلام السياسي، ج1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2014م، ص59.

(2) في الخلاص النهائي، ص62.

(3) انظر: نوح، مختار، موسوعة العنف في الحركات الإسلامية المسلحة، دار سما للنشر والتوزيع، مصر، ج1، ط1، 20014م، ص145 - 178، خاصة شهادة «طلال الأنصاري».

(4) الحزيمي، ناصر، أيام مع جهيمان، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط1، 2011م، ص79.

(5) روى الإمام مسلمٌ في «صحيحه» (4/ 2221) قال: حدثني زُهيْرُ بن حَرْبٍ، قال: حدثنا مُعَلَّى بن مَنْصُور، قال: حدثنا سُلَيْمَانُ بن بلَال، قال: حدثنا سُهَيْلٌ، عن أبيه، عن أبي هُرَيْرَةَ: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حتى يَنْزِلَ الرُّومُ بِالأَعْمَاقِ أو بِدَابِقٍ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ من المَدِينَةِ من خِيَارِ أَهْلِ الأَرْضِ=

صحيفة تعبر عنهم باسم «دابق»[1]. كما يلاحظ أن خليفتهم المزعوم البغدادي يطرح نفسه و كأنما هو «المهدي المنتظر» أو «المخلص» بطرحه كمنسب لآل بيت رسول الله ﷺ، على حد تعبير البيان الأول باسم (هذا وعد الله) الذي يقول عنه أنه: «القرشي الهاشمي الحسني»[2].

= يَوْمَئِذ، فإذا تَصَافُّوا، قالت الرُّومُ: (خَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الَّذِينَ سَبَوْا مِنَّا نُقَاتِلْهُمْ)! فيقول الْمُسْلِمُونَ: (لا والله، لا نُخَلِّي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا)، فَيُقَاتِلُونَهُمْ فَيَنْهَزِمُ ثُلُثٌ لا يَتُوبُ الله عليهم أَبَدًا، وَيُقْتَلُ ثُلُثُهُمْ أَفْضَلُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللَّهِ، وَيَفْتَتِحُ الثُّلُثُ، لا يُفْتَنُونَ أَبَدًا، فَيَفْتَتِحُونَ قُسْطَنْطِينِيَّةَ، فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْغَنَائِمَ قد عَلَّقُوا سُيُوفَهُمْ بالزَّيْتُونِ إِذْ صَاحَ فِيهِمْ الشَّيْطَانُ: (إِنَّ الْمَسِيحَ قد خَلَفَكُمْ فِي أَهْلِيكُمْ)! فَيَخْرُجُونَ وَذَلِكَ بَاطِلٌ، فإذا جاؤوا الشام خَرَجَ فَبَيْنَمَا هُمْ يُعِدُّونَ لِلْقِتَالِ يُسَوُّونَ الصُّفُوفَ إِذْ أُقِيمَتْ الصَّلَاةُ فَيَنْزِلُ عِيسَى بن مَرْيَمَ ﷺ فَأَمَّهُمْ، فإذا رَآهُ عَدُوُّ اللَّهِ ذَابَ كما يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ، فَلَوْ تَرَكَهُ لانْذَابَ حتى يَهْلِكَ، وَلَكِنْ يَقْتُلُهُ الله بيده فَيُرِيهِمْ دَمَهُ فِي حَرْبَتِهِ».

(1) بكري، مصطفى، داعش الحقيقة والوهم، دار نهضة مصر، مصر، ط1، 2015م، ص8.

(2) عاكوم، فادي وليد، داعش الكتاب الأسود، دار أملي للنشر، مصر، ط1، 2014م، ص35.

المبحث الثاني

الماسونية وأفكار «هرمس الحكيم»

.. ويرى بعض المؤرخين أن الحركة الماسونية استمدت بعض أفكارها ورموزها وطريقة تنظيمها من بعض الجماعات الإسلامية (أو شبه الإسلامية)، مثل: «الدروز»، و«الطائفة الإسماعيلية»، و«جماعة الحشاشين». فشيخ الجبل، رئيس جماعة الحشاشين، الذي يمسك كل الخيوط بيديه لا يختلف كثيرا عن رئيس المحفل، وطريقة العمل السرية وتجنيد الأعضاء الجدد وفكرة الدرجات التي تتبعها الحركة الماسونية لا تختلف كثيرا عن طريقة العمل والتجنيد في هذه الجماعات..

(من مقولات «د. عبد الوهاب المسيري» في كتاب «اليد الخفية»).

والماسونية كإحدى حركات الخلاص المتأثرة بالقابلاة والأفكار الغنوصية والهرمسيات، والتي تدين بالتقديس لـ «هرمس الهرامسة» لم تبدأ على تلك الصورة الباطنية، فقد كانت بداية الماسونية - حسب زعمهم - بما يشبه نقابة للبنائين والمهتمين بالبناء، ومثلهم مثل كل حرفة يتداولون فيما بينهم لغة خاصة يفهمونها ولا يفهمها الآخرون، تحولت فيما بعد إلى «لغة سرية» يتفاهمون بها فيما بينهم دون الآخرين.

لكن الأمر تحول إلى أبجدية سرية يصعب فهمها.. «ويزيد على ذلك تلك الأجواء الرمادية التي أحاطت بالماسونية عبر التاريخ وأحداثه، خصوصا وأن معظم الذين كتبوا عنها ربطوا بينها وبين الصهيونية مما جعلها أكثر تعقيدا في الرموز والتنظيم والبداية»[1].

(1) الدسوقي، وائل إبراهيم، الماسونية والماسون في مصر، دار الكتب والوثائق القومية، مصر، 2008م، ص17.

والكلام عن الماسونية وتاريخها وماهيتها وتطورها، شأنه شأن الكلام عن أي كيان سري شائك غير قطعي، إذ يستحيل الجزم في مثل هذا الموضوع، إذ لا يوجد وسيلة مثلى للبحث فيها إلا من خلال التحليل، خاصة بعد تطورها وتحولها مما يشبه النقابات العمالية للبنائين إلى كيان غنوصي باطني يؤمن بفلسفات غامضة غير القيمة الوظيفية لحرفة البناء.

أولا: تعريف الماسونية

لكي نصل لتعريف واقعي يعبر عن الحالة السرية الغامضة للماسونية، لابد وأن نمر على التعريف الأولي الشائع، وهو: «تعرف الماسونية بأنها مجموعة من التعاليم الأخلاقية والمنظمات الأخوية السرية التي تمارس هذه التعاليم، والتي تضم البنائين الأحرار والبنائين المقبولين أو المنتسبين، أي الأعضاء الذين لا يمارسون حرفة البناء»(1).

لكن «المسيري» (1938م: 2008م) يعترف بعدم كفاية مثل هذا التعريف لظاهرة تراكمية تشبه التراكمات الجيولوجية التي تتراكم الطبقة فيها فوق الأخرى دون أي تفاعل أو تمازج(2).

كما أنه يرصد أحد أهم طبقاتها النوعية في قوله: «وقد اختلطت فلسفة البنائين بالفلسفة الهرمسية السائدة في عصر النهضة في انجلترا، وهي فلسفة غنوصية ذات طابع أفلاطوني حديث ارتبطت بـ«هرميس تريسميجيستوس»، وهو شخصية رمزية أساسية في الفكر الغنوصي حيث كان يعد نبيا قبل المسيحية، وكان يعد رسول الآلهة للبشر ويحمل المعرفة الخفية الباطنية (الغنوص).. كما اختلطت «فلسفة البنائين» بـ«الحركة الروزيكروشيانية» التي ورد أول ذكر لها في القرن السابع عشر، وهي جماعة غنوصية تدعي الحكمة الخفية عند القدماء»(3).

فـ«المسيري» يقرر بأن تعاليم «هرمس» الغنوصية التي تؤمن بالمعرفة الخفية التي

(1) اليد الخفية، ص116.

(2) المرجع السابق.

(3) المرجع سابق، ص121.

لا تخضع للصيغ العلمية؛ قد أثرت تأثيرا كبيرا فيما يسمى بالماسونية. بل ويتوقف عند أحد أهم الأصول المفترضة للحركة الماسونية وفكرها حسب مؤرخيها، وهي بعض الجماعات الإسلامية (أو شبه الإسلامية)، مثل: الدروز، والطائفة الإسماعيلية، وجماعة الحشاشين - وكلها حركات باطنية متأثرة بالهرمسية وتعاليم «هرمس» بشكل كبير - ويرى هؤلاء المؤرخون أن الحركة الماسونية استمدت بعض أفكارها ورموزها وطريقة تنظيمها من هذه الجماعات. فشيخ الجبل، رئيس جماعة الحشاشين، الذي يمسك كل الخيوط بيديه لا يختلف كثيرا عن رئيس المحفل، وطريقة العمل السرية وتجنيد الأعضاء الجدد وفكرة الدرجات التي تتبعها الحركة الماسونية لا تختلف كثيرا عن طريقة العمل والتجنيد في هذه الجماعات[1].

التعريف التراكمي للماسونية:

ويقرر «المسيري» حقيقة مهمة في تعريف الماسونية تراكميا بفعل السياق الفكري للمحيط الحضاري التاريخي والجغرافي (فلا يوجد نسق عالمي واحد ينطبق على الماسونيين في كل زمان ومكان)[2]:

1- **الماسونية الأولى (ماسونية عصر الملكيات المطلقة):** التي هي تعبير عن المراحل الأولى للعلمانية. ففي عصر النهضة ولد فكر عصر العقل والاستنارة والإيمان بالقانون الطبيعي.. وقد انعكس هذا في فكرة «الإنسان الطبيعي» العقلاني العالمي أو الأممي، هو ليس بحاجة إلى وحي إلهي أو دين مرسل، إذ يمكنه أن يتوصل إلى الإيمان بدين طبيعي عقلاني عالمي.. فنتج عن ذلك ما أسماه: (الماسونية العقلانية) أو (الماسونية الربوبية) التي تنادي بتوحيد كل البشر من خلال العقل، كما تنادي بإسقاط الدين مع الاحتفاظ بالخالق خشية الفوضى الفلسفية الشاملة. ولذا فقد جاء في تعريف الماسوني أنه «ذكر بالغ يلتزم بالنسق الديني الذي يوافق عليه جميع البشر».

2- **الماسونية الثانية:** وهي تعبير عن تصاعد معدلات العلمنة. وقد ظهرت الماسونية الثانية التي تتخذ موقفا إلحاديا أكثر صراحة.. ويلاحظ أن الماسونية الثانية، وهي

(1) المرجع السابق، ص120.

(2) المرجع السابق، ص122 - 130، باختصار وتصرف طفيف.

ثـورة إلحاديـة، تنتشر في البـلاد الكاثوليكية والأرثوذكسـية.. لأنها ثـورة ضد قوة الكنيسة. وبالطبيعي رحبت البلاد البروتستانتية بتلك الماسونية.

3- الماسـونية الثالثـة: مع تحقيق أهـداف الثورة العلمانيـة في معظم بلاد العـالم الغربي، فقدت الماسـونية دورها الثوري بوصفها إحدى مؤسسـات العلمنة.. وبدأت المحافل الماسونية تتحول إلى ما يشبه النوادي التي تضم أعضاء لهم مصلحة مشتركة وتشكل إطارا يتبادل داخله الأعضاء الخدمات.

4- الماسـونية الرابعـة: الماسـونية السـوقية أو الماسـونية المتأمركة أو ماسـونية عصر الاستهلاك وما بعد الحداثة. ففي الولايات المتحدة ظهرت محافل ذات طابع اجتماعي ترفيهي، وهي محافل ليس لها وضع مقنن داخل التنظيمات الماسونية.. وبدأت المحافل تسـمح للنسـاء بالانضمام إليهـا. وتمنع المحافـل الماسـونية البريطانيـة أعضاءها من الالتحاق بأي من محافل للفتيان والفتيات.

ثانيا: «الحركة الروزيكروشيانية»

وعن «الحركة الروزيكروشيانية» يقول «زاهي حواس»: «وهؤلاء منتشرون في أوربا وأمريكا واليابان، حتى أن هناك أعضاء منهم في مصر، وهذه الجمعية ليست لها أهداف دينية بل منهم رجال السياسـة ورجال أعمال، ويقدر عددهم بنحو عشرين مليونا تقريبا. وفلسفة هـذه الجماعة أنهـم يعتقدون في القوة الكامنة خلف الشـخصيات التاريخيـة مثل «أخناتون» و«تحتمس الثالـث»[1].. ويضيف: «والمقر الرئيسي لهذه الجماعة هو «سـان هوزيه» بولاية كاليفورنيـا ويوجـد فيها متحف ضخم يطلق عليه اسـم «المتحف المـصري» وواجهته ذات أعمـدة على شـكل أعمدة «معابد الكرنـك» وداخله تمثال ضخم لـ «أبـو الهول»، وبالمتحف آلاف القطع الأثرية أكثرها مقلدة وأضخمها التمثال الوحيد لملكة يعتقد أنها الملكة الشهيرة «كليوباترا»، وتوجد داخل المتحف صور شخصية لمشاهير الأثريين المصرين»[2].

(1) معجزة الهرم الأكبر، مرجع سابق، ص167.
(2) المرجع السابق، 168.

وهذه الجماعة من أشـد الحركات الماسونية أو قل «فوق ماسونية» المتأثرة بالهرمسيات وبخاصة «القابالاه الهرمسـية» التي تسـتمد معارفها من تيارات شـتى من أهمهـا: «القابالاه اليهوديـة» و«التنجيـم الغـربي» و«الخيميـاء» و«الديانـات الوثنيـة» خاصـة الفرعونيـة والهرمسـية.. إلـخ. وهنا كان الخلط بين الهرمسـية وبين تصور القبالاه مـن جانب وتصور السـحر الأسـود من جانب آخـر الذي كان قد تطـور وازدهر في الفكـر الأوروبي فيما بعد القـرن الثاني عشر عند بعض الجماعـات السرية إلى حد إن «ابن خلـدون» (732هـ: 808هـ) وصفهم في كتابه عن التاريخ بـ «الوجهة إلى غير الله»(1).

ويعتقد أن هذه الجماعة قد تشكلت في القرن السادس عشر في ألمانيا البروتستانتية، وقد انتشرت جماعة «الصليب الوردي» ودخلتها عناصر زرادشـتية وصوفية. وفي القرنين الثامن عشر والتاسع عشر دخلتها عناصر ماسونية أو الماسون الأحرار. لذلك كان أسلوبها سريا، لا أحد يعرف أسـماءهم ولا عنوان مسكنهم. ثم تحولوا إلى جماعة سرية كاملة، بعضهم اكتفى بالإشـارة دون العبارة. وأخيرا تأثروا بالديانة الفرعونية، ورأوا أن «المسـيح» سوف يظهر لهم في غرفة دفن الملك «خوفو»(2).

ثالثا: تأثر الماسونية بالمصرية القديمة

«اسـتعمل الماسون النمط الخيالي للحضارة المصرية القديمة في تكوين الجماعة الماسونية، فمصر عند الماسونية هي مصدر كل معارف البشرية من حكمة وهندسة ومعمار، وبالإضافة إلى الرموز السحرية والروحية فان الصنعة الماسونية لديهم نبعت من مصر، حتى الإسرائيليين منهم لم ينكروا ما برع فيه المصري القديم من روعة البناء. ومصر القديمة تغذي الأسـاطير بصورة أفضل لصمت حضارتها، يعتبرها الماسـون مصدر الحكمة المكنونة في كتابتها الخفية، وبالنسـبة لبعض الماسـون لا يوجد مهندس في الكون أعظم من «ايمحوتب» الذي شـيد هرم

(1) انظر: هرمس مثلث الحكمة بين الأسطورة والواقع، ص248.

(2) مقال بعنوان: أهلا بجماعة الصليب الوردي، بجريدة الشرق الأوسط، بقلم: أنيس منصور، بتاريخ 7 مارس 2011م، العدد11787.

«زوسر» بسقارة[1]. و«زاهي حواس» يقرر عن عالم المصريات الفرنسي الكبير «جان فيليب لوير» (1902م: 2001م): «أن أغلب الأجانب الذين يعتقدون في تناسخ الأرواح يرددون أن «جان فيليب لوير» هو نفسه «ايمحوتب» المهندس المعماري العبقري»[2].

ولقد أطلق الإغريق على «ايمحوتب» اسم «هرمس» وهو الاسم نفسه الذي أطلقوه على المعبود «تحوت» عندما أطلقوا أسماء إغريقية على آلهة ومعبودات المصريين القدماء عندما آمنوا بهم وقاموا بتقديسهم وعبادتهم وعلى رأسهم «الإله رع» الذي أطلقوا عليه اسم «زيوس»[3].

«مما هو جدير بالذكر أنه لا توجد حضارة في العالم تحمل مثل هذا القدر الهائل من الرسائل والإيحاءات مثلما حملتها الحضارة المصرية القديمة، فكان ذلك سببا قويا لتلتقطها الماسونية، وتتخذ منها رموزا قوية تعطيها طابعا من الحكمة والتميز، يجذب إليها كثير من المهتمين بتلك الحضارة القديمة[4]. وتتداول في مكتبات الولايات المتحدة الأمريكية مادة فيلمية بعنوان «الأخوة السرية في الماسونية» Secret Brotherhood of Freemasons[5]. تتصدرها مقدمة تقول: «From Ancient Egypt to the Lodges that dot America Today, This is a probing look at the World's most Famous Secret Organization» وهي تعني: «اليوم، هناك تلاقي بين مصر القديمة والمحافل الأمريكية، تلك هي النظرة إلى أكثر المنظمات العالمية سرية».. كما افتتح «كاجليوسترو» المغامر الايطالي الذي اشتهر في فرنسا في شفاء الأمراض وممارسة علاج السحر والتنجيم (1743م- 1795م) بافتتاح رواق «الشعائر المصرية» مدينة ليون بفرنسا[6]. وفي عام 1731 نشر القس «جان تيراسو» (Jean Terrasson) وهو ماسوني

(1) الماسونية والماسون في مصر، مرجع سابق، ص250.

(2) معجزة الهرم الأكبر، ص33.

(3) كريم، سيد، السحر والسحرة عند قدماء المصريين، نهضة مصر، مصر، ط2، 2008م، ص61.

(4) الماسونية والماسون في مصر، ص250.

(5) مادة فيلمية بعنوان: Secret Brotherhood of Freemasons,(Omni Creative Group. Inc, A & E>S Merchant Affiliation Program).

(6) روبير سوليه، مصر ولع فرنسي، ترجمة: لطيف فرج، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 2002، ص194.

فرنسي رواية متميزة اسـمها «سـيتوس» اسـتلهمها «موتسـارت» فيما بعد عند تأليفه قطعته الموسيقية «المزمار السحري» (Die Zauber Flote)»[1].

ويعتبر البناء الهرمي أكثر ما يدلل به الماسـون عن هويتهم المصرية، فهم يعتبرونه أعظم أبنية الماسون القدماء، كما يعتبر الشكل الهرمي أكثر رموز الماسونية انتشارا في العالم، وتعتبره الماسـونية الأمريكية أول تلك الرموز وأهمها، متخذين اياه رمزا لهم على الدولار الأمريكي - حتى وقتنا الحاضر- تتوسـطه العين الماسونية الحارسة، واعتبروا الهرم الأكبر في الجيزة معبدا قديما للماسونية، متجاهلين بذلك وظيفته الأساسية التي كانت تتعلق بالدفن دون غيره.[2]

والهـوس بمصر في القرنين الثامن عشر والتاسـع عشر كان حركة دولية اشـتركت فيها كل دول العـالم، خاصة الماسـون من الأوروبيين الأكثر تعبيرا عـن حركة أحياء (المصرية) في العـالم الذين كانت محافلهم تمتلـئ بالتصميمات الفرعونية القديمة. إن تعبير حب وحكمة مـصر، لهو ترجمة لمفردات كثيرة، (اجبتومانيـا) والتي تعني اصطلاحا (الهوس بمصر) والتي أتت بعـدة تعبيرات غربيـة أخـرى مثـل:(Egyptianising-Egyptophelia-Agyptosophia Egyptnspion) وكلهـا تعني المعنى نفسـه. فمصر صاحبة الحضـارة القديمة التي اختلفت عما عداهـا من الحضارات كانت بالنسـبة للماسـونية هي الحضارة الأقدم عهـدا والأطول عمرا والأكثر تأثيرا[3].

ويشـير «مارتـن برنـال» (1937م: 2013م) إلى أن الولع بمصر وإلى طبـع عصر النهضة؛ فقد جاء ذلك أساسـا من شـهرة مصر بكونها أول البلاد التي تأسسـت فيه الأسرار والتعاليم المقدسـة.. ولقد بحث أهل عـصر النهضة عن المصادر أو أصل الحضـارة، لذا فقد بحثوا فيما وراء المسـيحية ورومـا الوثنيـة واليونـان القديمة، لكن خلـف اليونان كانـت توجد مصر دائما[4].

(1) الماسونية والماسون في مصر، ص250، 251.
(2) المرجع السابق، ص255
(3) المرجع السابق، ص251
(4) أثينا السوداء، ص280.

رابعا: مدينة «هرمس» في عيون الماسونين وأصحاب الديانات الجديدة

تعد المدن الأقدم عهدا والأطول عمرا والأكثر تأثيرا هي مثار اهتمام خاص من الماسونية، ويلمح هذا في اهتمامهم بمدينة مثل «أريحا» و«دمشق» و«دمن حورس» (أو «دمنهور») المعروفة باسمها اليوناني «هرموبوليس بارفا».

وتتقاطع اهتمامات الماسونية والديانات الجديدة مع «دمنهور» في كونها مدينة أسطورة ديانة «حورس» الذي فقد عينه في صراعه مع قوى الشر «سيت»؛ وفي أن الماسونية اتخذت «عين حورس» الواحدة الباقية رمزا لها، وتتقاطع أيضا معها في أنها مدينه «تحوت» الذي يعتبرونه آلها للقمر فهو الذي يعيد هذا النجم إلى اكتماله بعد فترة من الاختفاء. وبذلك يصبح هو العين الكاملة لـ «حورس»، فطبقا للأسطورة فإن «تحوت» هو الذي عثر على العين وردها إلى «حورس»»[1].

وعن علاقة «حورس القديم» بـ «هرمس» الكبير؛ فإن «حورس» و«هرمس» يتلابسان في «دمنهور» كما يقرر الإيطاليان «ماريو توسي» (ولد في 1942م) و«كارلو ريو ردا» في إشكالية علاقة مدينة «دمنهور» بـ «حورس» و«تحوت» معا: أن «حورس» و«تحوت» متحدان معا من أجل الخلق[2]. ولعل هذا تأويل راجح لما ورد في الأسطورة الرمزية «أوزوريس» من أن المعركة الفاصلة التي استطاع «حورس» و«تحوت» هزيمة أعوان «سيت» كانت بالقرب من مدينة «دمنهور» - طبقا لما جاء في نص «حجر رشيد» بالسطر (27) باسم «المقاطعة»[3] - باسمها الإغريقي «هرموبوليس بارفا»، بذكرها كمدينة «هرمس» في موطن من مواطن ذكرها كمدينة «حورس».

وقد لوحظ في ظاهرة الطوائف الجديدة من اليهود التي منها من تتبنى الديانات الجديدة تلك؛ أن هذه الطوائف تعلي من شأن (أخنوخ) أو «هرمس» ولا تحتفي بالقدر الكافي بالتوراة

---

(1) ديانة مصر القديمة، ص48.

(2) معجم آلهة مصر القديمة، ص51.

(3) انظر: حجر رشيد والهيروغليفية، ص25، في الهامش.

أو بـ «موسى»[1].. فمن الطبيعي أن الاهتمام بمدينته ربما يكون قد طفا على السطح مع مثل هذه الطوائف الجديدة.

خامسا: مدن أخرى لـ «هرمس»

مدينة الأشمونيين بمحافظة المنيا:

عند الكلام عن مدينة «هرمس مثلث الحكمة» «هرموبوليس»؛ لا بد من التفرقة المكانية بين مدينتين:

1) مدينة «هرمس» الكبرى.. أو «هرموبوليس ماجنا».. أو مدينة «الأشمونين» مركز ملوي - محافظة المنيا.. وهي تحوي آثارا كثيرة لكثير من العصور.

2) مدينة «هرمس» الصغرى.. أو «هرموبوليس بارفا».. أو مدينة «دمنهور» عاصمة محافظة البحيرة.. وهي لا يوجد بها آثار تذكر نسبة للأشمونين؛ لأن الحياة فيها لم تنقطع واستمرت استمرارا دائما إلى الآن منذ نشأتها قبل عصر الأسرات بكثير.

.. لكن الكثير من علماء المصريات يؤكدون على أقدميه العلاقة بين «تحوت» أو «هرمس» والدلتا على الصعيد، ويعتقد أن «تحوت» (هرمس المصري) كان في الأصل يعبد في «دمنهور»، ثم انتقل إلى مدينته الكبرى «الأشمونيين» أو «هرموبوليس ماجنا» التي شيدها على غرار مدينة «دمنهور» أو «هرموبوليس بارفا»[2].

وعليه.. فإن من حق كلتا المدينتين أن تنسب تلك الشخصية الأسطورية «هرمس» أو النبي «إدريس» إليها، حيث إن أي تأريخ في كتابنا هذا لمدينة «دمنهور» في علاقتها بالنبي «إدريس» أو بـ «هرمس» أو «تحوت»؛ هو تأريخ لمدينة الأشمونيين كذلك ولا شك. إذ لما أصدرت «جمعية رواد الثقافة» بأرمنت كتابا بعنوان «إدريس نبي من مصر» للكاتب «عبد المنعم عبد العظيم» وقال فيه عن «الأشمونيين» أنها مدينة نبي الله «إدريس»؛

(1) ذو القرنين، ص555، بالهامش.
(2) انظر: هرمس الحكيم وعلاقته بالنبي إدريس، ص42.

فإن كتب التاريخ تسانده في ذلك في قولهم عن نبي الله «إدريس» بأنه: «الساكن صعيد مصر».

مدينة «إدفو» بمحافظة أسوان:

كما أن من حق «إدفو» أيضا أن تنسب لنبي الله «إدريس» (أو «هرمس» أو «تحوت») لأن بعض المؤرخين المعاصرين - مثل «أ.عزت الطهطاوي»(1)، «أ.عزت السعدني»(2)، «د. محمود أبو الفيض المنوفي» (1891م: 1972م)(3) - قد نقل عن المؤرخ القديم «مانيتون» السمنودي (325ق.م: 268ق. م): «أن سيدنا «إدريس» عَلَيْهِ السَّلَامُ ولد في «إدفو»». وقد تم التحقيق في هذا الأمر في موضع سابق من هذا البحث، وقد رجحنا أن يكون أن التعويل المقصود هو اسم مدينة «بحدت» القديمة التي يشترك فيه كلتا المدينتين («دمنهور» و«إدفو»).

والخلط سببه اشتراك «دمنهور» منذ القدم مع «إدفو» في أكثر من اسم، فكل منهما يدعى بالأسماء الآتية: «بحدت»، و«أبوللينوبوليس»، ومدينة «حورس». لكن ما يميز «دمنهور» هو استمرار اسم مدينة «حورس» (دي من حورس) معها واشتهارها به أكثر من «إدفو». وما يميز مدينة «إدفو» اشتهارها باسم «بحدت» عن طريق أحد أسماء «حورس» (حورس البحدتي) رب «إدفو»(4)، وكذا «أبوللينوبوليس» أكثر من «دمنهور» ويسمونها «أبوللينوبوليس ماجنا»(5).

لأنه في إبان عصر «مانيتون» (325 - 268 ق. م)(6)، وما قبله، لم تكن تسمى بعد بـ «إدفو»، لأنها سميت بهذا الاسم عند العرب فيما بعد(7).

(1) النصرانية والإسلام، مرجع سابق، ص43.
(2) فجر الضمير المصري، ص31.
(3) الدين المقارن، ص75.
(4) الديانة المصرية القديمة، ص239.
(5) المرجع السابق، ص291.
(6) لغز الحضارة المصرية، ص9.
(7) مواقع ومتاحف الآثار المصرية، مرجع سابق، ص190.

واسم «بحدت» عند المتخصصين في علوم الآثار يعني «دمنهور» أولا، ثم يعني «إدفو» ثانية. لأنه من المعروف أن «دمنهور» أقدم تاريخيا من «إدفو»، واسم «بحدت» الموجود في النصوص المصرية الأقدم المعروف يقصد به «دمنهور» كما يقول «د. عبد الحليم نور الدين»[1]، أما «إدفو» فهي في النصوص القديمة باسم» جبا» أو «جبو»[2].

وقد ذكرنا من قبل أن هناك أحد ثلاث احتمالات في ولادة سيدنا «إدريس» ونشأته وسكنه وبعثه؛ وهي:

1. سيدنا «إدريس» ولد ونشأ وبعث في مدينة «دمنهور» القديمة، ثم سكن مدينة «الأشمونين» بمحافظة المنيا بصعيد مصر، ثم جاب الأرض ومنها مدينة «إدفو» وغيرها.
2. أو ولد ونشأ وبعث في «دمنهور»، ثم جاب الأرض، ثم رجع مصر، وسكن «الأشمونين»، وربما سكن «إدفو».
3. أو ولد ونشا في «دمنهور»، ثم جاب الأرض، ثم رجع مصر، وسكن «الأشمونين»، وبعث فيها، وربما سكن «إدفو» أو بعث فيها.

.. وعليه.. فإن مدينة «إدفو» أيضا تعتبر أحد المدن التي من الجائز اعتدادها إحدى المدن الهرمسية في مصر.

قرية «ميت رهينة» مركز البدرشين بمحافظة الجيزة:

وهي أشهر المدن أو القرى التي سميت بـ «منف» أو «ممفيس» في التاريخ، ولكننا في بحثنا هذا قد أوردنا تحفظ «د. علاء الدين عبد المتعال» الصائب على قول «ابن أصيبعة» (600هـ: 668هـ) أن سيدنا «إدريس» ولد في مدينة «منف»، ذاكرا أنها مدينة أخرى غير «ميت رهينة» بالبدرشين، وقد اجتهدنا في الوصول لرأي راجح اعتمادا على قول «شامبليون»

(1) المرجع السابق، ص5.
(2) حضارة مصر القديمة وآثارها، ص196.

(1790م: 1832م) و«إميلينيـو» (1850م: 1915م) و«كارسـتن نيبـور» (1733م: 1815م) وغيرهم في أن «منف» المقصودة هي مدينة «دمنهور» على الأرجح.

وعليـه.. فإن «ميت رهينة» أو «البدرشـين» كلاهما من المـدن أو القرى التي من الجائز عدهـا إحدى المدن الهرمسـية في مصر. وهذا الكلام يسري على كل البـلاد التي أطلق عليها اسم «منف» وهي كثيرة في مختلف أنحاء مصر.

الفصل الخامس

مدينة النبي «إدريس» معرفيا

..«عرفنا أن «دمنهور» من أقدم مدن العالم، وأنها كانت عاصمة الوجه البحري قبل توحيد القطرين (يقال إنها هي و«دمشق» المدينتان الوحيدتان اللتان استمرت فيهما الحياة بدون انقطاع مع احتفاظهما باسميهما اللذين عرفا بهما في الماضي»..

(من مقولات «د. عبد الوهاب المسيري» عن مدينة النبي «إدريس» «دمنهور» بكتاب «رحلتي الفكرية»).

الفصل الخامس

مدينة النبي «إدريس» معرفيا

المبحث الأول

المكانة التاريخية لإقليم البحيرة ومدينة «دمنهور»

.. يروى أن المؤرخ المقدوني «سترابون» - أحد أهم المرجعيات التاريخية القديمة - حين قام بمسح ميداني للمدن القديمة لتحديد المواقع الأصلية لأهم مدن العالم القديم (دمنهور وبوتو ونقراطيس وسايس)، ولم يستطع تحديد المواقع على وجه الدقة، وأخطأ في تحديدها جميعا إلا مدينة «دمنهور»، وذلك لاستمرارها وعدم انقطاع الحياة فيها..

(مما ورد في الجزء (24) من «موسوعة وصف مصر»).

يقول «د. عبد الوهاب المسيري» (1938م: 2008م) عن مدينة «دمنهور»:

«ولدت في «دمنهور»، عاصمة البحيرة، وهي مدينة صغيرة في دلتا مصر تقع بالقرب من «الإسكندرية». وحينما نشأت فيها طفلا، كانت تتميز (من منظور رحلتي الفكرية) بوجود عبق التاريخ فيها، برغم أنه لا توجد فيها آثار فرعونية أو قبطية أو إسلامية. وقد

عرفت ممن هم أعلم مني بالآثار، أن هذه هي الحال دائما مع المدن الصغيرة التي تستمر فيها الحياة عبر العصور (على عكس المدن التي يتوقف فيها التاريخ وتدفنها الرمال). إبان نشأتنا في «دمنهور» كانوا يخبروننا أن اسمها هو (دم نهور) لأن الدماء، كما قالوا لنا حينذاك، سالت فيها أنهارا في أثناء إحدى المعارك الحربية في الماضي. ثم عرفنا فيما بعد أن هذه التسمية فلكلورية، وأن «دمنهور» هي (دمن حورس)، أي (مدينة الإله حورس)». ثم يتابع قائلا: «عرفنا أن «دمنهور» من أقدم مدن العالم، وأنها كانت عاصمة الوجه البحري قبل توحيد القطرين (يقال إنها هي و«دمشق» المدينتان الوحيدتان اللتان استمرت فيهما الحياة بدون انقطاع مع احتفاظهما باسميهما اللذين عرفا بهما في الماضي)»[1].

ومن المتداول في حقل العلوم الإنسانية أن كثيرًا من باحثيها يتكلمون عن الكيفية التي كانت الحضارة المصرية القديمة تعبر بها «مرحلة أولية» لكل الحضارات اللاحقة لها. وهو الأمر الذي صدق عليه الكثير من الغربيين، فها هو «هنري توماس» (1821م: 1862م) يعبر عن ذلك بقوله: «إنه على أرض مصر عاش الحكماء الأوائل العظام في التاريخ. ويمكن أن نعتبر هذا القطر معلم الإنسانية الأول»[2].

وكون الحضارة المصرية القديمة كانت مرحلة أولى لكل الحضارات بل أساسا لها؛ يدعو للبحث عن سر ذلك، وإن كان «جريمال» (ولد في 1948م) قد تحسس بعضا منه حيث يقول: «السر الأول من أسرار مصر هو استمراريتها»[3]. فالسر إذن في استمرارية مصر عبر العصور، شاهدة على كل تطور وتغيير. و«المسيري» يؤيد فكرة الاستمرارية هذه للإنسان التاريخي؛ رغم عدم تحيزه للماضي المتحفي الذي يتمثل في الحضارة القديمة التي ليس لها وجود حي في الحاضر.

لكن «دوجلاس بريور» و«إيملي تيتر» يشككان في صحة مقولة (موت الحضارة

---

(1) رحلتي الفكرية، مرجع سابق، ص16.

(2) مصطفي النشار، تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي، دار قباء للطباعة والنشر، مصر، ط2، 2004م، ص38.

(3) هرمس مثلث الحكمة بين الأسطورة والواقع، ص10.

المصريــة القديمة بالكلية). لأنها لا تتناســب مع حجم المظاهر العديــدة للثقافة المصرية التي استمرت إلى يومنا هذا، ويسمونه تحولا وليس موتا[1].

وتبعا لـ «جريمال» في مرجعية الاستمرارية عنده، وكذا إقرار «بريور» و«تيتر» له؛ فإن المدن المصرية التي استمرت الحياة فيها بدون انقطاع هي أكبر شاهد ثقافي على كل هذا، وهذا لم يتوفر سوى لإقليم البحيرة عامة ومدينة «دمنهور» خاصة، ولم يتمتع أي إقليم من أقاليم مصر بهذه المزية بما في ذلك «الإسكندرية» نفسها .

وتلك الفكـرة لم ينتحلها «المسيري» لتمييز مدينتـه؛ فما كان هذا دأبـه ولا منهجه ولا قصده. فـ «المسيري» بذاك يقدر مدينته ولا يقدسـها، يعـترف لها بخبرات وحقائق تاريخيـة متراكمة ولا يقر لها بالأفضلية المطلقة ولا بالحقيقـة التي توقف عندها التاريخ، يحس فيها بعبق التاريخ، ولا يعترف لها بمعجزة بقاء؛ فما فتئ في الموسوعة يناهض تقديس اليهـود لتاريخهم. كما أنه ضـد «أيقنة الواقعة التاريخية» التي يقـول عنها: «أي أن تتحول الواقعة التاريخية إلى ما يشبه الأيقونة، يتعبد الإنسان أمامها لأنها أصبحت موضع الحلول، وتألهت»[2].

و«المسيري» يرفـض أيضـا «الشـوفينية» لهويته حين قولـه: «أنا لا أفـترض أن الهوية العربية الإسـلامية تفصلنا عن الآخرين وتمنحنا حقوقا مطلقة كما فعلوا في ألمانيا النازية وفي التشكيل الاستعماري الغربي، لكني أرى أن الهوية العربية الإسلامية هي مجموعة من السمات الإنسانية المختلفة التي قد تسم جماعات إنسانية أخرى، ولكنها توجد بشكل معين وبترتيب محدد يعطي الهوية العربية فرادتها»[3].

خاصـة وأن علماء التاريـخ والحضارة، وكذا الآثـار؛ يرصدون هذه السـمة بمظاهرها

(1) دوجلاس بريور، وايملي تيتر، مصر والمصريون، ترجمة عاطف معتمد ومحمد رزق، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، مصر، 2010م، ص287 - 290.

(2) المسيري، عبد الوهاب، حوارات، تحرير: سوزان حرفي، ج2، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 2009م، ص166.

(3) المرجع السابق، ج 3، ص 46 .

وخصائصها في مصر كلها، وبالذات في المدن التي استمرت فيها الحياة بدون انقطاع فهذه المدن هي الصورة الفعلية لمصر الممتدة عبر العصور، ومن أهمها مدينة «دمنهور».

وليس أدل على ذلك من تعليقات الرحالة المشاهير في مختلف الأزمان والعقود على المدينة؛ والتي تفيض بوصف حيوية المدينة، وكذا محوريتها من أمثال: «هيرودوت» (484ق.م: 425ق.م)، و«هيلانة» (245ق.م: 327ق.م)، و«سترابون» (65ق.م: 23م) ، و«مانيتون» (325ق.م: 268ق. م)..إلخ. ومن ذلك ما ذكره علماء الحملة الفرنسية في كتابهم الميداني «وصف مصر»: من أن المؤرخ المقدوني «سترابون» (65ق.م: 23م) - أحد أهم المرجعيات التاريخية القديمة - حين قام بمسح ميداني للمدن القديمة لتحديد المواقع الأصلية لأهم مدن العالم القديم (دمنهور وبوتو ونقراطيس وسايس)، ولم يستطع تحديد المواقع على وجه الدقة، وأخطأ في تحديدها جميعا إلا مدينة «دمنهور»، وذلك لاستمرارها وعدم انقطاع الحياة فيها[1].

.. والمكانة الحضارية لإقليم البحيرة الموصول بتاريخه القديم؛ وإن غفل عنها الفكر العام للمصريين، فلم تغفلها الثقافات الأخرى سواء كانت عربية أم غربية. كما سيتضح لاحقا.

المطلب الأول
بعض مظاهر الاستمرارية الحضارية
منذ فجر التاريخ لإقليم البحيرة

❑ من الحقائق التاريخية التي لم يتناولها «المسيري» عن مدينته أنها مدينة الشخصية التي بلغت حد الأسطورة؛ والتي يوصف صاحبها بمؤسس الحضارة الإنسانية، وأبي الفلاسفة في التاريخ (هرمس الحكيم) أو (مثلث العظمة) أو (Trismagistus)، وهو المقابل اليوناني للكائن الإلهي في الحضارة المصرية القديمة (تحوت)[2].

---

(1) موسوعة وصف مصر، ج24، مرجع سابق، ص130 - 136.

(2) الكائن الإلهي»تحوت» تصوره الآثار الفنية برأس الطائر «أبيس» أو «أبو قردان» «راعي الحكمة والفنون»(انظر: هرمس مثلث الحكمة بين الأسطورة والواقع، مرجع سابق، ص31). و«تحوت» (بمعنى المقدر باللغة المصرية القديمة وهو إله الدلتا عن الموتى والمصير البشري) Tooth ويسمونه الكائن=

❐ وفي أقدم كتاب يقولون عنه مقدس على وجه الأرض «كتاب الموتى»[1] والذي يزعم البعض أنه من تأليف «هرمس الحكيم»؛ جاء ذكر «دمنهور» باسم «هرموبوليس» الذي يعني مدينتي «الأشمونيين» و«دمنهور» وكلتاهما امتداد للأخرى، وكذا «إقليم البحيرة» باسم مقاطعة «إيمنتي»[2].

❐ ومن المعلوم أن الحضارة المصرية تبدأ في تأريخها من أسطورة «إيزيس» و«أوزوريس»، التي نبتت في طيبة وترعرعت في «دمنهور»، ثم نال كل إقليم في مصر منها نصيبه على مر السنين والأيام[3].

❐ وحين يذكر ابتداء توهج ثقافة الإغريق؛ لن تجد من يتجاوز أدب «هوميروس» (عاش 850ق.م)، الذي يؤرخون لتاريخهم، وتاريخ أوربا كلها ابتداءا من إبداعاته في قصائده، كما في «الإلياذة» و«الأوديسة». إذ لما صاغ «هوميروس» إلياذته التي تحكي قصة غرام «هيلينة» و«باريس» الأشهر في العالم باستخدام أسطورة «إيزيس» و«أوزوريس»؛ وذكر في حرب طروادة مدينة «هرقليوم» (المعدية بإدكو)- بحيرة[4]، وكذا «كانوب» (أبوقير حاليا) التابعة لإقليم البحيرة، والتي

= الإلهي «تحوت». وكان «تحوت» يحمل ألقابا مهمة منها: «سيد السماء» و«الغامض» و«المجلي بالأسرار» و«الصامت» و«رمز الحكمة والوقار» و«جمال الليل» (الديانة المصرية القديمة، ص 48) . ويعتبر كلا من «شيشرون» و «كليمنت السكندري» أن «تحوت» مخترع الكتابة الهيروغليفية ومؤلف النصوص الأساسية للحكمة المصرية القديمة هو أصل الإله اليوناني «هرمس» (معجم آلهة مصر القديمة، ص6) .

(1) انظر: كتاب الموتى الفرعوني.

(2) وكتاب الموتى هو اسم جرى العرف على إطلاقه على مجموعة من النصوص الدينية والسحرية عرفت عند المصريين باسم «فصول في السير أثناء النهار» (انظر: كنوز الفراعنة، ص232). ويعتقد البعض أنه كتاب سماوي قد جرى عليه تحريف (كريم، سيد، لغز الحضارة، ج1، مرجع سابق، ص53). وقد كانوا يتعبدون به ويتقربون به إلى الله. ويقول عنه الإمام «محمد أبو زهرة»: «هو كتاب مشتمل على آداب وفضائل، وهو يعد الكتاب الأعلى عند قدماء المصريين، يتعبدون بتلاوته وهم أحياء، ويوضع معهم في قبورهم وهم أموات».(مقارنات الأديان، ص 17).

(3) إقليم البحيرة، ص224.

(4) جاء في الإلياذة أن باريس خطف هيلانة من زوجها مينلاوس فاستقل سفينة إلى كانوب، فألقى القبض عليه تونيس حاكم مدينة «هرقليوم» وأرسلها إلى منقيس، وحضر مينلاوس بدعوة من ملك مصر ليتسلم زوجته.

انضمت للإسكندرية في منتصف القرن الماضي فقط (سنة 1955م)[1]- علما بأنه في عهد «هوميروس» (عاش 850ق.م)[2] لم يكن للإسكندرية وجود أصلا - فقد كانت «دمنهور» المسماة «هرموبوليس بارفا» عاصمة للإقليم، والتي قد جاء ذكر إلهها الإقليمي «تحوت» في الإلياذة. وقد وضح مما جاء في إلياذته تأثره بالمنطقة تأثرا كبيرا[3].

❑ ورغم الخلاف القائم بين علماء المصريات في تحديد موطن «حورس» الأصلي، فإن كثيرا منهم يعتقدون بأقدمية حورس الدلتا (حورس الدمنهوري) عن «حورس الإدفوي»[4].. ومنهم: «كورت زيتة» (1869م: 1934م) الذي يحسم موطن «حورس» الأصلي لصالح مدينة «دمنهور»[5]، وكذا «ت. ج. هـ. جيمز» الذي ينحاز بالدلائل لكون الدلتا هي موطن «حورس» الأصلي[6]، و«أدولف أرمان» (1854م: 1937م) الذي يعتبر أن «دمنهور» هي «بحدت» الأقدم، ومعبدها لـ «حورس» هو الأقدم عن معبد «إدفو»[7]، و«ديمتري ميكس» و«كريستين فافار» يعتبران معبد «حورس»

(1) وقد صدر قانون (رقم 191 لسنة 1955م) بإجراء تعديلات في التقسيم الإداري لجمهورية مصر، جاء في المادة 12 منه ما يأتي: يفصل من مركز كفر الدوار التابع لمديرية البحيرة نواحي السيوف قبلي، والسيوف بحري، والقومبانية الإنجليزية، والمنشية البحرية، وغرب نوبار، وخورشيد، والتوفيقية، والمندرة قبلي، والمندرة بحري، والمعمورة، والمحروسة، وحجر النواتية، وسيدي بشر، والصبحية، وأبوقير، والمنشية الجديدة، والدخيلة، والبيطاش، والعجمي، وتضم إلى محافظة الإسكندرية (الوقائع المصرية، عدد28، إبريل، سنة 1955م).

(2) كانت حرب طروادة عام 1284 ق.م ، وقد جاء «هوميروس» بعد الحرب 377سنة (انظر: موسوعة وصف مصر، ج3، ص358).

(3) انظر: موسوعة وصف مصر، ج3، ص360، وكذا: ج24، ص164، 172، 292، وكذا: كلاوس، مانفريد، الإسكندرية أعظم عواصم العالم القديم، ترجمة: أشرف نادي أحمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط1، 2009م، ص19.

(4) الديانة المصرية القديمة، ص36.

(5) حضارة مصر القديمة وآثارها، ص196.

(6) كنوز الفراعنة، ص187.

(7) ديانة مصر القديمة، ص133.

الذي كان بمدينة «دمنهور» أقدم معبد لهذا الرب، ويقران لها باسم «بحدت» في إبان بناء المعبد، ويعتبران الاسم الحالي لمدينة «دمنهور» من تجليات تلك الحقيقة[1].

- فـ «دمنهور» ليست من أقدم المدن الأولى للعالم وحسب. بل هي عاصمة لأقدم تجمع حضاري في العالم، الذي كان عبارة عن دولة مستقلة(مصر السفلى)، ثم سميت فيما بعد بالوجه البحري بعد توحيد «مينا» للقطرين في أول عهد الأسرات. وكان هذا القطر يحكم بمجلس نيابي حكما شوريا؛ حيث تعتبر عاصمة أول تجمع ديمقراطي في التاريخ[2]؛ الذي كان أكثر مدنية وتطورا من الوجه القبلي(مصر العليا) آنذاك[3]. وتعتبر «لوحة نارمر» (مينا) بوجهيها أحد الأدلة على ذلك، وكذا تعاليم الملك «خيتي»[4]، وورد في برديات «قوائم مانيتون» (325ق.م: 268ق. م) ما يدل على تقدم النظم السياسية والإدارية في «دمنهور» قبل توحيد «نارمر» للقطرين[5].

- كما أنه من أسماء «دمنهور» المجهولة - غير المشهورة عنها - اسم «منف» أو «ممفيس» القديمة، وقد حسم هذا العالم الفرنسي «إميلينو» في معجم البلاد والأماكن المصرية في العصر المسيحي؛ مقررا وجود مدينة أخرى تحمل اسم «منف» اسمها: (منف السفلى) قرب مدينة «دمنهور»- القديمة جدا- ويشكك في اختفاء مدينة بمثل هذه الأهمية في هذا المكان[6]. وحسما للأمر؛ فقد تعرف «شامبليون» (1790م: 1832م) على «منف» المختلف عليها، ويضعها في غرب مدينة «دمنهور»[7]. وقد عضد من

(1) المرجع السابق، وكذا: الإسلام والديانة المصرية القديمة، ص98.

(2) الأنصاري، ناصر، المجمل في تاريخ مصر، النظم السياسية والإدارية، دار الشروق، مصر، ط1، 1993م، ص16، وكذا: علاء عبد العزيز، تاريخ مصر القديم، نشر المؤلف، مصر، بدون معلومات طباعة، ص36، وكذا: إقليم البحيرة، ص277، وما بعدها.

(3) آلهة مصر العربية، ج1، ص38.

(4) المرجع السابق، ص233، وكذا مختصر موسوعة مصر القديمة، سليم حسن، إعداد: عريان لبيب حنا، ج1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2008م، ص147.

(5) لغز الحضارة المصرية، ص300.

(6) معجم البلاد والأماكن المصرية في العصر المسيحي، ص279.

(7) المرجع السابق، نقلا عن: شامبليون، مصر الفرعونية، ج2، ص252 - 254.

صحة كون مدينة «دمنهور» أو غربها هي مدينة «منف» أو «ممفيس» التي يعرفها الإغريق القدامى؛ ما ذكره الرحالة الألماني «كارستن نيبور» (1733م: 1815م) في كتابه الموسوعي «رحلة إلى بلاد العرب وما حولها» في قوله عند تعرضه لمدينة «ممفيس» القديمة: «ويبدو أن هناك إلى الآن - سنة 1761م: 1762م تقريبا - خلافا على موضع هذه المدينة، ومؤلفو كتاب «التاريخ العام للعالم» على الأقل يظنون أن هذه المدينة هي مدينة «ممفيس المشهورة» [1].. ثم يقرر بعدها تبعا لذلك: «أما «ممفيس» فكانت هي و«الإسكندرية» تقع على الشاطئ الغربي للنهر» [2].

- وقد جاء في النص الأسطوري المكتوب في «حجر رشيد» في السطرين رقم (26 و27) ما يدل على أن انتصار «هرمس» و«حورس» على أعوان سيت (ما قبل عهد الأسرات) حدث قرب «دمنهور» [3]. مما يؤكد على طرحها على مسرح الأحداث في ذلك العصر، وكذا في عهد البطالسة الذي نقش فيه «حجر رشيد»، في موضوع ينسبون له القدسية.

- والشهرة الفائقة لـ «حجر رشيد» (196ق.م) والذي كان سببا في قراءة التاريخ المصري القديم؛ جعلت «رشيد» وتاريخها محل اهتمام غربي شعبيا وعلميا. و«دمنهور» محل اهتمام علمي وأقل منه شعبيًا؛ بسبب أنهم لم يستطيعوا قراءة «حجر رشيد» إلا بعد مقارنته بـ «حجر دمنهور» (المسمى بلوح «النوبارير») الذي يطابق «حجر رشيد» بالهيروغليفية فقط [4]، والذي اكتشف عام 1898م، وهو الحجر الذي وصفه المتخصصون بأنه أهم لوح في هذا السياق [5].

---

(1) رحلة إلى بلاد العرب وما حولها، ج1، مرجع سابق، ص211.

(2) المرجع السابق.

(3) حجر رشيد والهيروغليفية، ص 25، في المتن والهامش.

(4) ولوح «هرموبوليس بارفا» أو (لوح دمنهور) اكتشف عام 1898م، وهو محفوظ الآن بالمتحف المصري بالقاهرة، تحت رقم (22188) (انظر: حجر رشيد والهيروغليفية، ص37).

(5) انظر: الشماع، بسام، نصوص مصرية قديمة غيرت التاريخ، دار المعارف، مصر، ط1، 2016م، ص130، 131، وكذا: مجلة الآثار، العدد الأول، يونيو 2009م، ص10.

❑ يقـرر أحد علماء الحملة الفرنسـية «دي بوا إيميه» (عـاش في 1800م) أن الإقليم جاء ذكـره في الكتاب المقـدس (التوراة) في الآية15من الإصحـاح الثلاثين[1]، عن طريق «سـايس» إحدى مدن الإقليم القديم ذات الصلة الوثيقة بـ «دمنهور» (هرموبوليس بارفـا) ودسـوق (بوتو) وإيتـاي البـارود (نقراطيس) كأهم مدن مـصر القديمة كما صرح «سترابون» (65ق.م: 23م)[2].

❑ جاء في كتاب «وصف مصر» للفرنسـيين: أن سـكان الإقليم القديم هم الذين أسسوا مدينـة «أثينـا» درة تاج الإمبراطورية الإغريقية تقليدا لمدينة «سـايس» إحدى أهم مـدن الإقليم القديم، والمرتبطة تاريخيا وجغرافيا بعاصمة مصر القديمة «نقراطيس» (كوم جعيف الحالية بإيتاي البارود)، وأن «سيكروبس» (قبل 700ق.م) مؤسس أثينا من مواليد إقليم البحيرة[3].

❑ بل إن مدينة «الإسـكندرية» التي تعتبر رمزا للتواصـل بين الحضارة المصرية القديمة والحضارة الإغريقية عبر البحر المتوسط؛ ما هي بالأساس إلا قطعة من إقليم البحيرة تسمى «راقودة» (أو راكوتيس) اختارها «الإسكندر المقدوني» (356ق.م: 323ق.م) عن قناعة، رغم معارضة الكثير من رفاقه[4].

❑ كما زار الإقليم العديد من فلاسفة الإغريق، ومنهم «أفلاطون» (428ق.م: 348ق.م). وقـد تكلم أكثر مـن واحد ومنهم «فرانسـوا ديمـاس» (1915م: 1984م) عن اهتمام خاص من «أفلاطون» بهرموبوليس بارفا (دمنهور) مدينة الإله «تحوت» الذي تكلم عنه في محاورته الشهيرة «فايدروس»[5].

❑ وقـد جاء في كتـاب «وصف مصر» لعلماء الحملة الفرنسـية: من أن المؤرخ المقدوني

(1) موسوعة وصف مصر، ج3، ص379، في الهامش.

(2) المرجع السابق، ج24، ص130 - 136.

(3) المرجع السابق، ج 24، ص 136.

(4) محمد، هشام، الإسكندر الأكبر، دار مشارق، مصر، ط1، 2008م، ص48.

(5) راجع: آلهة مصر، ص116.

«سترابون» (65ق.م: 23م) - أحد أهم المرجعيات التاريخية القديمة - حين قام بمسح ميداني للمدن القديمة لتحديد المواقع الأصلية لأهم مدن العالم القديم (دمنهور وبوتو ونقراطيس وسايس)، ولم يستطع تحديد المواقع على وجه الدقة، وأخطأ في تحديدها جميعا إلا مدينة «دمنهور»، وذلك لاستمرارها وعدم انقطاع الحياة فيها[1].

❑ وقد كان لمدينتي نقراطيس و«تحوتي» (دمنهور) مكانة خاصة في الأساطير الإغريقية؛ ومن ذلك ذكرهم في أساطير البطل الأسطوري هرقل اليوناني (هرقليز)[2].

❑ ولما قام الملك «بسماتيك الثاني» بتشييد مدينة «نقراطيس» سنة 590 ق.م بـ «إيتاي البارود» التي أصبحت عاصمة للجالية اليونانية في مصر قبل «الإسكندرية» التي يعدونها الابنة البكر لإقليم البحيرة، ولمدينة «نقراطيس» أثر كبير في تاريخ مصر واليونان[3]، ولهذا شغلت كثيرا من الباحثين، مثل «فلندر بتري» (1853م: 1942م) الذي وضع كتابا مستقلا عنها.

❑ وفي العصر البطلمي بالذات شهد الإقليم المقابلة المجتمعة بين عناصر شتى يونانية ومرتزقة أمام الثوار المصريين، وعلى رأسهم القديس «ديونسيوس» الذي كان يقود المقاومة المصرية في الإقليم[4].

❑ وفي العصر المسيحي تحظى «هرموبوليس بارفا» أو «دمنهور» باهتمام خاص، وقد كانت مسرحا لأحداث تاريخية تعتز بها الكنيسة للآن[5]. وقد مرت العائلة المقدسة

(1) موسوعة وصف مصر، ج24، ص130 - 136.

(2) انظر: الإسكندرية أعظم عواصم العالم القديم، مرجع سابق، ص49.

(3) غربال، محمد شفيق، تكوين مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، مصر، 2009م، ص38.

(4) أنماط التراث الشعبي في محافظة البحيرة، محمد، عبير إبراهيم، أنماط التراث الشعبي في محافظة البحيرة، رسالة دكتوراة، جامعة حلوان، 2003م، ص28،27.

(5) راجع الأحداث التاريخية المرتبطة بـ «دمنهور» وما حولها مثل «البرنوجي» و«سنطيس» و«نقراطيس» على سبيل المثال لا الحصر في كتب الجغرافيا في العصر القبطي، ومنها: (معجم البلاد والأماكن المصرية في العصر المسيحي لإميلينيو).

بإقليم البحيرة، وأقامت فيه فترة، حتى استقرت بإحدى مناطق الإقليم (وادي النطرون)[1]. بل أن أول كنيسة بنيت على المذهب الأرثوذكسي مازالت قائمة إلى الآن (كنيسة الملاك ميخائيل) بـ «دمنهور»[2].

- ❏ في العصر المسيحي تم تسمية «إقليم البحيرة» بالقطر السكندري أو «بلاد الإسكندرانيين»، وكانت عاصمته «دمنهور»، وحدودها من «الإسكندرية» لكفر الشيخ حتى مدينة شباس الشهداء، وهذا ما يبرر كلام المؤرخين لهذه الفترة عن «الإسكندرية» أنها قطر متاخم لمصر[3]. وقد كان هذا الإقليم في هذه الفترة يموج بالحضارة أكثر من أي إقليم آخر في مصر[4]. وهذا يدعو لتمثل حقيقة مهمة، وهي: أن الشهرة الفائقة لمدينة «الإسكندرية» آن توهجها الثقافي كعاصمة للفلسفة والثقافة في العالم لم تقتصر عليها كمدينة، بل امتدت للإقليم كله حتى حدود كفر الشيخ، وكانت «دمنهور» هي درة هذا الإقليم تشارك «الإسكندرية» المدينة هذا النبوغ لكون «دمنهور» هي العاصمة في هذه الفترة. بل إن «الإسكندرية» نفسها في العصر البطلمي كانت إحدى المقاطعات الإدارية لإقليم البحيرة، ويديرها حاكم عام مقره مدينة»هرموبوليس بارفا» أو «دمنهور»[5].

- ❏ وقبل دخول «دمنهور» في التشكيل الحضاري العربي الإسلامي الممتد إلى الآن. فقد كانت «دمنهور» كانت مسموعة الذكر في العصر الجاهلي حتى وصل الأمر إلى ذكرها في السيرة الشعبية اليمنية الشهيرة «سيف بن ذي يزن» في فقرة تقوم بتخليد بعض البلدان المشهورة على الساحة في زمن تأليف السيرة كأسماء أشخاص

---

(1) بعد أن ارتحلت العائلة المقدسة من مدينه «سخا» عبرت الفرع الغربي للنيل حتى وصلت إلى وادي النطرون بإقليم البحيرة، وهى «برية شيهيت». فبارك الطفل يسوع هذا المكان وهو الآن يضم أربعة أديرة وهي: دير القديس أبومقار، دير الأنبا بيشوى، دير السريان، دير البراموس (انظر: مصطفى، ياسر، رحلة العائلة المقدسة في مصر، دار الفاروق، مصر، ط1، 2009، ص46).

(2) انظر: كتاب «محافظة البحيرة»، الهيئة العامة للاستعلامات، مصر، 1984م، ص135.

(3) انظر: الإسكندرية أعظم عواصم العالم القديم، ص138، وكذا: تكوين مصر، مرجع سابق، ص49.

(4) المرجع السابق.

(5) إقليم البحيرة، ص247.

مصاحبين للبطل الأسطوري، وكنوع من التأصيل لأسماء هذه البلدان، ومنها مدينة «دمنهور»، مما يدلل على احتلالها كممثل للإقليم لجزء من الوجدان الشعبي العربي في هذه الفترة[1].. وهذا من الأمور الطبيعية لأن العرب قبل الإسلام لم ينقطعوا من الاتصال بمصر، تأثيرا وتأثرا.. وإقليم البحيرة جزء لا يتجزأ من مصر الكبرى. ومن المعلوم قول البعض: أن قبيلة «جرهم» المصرية كانت قد سكنت الحرم، ومن المعلوم أيضا أن المصريين أخوال للعرب عن طريق السيدة «هاجر» زوجة سيدنا «إبراهيم» عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

- وفي عصر الفتح الإسلامي: «كانت «دمنهور» قنطرة المسلمين إلى تحطيم دولة الروم في «الإسكندرية» عند الفتح الإسلامي، وكتب «عمرو بن العاص» إلى «الخليفة عمر» يحمل له البشارة بفتحها لأهميتها، وبعث الكتاب مع «عامر بن لؤي»»[2].

- ذكر المؤرخ الكبير «الواقدي» أن كثيرا من صحابة رسول الله ﷺ لما فتحت مصر، قد استقروا بإقليم البحيرة، ومنهم «القعقاع بن عمرو التميمي»[3]، ومن الصحابة الذين ماتوا ودفنوا بالإقليم «شافع بن السائب» المدفون بمدينة «إدكو»[4]، و«عبد الله بن الصامت» المدفون بمدينة «رشيد»[5]، وآخرون.

- وفي القرن الثالث الهجري كانت «دمنهور» مسرحا لمواجهات دامية بين «الأمين» و«المأمون» - ابني الخليفة العباسي «هارون الرشيد» - بين سنتي (199هـ و210هـ)[6].

---

(1) مصر في الأساطير العربية، ص187.

(2) انظر: دراسة «د. خالد عزب» بمجلة «ذاكرة مصر المعاصرة» الصادرة عن مكتبة الإسكندرية، العدد السادس، إبريل 2011م، بعنوان: «دمنهور مدينة الإله حور»، وكذا: القهوجي، عوض، الفتح الإسلامي لمصر، نشر المؤلف، ط1، 1999م، ص110.

(3) المرجع السابق.

(4) إقليم البحيرة، ص518.

(5) المرجع السابق، ص477.

(6) إقليم البحيرة، ص247.

❑ اهتـم بهـا كثير من الرحالـة والمؤرخين مثل «ابـن جبـير» (1145م: 1217م) و«ابن بطوطـة» (703هـ: 779هـ)، و« ابن دقماق» (750هــ: 809هــ) الذي قدم لها وصفا شـاملا يستشـف منه محوريتها في دولة المماليـك البحرية، وخاصة في عهد السـلطان «قايتباي» الذي بني حولها سورا لحمايتها سنة801هـ[1].

❑ في القرن السـابع الهجري كانـت «دمنهور» مقر نائب الوجـه البحري ويطلق عليه (ملـك الأمراء)[2]. وقـد زارها الرحالة «ابـن بطوطة» (703هـ: 779هــ) وقدم لها وصفا، لقي فيها علمائها، ومنهم فقية الشافعية الكبير «فخر الدين بن مسكين»[3].

❑ في القرن الحادي عشر الهجري ألف أحد علماء القرن الإمام «إبراهيم العبيدي» مؤلفا كبـيرا عن الإقليم يثبـت فيه بالأدلة كـون «إقليم البحيرة» إقليـما ديموغرافيا خاصا يحوي ثلة نادرة من الطاقات البشرية تسبح في بيئة ثقافية خاصة موروثة فيه منذ قدم التاريخ، وممتدة إلى ما شـاء الله لها أن تكون، وقد أسـمى هذا الكتاب: «أدلة التسليم في فضل البحيرة على سائر الأقاليم».

❑ وقد نشـبت في البحـيرة ثورة عظيمـة ضد الفرنسـيين في أواخر القـرن الثامن عشر الميـلادي هدت قوى الفرنسـيين، ولم ينالـوا هزائم مثلما حدث لهـم في «دمنهور»، حتى أنه لم يرد في تاريخ «نابليون بونابرت» (1769م: 1821م) ولا الحملة الفرنسـية أن تعاملـوا مع مدينة بقسـوة مثل ما فعلوه مع «دمنهـور» انتقاما من جهادهم العتيد، وبسـالتهم النـادرة. وتفيـض الكتابـات التاريخية الفرنسـية بوصف هـذا الأنموذج الفريـد من المقاومة، مثل المؤرخين «مانجان» (عـاش 1823م) و«جومار» (1777م: 1862م)[4]. وممـا قالـه «مانجان»: «إن دفاع «دمنهور» المجيد هو جدير بأن يسـجل في صفحات تاريخ مصر الحربي، فقد تولى أهلها الشـجعان هذا الدفاع وحدهم، دون

(1) المرجع السابق.

(2) القلقشندي، صبح الأعشى في كتابة الإنشا، دار الكتب المصرية، مصر، 1922م، وكذا انظر: ابن دقماق، الانتصار لواسطة عقد الأمصار، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

(3) المختار من رحلات ابن بطوطة، مرجع سابق، ص42.

(4) انظر: إقليم البحيرة، ص366 - 389، كذا: ص412، وكذا: «دمنهور مدينة الإله حور»، مرجع سابق.

أن يتلقوا أي مدد أو مساعدة من أحد»[1]، ومما قاله «جومار» عن مقاومة أهل «دمنهور» للألفي عميل الإنجليز الذي تحطمت أحلامه في ملك مصر في «دمنهور»: «أن أهالي «دمنهور» قد أظهروا مثل هذه الشجاعة والمثابرة أثناء الحملة الفرنسية في ظروف تختلف عن الظروف التي قاوموا فيها قوات الألفي مما يدل على ما فطروا عليه من الشجاعة»[2].. والمفكر والمؤرخ والإقتصادي الكبير «صبحي وحيدة» (1912م: 1956م) ينقل في كتابه الحجة «في أصول المسألة المصرية» تعجب المؤرخ الكبير «الجبرتي» من بسالة «الدمنهوريين» - بلفظه - ومن دفاعهم المستميت ككتلة اجتماعية واحدة بما فيهم النساء عن ثغر من ثغور الوطن. بل ويرجع بعضهم فضل استقرار الملك لـ «محمد علي» (1769م: 1849م) لاستبسال الدماهرة[3].

- لـ «إقليم البحيرة» مكانة خاصة في أحداث الاحتلال الفرنسي، فموقعة «شبراخيت» سنة 1789م، ومقاومة أهل «دمنهور» الفريدة له، وتمركز «نابليون» (1769م: 1821م) في «الرحمانية»، علاوة على ثورتي «إدكو» و«إدفينا» تفيض بها كتابات المؤرخين الفرنسيين، ولقد كان اهتمامهم بمدينة «رشيد» اهتماما بالغا، حتى أن الجنرال «مينو» (1750م: 1810م) تزوج منها لتوطيد الصلة بهم. ومن آثار ذلك الحدث التاريخي في اكتشاف «حجر رشيد» الذي كان مفتاحا لمغاليق الجسر الذي بين الماضي والحاضر في التاريخ.

- في 14 سبتمبر 1807م شهدت مدينة «دمنهور» توقيع «معاهدة دمنهور» الشهيرة بين «محمد علي» (1769م: 1849م) والإنجليز بقيادة الجنرال «شيروبروك» نائبا عن «فريزر» (1758م: 1809م) كأول معاهدة في تاريخ مصر الحديث، وعلى أثرها تم جلاء الإنجليز عن مصر في 19 سبتمبر من العام نفسه[4].

(1) إقليم البحيرة، ص412.

(2) المرجع السابق، ص412.

(3) انظر: وحيدة، صبحي، في أصول المسألة المصرية، دار الكتب والوثائق المصرية، مصر، 2011م، ص133، وكذا: الجبرتي، عبد الرحمن بن حسن، تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، تحقيق: حسن محمد جوهر، لجنة البيان العربي، مصر، 1959م.

(4) عطية، صلاح، ضرب الإسكندرية، المقدمات والنتائج، كتاب تراث الجمهورية، رقم 31، مصر، ص44.

- الحديث عن «محمد علي» (1769م: 1849م) وعلاقته بالمجاهدين والجهاد ضد الاستعمار الإنجليزي، وخاصة حركة المجاهد «عمر مكرم» (1750م: 1822م) في «دمنهور» و«رشيد»، تفيض به الكتابات التاريخية، ومنها حملة الانجليز بقيادة «فريزر» (1758م: 1809م) على مصر وتصدي أهالي «رشيد» لها سنة 1807م، وكذا «قرية الحماد»، وهو الحدث الذي نبه «محمد علي» إلى سطوع نجم «السيد عمر مكرم»، ونفاذ كلمته في الشعب. وغدر بقائد المقاومة الشيخ «حسن كريت» ثم تعامل مع إقليم البحيرة معاملة قاسية تهدف لإفقاره اقتصاديا وثقافيا، جزاء بسالته[1]. و قد تكلم «أ. عباس محمود العقاد» (1889م: 1964م) عن خطة «محمد علي» (1769م: 1849م) في التضييق على الإقليم[2].

- في سنة 1882م انهزم الانجليز هزيمة منكرة على يد أبناء الإقليم في كفر الدوار ضمن أحداث الثورة العرابية في موقعة شهيرة[3].

- ريادة أبناء البحيرة في ثورة 1919م تشهد به كتب التاريخ[4]، وتشهد للشيخ «عبد الباقي سرور نعيم» (1880م: 1928م) بقيادة الجماهير وتدريبهم، ومن أحداث الثورة تحطيم الثوار للسجن في «دمنهور» لإخراجه منه عنوة. وقد كان من ضمن قادتها الكثير من العلماء أبناء الإقليم، منهم الإمام «محمود شلتوت» (1893م: 1963م) شيخ الأزهر، والشاعر الكبير «أحمد محرم» (1877م: 1945م) وغيرهما الكثير.

- جاء في كتب التاريخ ما يفيد بتمحور أحداث الثورة التي سميت بـ(انتفاضة 1935م) في «دمنهور»، والتي كانت ثورة شعبية ضد القصر والإنجليز بسبب المطالبة بعودة

(1) انظر: إقليم البحيرة، مرجع سابق، ص405 - 445.

(2) العقاد، عباس محمود، عبقري الإصلاح والتعليم، محمد عبده، سلسلة أعلام العرب، مكتبة مصر، 1962م، ص9.

(3) انظر: الرافعي، عبد الرحمن، الثورة العرابية والاحتلال الانجليزي، دار المعارف، مصر، ط4، 1984م، وكذا: طه، سمير محمد، أحمد عرابي ودوره في الحياة المصرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1986م.

(4) أنماط التراث الشعبي في محافظة البحيرة، مرجع سابق، ص28.

«دستور 23». ومازال وجدان المدينة يتذكر شهيدي الطلبة «محمود حمزة الرومي» و«محمد محمد رزق المسلماني» بكل فخر واعتزاز. ولقد تم إعادة «دستور 23» بسبب تلك الأحداث[1].

❑ بلغ من تأثير إقليم البحيرة في التكوين الثقافي للرئيس «جمال عبد الناصر» (1918م: 1970م) - أثناء إقامته الطويلة به - أن روايته الوحيدة التي كتبها وهو طالب كانت عن كفاح أهل «رشيد». وفي 19 سبتمبر سنة 1959م حضر إلى «رشيد» للاحتفال بافتتاح «متحف رشيد»؛ كما احتفى بتكملة الرواية المسماة (في سبيل الحرية) في حفل رسمي فيها، تخلله عرض عسكري واحتفال شعبي ورسمي كبير[2].

❑ في عام 1960م ظهرت في البحيرة إحدى أهم تجليات ثورة يوليو كنموذج، ربما كان له أثرا محليا وإقليميا ودوليا - كما صرحت وكالة رويتر[3] - ألا وهو نموذج «المحافظ الناجح» الذي قالوا أنه تجسد في «وجيه أباظة» بفترة ولايته للمنصب (من 1960م إلى 1968م). وقد صرح الكاتب «أ. محمود السعدني» بأن تجربة وجيه أباظة قوة دافعة حية[4]، كما قال «أ. صلاح منتصر»: «كان أحسن محافظ عرفته مصر»[5]. ومن قبل وصفته «وكالة رويتر»: «أنه المحافظ صاحب العصا السحرية»[6] . مما يبرر قول «عمر طاهر» وهو يترجم له كأحد أهم صنايعية مصر الذين ساهموا في بنائها الحديث تحت عنوان («وجيه أباظة» صنايعي شغلانة المحافظ)[7].

(1) إسماعيل، حمادة، انتفاضة 1935، بين وثبة القاهرة وغضبة الأقاليم، دار الشروق، مصر، ط1، ص48 - 60.
(2) إقليم البحيرة، ص143.
(3) بحسب تقرير بجريدة «مونتريال ستار» التي تصدر في كندا بتاريخ 14 أغسطس 1970م.
(4) انظر: إمام، عبد الله، وجيه أباظة الثائر والإنسان، عربية للطباعة والنشر، مصر، ط1، 1994م، ص158.
(5) المرجع السابق، ص133.
(6) انظر: إمام، عبد الله، وجيه أباظة صفحات من النضال الوطني، تقديم: محمد حسنين هيكل، عربية للطباعة والنشر، مصر، ط1، 1995م، ص447.
(7) طاهر، عمر، صنايعية مصر، دار الكرمة، مصر، ط1، 2016م، ص51.

❑ حيازة الإقليم لجائزة نوبـل مرتين عن طريق ابنين من أبنائها «أحمد زويل» (1946م: 2016م) ابـن «دمنهور»[1]، و«نجيب محفوظ» (1911م: 2006م) ابن عائلة الباشـا بـ «رشيد»[2].

المطلب الثاني
المكانة المعاصرة للإقليم في الثقافة الغربية

أمـا الآن فإن الأمر قد وصل إلى إقامة بعض الغربيين- الطقوس والشـعائر الخاصة داخل المعابد والمقابر المصرية لاسيما الأهرامات، مما يسـميه البعض بعبادة الأهرام. وهذا ما دفع القائـل لأن يقول: «لا يقف خيال اليهود عند حد، وخاصة عندما يتعلق الأمر بمصر.. وأخر تقاليع اليهود سـيناريو الاحتفال الماسـوني الشـيطاني عنـد الأهرام، والأهـرام التي أرعبت «بيجين» (1913م: 1992م)، مازالت تثير اليهود، وباستحالة يحاولون ربط حياتهم الدينية بها إلى جانـب الدجل التاريخي حول حقوقهم فيها»[3]. وفي هذا يقول «د. علي شـلش» (1935م: 1993م): «وترتب على الاعتزاز الماسـوني أن المعابد الماسـونية مازالـت تقام حتى اليوم على صورة المعابد الفرعونية، ومازالت رموزهم أشـبه بالهيروغليفية مثل الأهرام والعين اللذين يتصدران - حتى اليوم - خاتم الولايات المتحدة وعملتها الورقية»[4].

وذاك مما يفوح بعلاقة بعض الجماعات اليهودية بهذه العبادات الجديدة، خاصة ما ذكره «المسيري» عن مثل هذه العبادات الجديدة في قوله: «ومن أكثر الظواهر التي تتهدد اليهودية المعـاصرة، إقبال أعضاء الجماعات اليهودية على هذه العبادات الجديدة»[5]. بل إن من الحقائق الإحصائيـة التي قد تكون لهـا علاقة بموضوع العبادات الجديدة أن نسـبة أعضاء الجماعات

(1) زويل، أحمد، عصر العلم، دار الشروق، مصر، ط1، 2005م، ص29.

(2) انظر في ذلك: عبد العزيز، إبراهيم، أنا نجيب محفوظ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر،2012م، ص36.

(3) مقال على موقع الحوار المتمدن، بعنوان: «عبادة الشيطان عند الأهرام»، بقلم: سعيد رمضان علي، بتاريخ 8 سبتمبر 2011م، على الرابط: http:/ / www.ahewar.org/ debat/ print.art.asp?t=0&aid=282720&ac=2

(4) شلش، علي، الماسونية في مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر،1993م، ص25.

(5) اليد الخفية، ص113.

اليهوديـة في الجمعيات السرية في العالم هو 30 %[1] ويقول عن دوافع ذلك: «ويبدو أن إقبال اليهود والإسرائيليين على العبادات الجديدة هو تعبير عن ضعف العقيدة اليهودية وعن تزايد الإحسـاس بالاغـتراب نتيجة لتزايـد معدلات الترشـيد والعلمنة وتآكل الأسرة كمؤسسـة وسيطة. والعبادات الجديدة تحل محل العقيدة والأسرة في ذات الوقت، وتقوم بعملية الوساطة العقائديـة والفعلية بين الفرد والمجتمع. كما يقبل الشـباب اليهودي عـلى العبادات الجديدة، لتأكيدها على الزهد، تعبيرا عن احتجاجهم على النجاح المادي الذي حققه أهاليهم باندماجهم في الحضـارة البرجوازية الغربية، فهو في تصورهـم نجاح خالي من المعنى والمضمون الخلقي، ويؤدي إلى الاستغراق في الحياة الحسية والاستهلاك اللامتناهي»[2].

وقـد نالت مدينة «دمنهور» قسـطا مـن هذه الخرافـات - نظرا لقدمها ولقداسـتها عند الغربيين المهتمين بعلم الأديان- واتخذها البعض قبلة لهم، وقد أنشئوا مدنا- هي أشبه بالمعابد

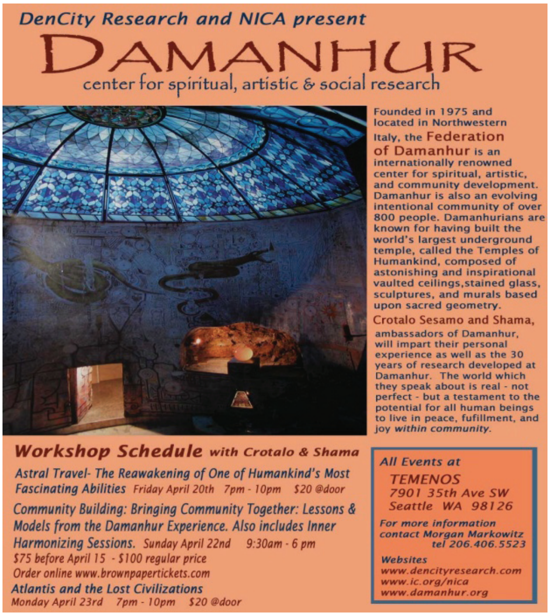

صورة لأحد الإعلانات عن مدينة «دمنهور» الإيطالية

---

(1) المرجع السابق، ص115.

(2) المرجع السابق، ص114.

الكبيرة- باسمها في أنحاء شتى من العالم لإحياء عبادة «حورس». وبرغم عدم ثبوت تورط الجماعات الصهيونية في التحريض على هذه المدن بشكل مباشر، فإن الأفكار التي تدعو إليها ويعتنقها سكان هذه المدن هي الأفكار نفسها التي يدعو إليها أصحاب الديانات الجديدة التي ليست بمنأى عن الصهيونية أو على أقل تقدير عن الجماعات اليهودية، فالبعد المعرفي الكامن في خطاب هذه المدن يتوافق مع البعد المعرفي لما يسمى اصطلاحا بـ «الديانات الجديدة».

وقد سموا هذه المدن أو المعابد جميعا باسم (دمنهور) وهي تملأ الشبكة العنكبوتية بنشر الديانة الأولى التي يعتقدون أن مدينة «دمنهور» المصرية هي مهدها. ومن أمثلة ذلك مدينة «دمنهور» في إيطاليا.

المطلب الثالث
مدينة «دمنهور» الايطالية تقديس لمدينة «دمنهور» المصرية

في سفوح «جبال الألب» في وادي «كيوزيلا» شمال مدينة «تورينو»، وبالتحديد في منطقة «بيدمونت» بنحو حوال 50 كيلو مترًا من «تورينو» يقع مجتمع ديني أفكاره خليط من كثير من المعتقدات المادية والوثنية والروحية القديمة والحديثة أسس في سنة 1975م، تحت اسم «اتحاد دمنهور» نسبة لمدينة «دمنهور» المصرية التي احتوت قديما على معبد «حورس».

وقد تأسست هذه المدينة عام 1975م على يد «أوبيرتو أيراودي» بغرض تأسيس مجتمع يحمل أفكارا لما يسمى «الوثنية الجديدة» والعصر الجديد.. هو نوع من الديانات الجديدة التي قال عنها «المسيري» (1938م: 2008م) أنها تجذب شباب اليهود لاعتناقها.

وهذا المجتمع الفريد يصفونه بوصف «الأعجوبة الثامنة للعالم» بعد «عجائب الدنيا السبع»، ويعتمدون في فلسفته على احترام البيئة كمرجعية نهائية، وكهدف أسمى، وكرؤية ترفض الرأسماليات وسطوة الآلة الحديثة (العالم المصنع)، وترفض أيضا الحياة الاستهلاكية القائمة على الرفاهية (العالم الحيوان)، وكذا ترفض السطوة الأمنية والعسكرية للديكتاتوريات العالمية (العالم المخابرات).

ولهذا المجتمع عملته الخاصة المسماة «كريديتو» والتي تزينها رسوم واسم «حورس القديم». وقد تجاوز أتباع هذا المجتمع أو هذه الديانة الألف نسمة في عام 2000م.

صورة لعملة الكريديتو الرئيسية عليها رسم الكائن «حورس» المصري

ولـ «دمنهور» مراكز في «أمريكا» و«أوروبا» و«اليابان» وقد بدأت شهرة هذا المجتمع المحافظ على البيئة في أوائل التسعينات حيث تم الكشف عن معبد تم حفرة تحت الأرض في سرية تامة ويسمى بمعبد الإنسانية.

ويمكن زيارة المعابد و كذا الإطلاع على الأنشطة على الموقع الإليكتروني: (www.damanhur.org).

صورة للمدينة من الخارج

صورة للمدينة من الداخل

وهـذا المجتمع «الثيو صوفي» ينتمي إلى ما يعرف بـ «حـركات الوثنية الجديدة»، وهي الحركات المتأثرة بالديانات القديمة، وهي غالبا حركات روحية سرية تستخدم تعاليم العادات الميتافيزيقيـة والروحانية الشرقيـة والغربية، مع تناول مقتطفات من «الباراسـيكولوجي» و«العقـل الروحاني» و«تطويـر الذات» و«فيزيـاء الكم» و«علم الفلـك القديم» الممزوج بالسـحر والتنجيم والهرمسـيات و«علم الفلك المعـاصر» و«حماية البيئـة» و«علم النفس» و« كيمياء القبالاة» و«فلسـفة الطاقـة»، علاوة على تعاليم كل الأديان السـماوية والوضعية ومنها المسيحية والإسلام والبوذية والهندوسية.. إلخ.

وهذا المجتمع يتفق مع ديانات «العصر الجديد» في ممارسات «التأمل» و«الشفاء الذاتي» و«الطـب البديل» و«مخاطبة الأرواح» و«التخاطر عن بعد» و«الفلسـفة البيئية» و«العيش البسيط» و«نمط حياة الصحة والاستدامة» و«فلسفة البيئة»، ويكون غالبا مثل هذا المجتمع مدرجا تحت ما يسمى: «حركات التسامح الديني».. لذا فلا تعجب إن ضمت مواقع التسامح الديني تقرير خاصة عن المدينة المجتمع «اتحاد دمنهور».

.. وللحصـول على المزيد من المعلومات حول ارتباطهـا بمدينة «دمنهور» المصرية يمكن زيارة الموقع العالمي للتسامح الديني:

(www.religioustolerance.org/damanhur.htm).

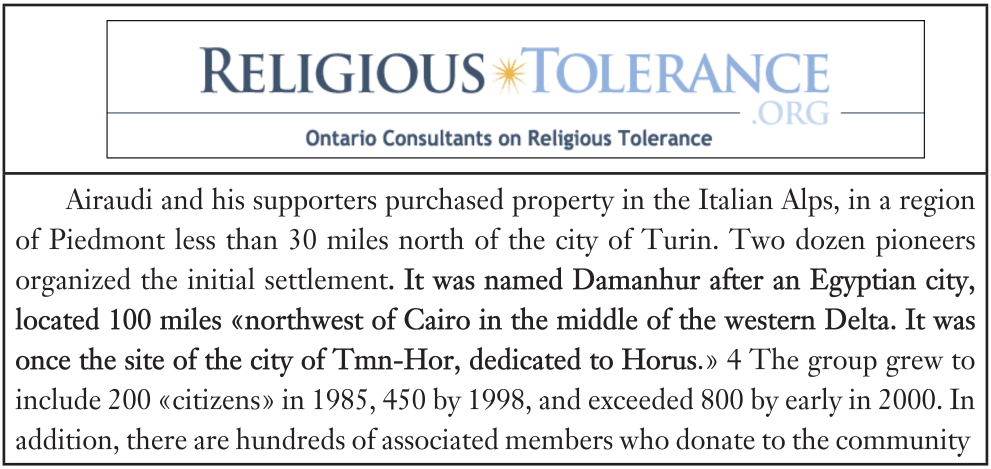

Airaudi and his supporters purchased property in the Italian Alps, in a region of Piedmont less than 30 miles north of the city of Turin. Two dozen pioneers organized the initial settlement. **It was named Damanhur after an Egyptian city, located 100 miles «northwest of Cairo in the middle of the western Delta. It was once the site of the city of Tmn-Hor, dedicated to Horus.»** 4 The group grew to include 200 «citizens» in 1985, 450 by 1998, and exceeded 800 by early in 2000. In addition, there are hundreds of associated members who donate to the community

صورة من الجزء الخاص بعلاقة «دمنهور الإيطالية» الجديدة بـ«دمنهور المصرية» القديمة

وكذا يمكن التواصل عن طريق صفحات التواصل الاجتماعي، ومنها: تويتر، على الرابط الإليكتروني: https://twitter.com/Damanhur ، وعلى اليوتيوب، على الرابط:

http://www.youtube.com/playlist?feature=c4-feed-a&list=FL8jkDrws3-JD8gJFZ9JyNLQ

DAMANHUR

صورة للوجو مواقع التواصل الاجتماعي لمدينة «دمنهور» الإيطالية

وأصحاب هذه الديانة يقدسون من مصر مدينة «دمنهور» التاريخية لكونها أقدم مدن العالم التي تحوي أول معابد البشرية (حورس القديم) الذي هو على قول من الأقوال - كما تبين سابقا- (هرمس الحكيم).

صورة لإحدى قاعات الاستشراف الروحي في المدينة توضح علاقة المدينة بـ «دمنهور الفرعونية»

وهذا ما دفع الكاتب «جيف ميريفيلد» لكتابة كتابه الأشهر (Extraordinary Italian Artistic And Spiritual Community Damanhur: The Story of the) (دمنهور: قصة الاستثناء الايطالي الفني والجماعة الروحية)، وراح يتحدث فيه عن معابدها وفنونها وأشهر

فلاسفتها الذين استقوا فلسفتهم الأولي من «دمنهور» المصرية، مدينة الآلهة العظام للحكمة والفن والثقافة. وكذا «روبرتوبنزي» في كتابه «دمنهور»: «Damanhur: Temples of Humankind (دمنهور: معابد البشرية) والذي كتب له مقدمته الفنان «أليكس جراي».

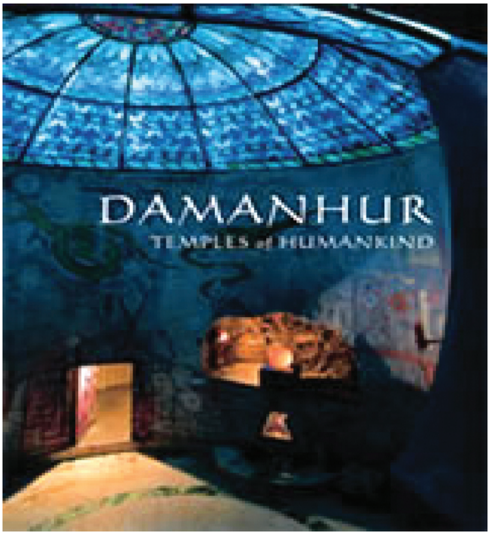

غلاف كتاب «دمنهور: معابد البشرية»

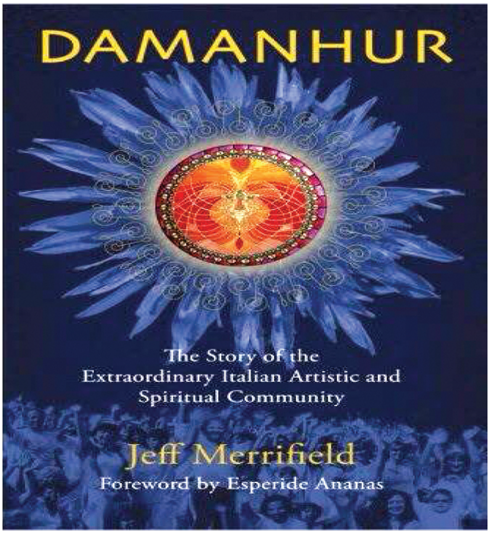

غلاف كتاب «دمنهور: قصة الاستثناء الفني والروحي"

أما عن بعض وسائل ووسائط الترويج لمجتمع «دمنهور» الروحي، فعلى سبيل المثال لا الحصر:

❑ الفيلم السينمائي الأشهر في هذا السياق «أحلام دمنهور» (Dreams Of Damanhur)، وهو فيلم سينمائي وثائقي عن مجتمع «معابد البشرية الأولى» أو «دمنهور» للتعريف بهذا المجتمع الجديد لغير المنتمين.

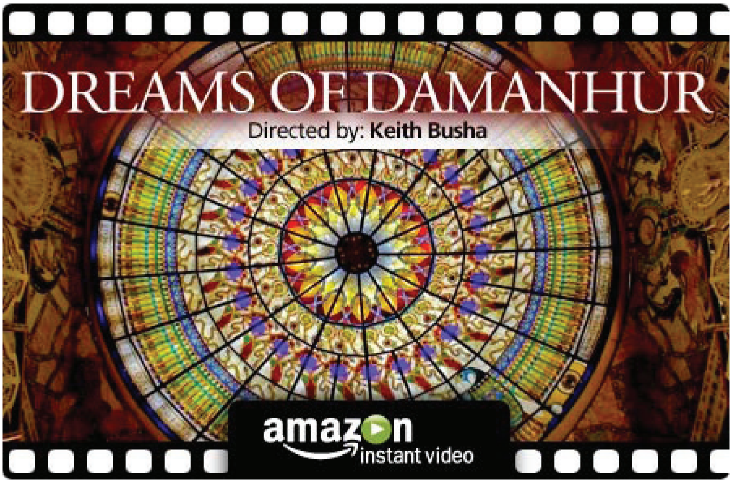

اللوجو الرسمي
لأفيش الفيلم

❐ ثـلاث كتب تأهيلية تسـمى بـــ «ثلاثية الشروع في دمنهـور» للمبتدئين، وهي من كتب مهـارات الاتصال التـي تؤهل لقبول العيش بفلسـفة مدينـة «دمنهور» التي ترفض هيمنة الماديات والرأسـمالية وكذا الأديـان، بالرجوع إلى الديانة الروحية الأولى التـي يعتقـدون أنهـا كانت سـائدة في «دمنهـور القديمـة». والكتاب الأول بعنـوان: «الموت للتعلـم» (Dying To Learn)، والثاني بعنـوان: «الولادة من أجل الحيـاة» (Reborn To Live) والثالـث: «الأبـواب القرمزيـة السـبعة» (Seven ScarletDoors)، عـن راهب يقود جيشـا صغيرا في معركة ضـد قوى الظلام. وفي الأحـداث يجاهد للتمسـك بالبقاء على قيد الحياة، مـرورا بتجارب أكثر خطورة في هـذه الحياة، خاصـة الروحية منها؛ محاولا حـل الألغاز الميتافيزيقيـة بالهروب إلى المجتمع المثالي الأول في «دمنهور».

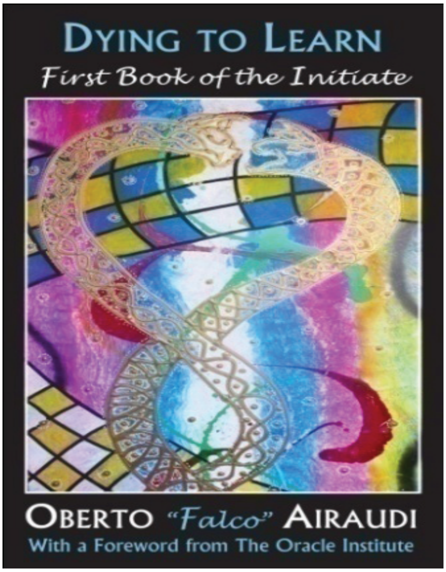

الكتاب الأول من سلسلة «الشروع في دمنهور» بعنوان: «الموت للتعلم»
(Dying To Learn)

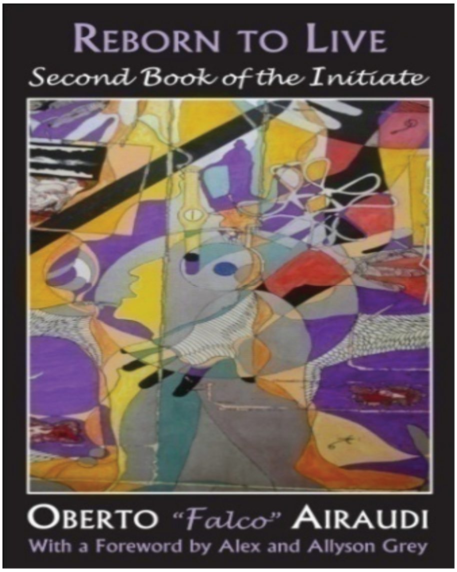

الكتاب الثاني من سلسلة «الشروع في دمنهور» بعنوان: «الولادة من أجل الحياة»
(Reborn To Live)

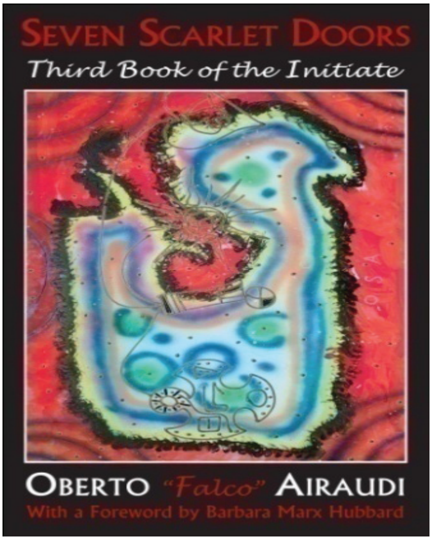

الكتاب الثالث من سلسلة «الشروع في دمنهور» بعنوان: «الأبواب القرمزية السبعة»
(Seven) ScarletDoors

❒ دليل المسافر إلى «دمنهور» (Damanhur Traveler's Guide to)، وهو كتاب تعريفي إرشادي للمبتدئين.

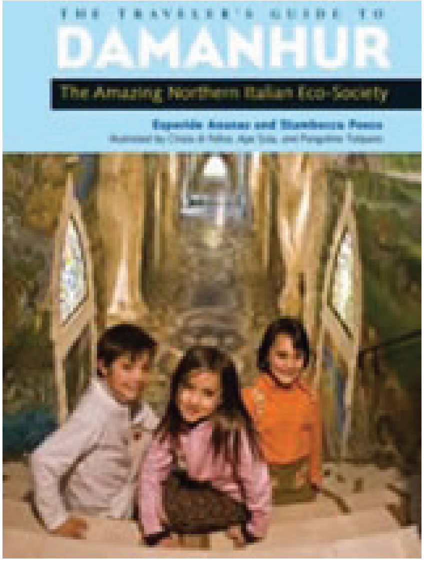

دليل المسافر إلى «دمنهور»

المبحث الثاني

نظرة اليهود في تقديس مدينة «دمنهور»

.. «وظيفة الأسطورة دائما هي التعبئة، والتعبئة مقدمة لمواجهة، والمواجهة استعداد لصراع، والصراع بعد ذلك وصفة جاهزة للحرب.. وهكذا فإن الأسطورة مسكونة غالبا بشبح مقاتل»..

(من أقوال الفيلسوف الفرنسي «روجيه جارودي» في كتابه «الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية»).

أولا: ما سر الاهتمام غير العادي لليهود بـ«دمنهور» منذ الأزل؟

و كما هو معلوم للقاصي والداني؛ حجم الهوس اليهودي الحاد بالحضارة المصرية القديمة، لذا فلن يبلغ قاصد عجبا من قول «سيجموند فرويد» (1856م: 1939م) حين قوله: «عقدة اليهود التاريخية هي الحضارة المصرية!!»[1].. فيبدو بذلك أن الجهد والعناء لن يطال أي باحث يحاول رصد الاهتمام الخاص من اليهود بصفة عامة، والصهاينة بصفة خاصة بمدينة «دمنهور» منذ الأزل.

والتبرير الضيق بتميز موقعها - لكونها في منتصف المسافة بين الشرق والغرب - (رغم صحة ذلك) لا يقدم تفسيرا لهذا. ومن مظاهر ذلك:

❑ تقدير خاص لمدينة «دمنهور» بالإشارة إلى موقعها في الخرائط الخاصة بدولة إسرائيل المحتلة، وفي الثقافة الإسرائيلية، تجد أن «دمنهور»مسموعة الذكر عندهم[2].

(1) هذه هي مصر، ص108.

(2) حدثني أحد النشطاء على البالتوك في الشبكة العنكبوتية الأستاذ «محمد طه» عن معلومة ساقها في إحدى مقالاته في جريدة (المصريون)؛ أنه تحاور مع إسرائيلي يهودي الديانة يعيش في الأرض المحتلة؛ فأخبره=

❑ الاهتمام بالتأريخ لوجود اليهود في السابق في «دمنهور» كما أثبتت «أوراق الجينزا» اليهودية[1].

❑ الحضور الفني والأدبي المتكرر لذكر مدينة «دمنهور» في كثير من الأعمال الفنية لليهود - خاصة الفلكلورية منها -، ولاسيما (المغرب العربي)؛ الذي تتواتر فيه هذه الظاهرة .. وعلى سبيل المثال لا الحصر: أنشودة فلكلورية ينشدها الفنان المغربي المعاصر «الشيخ مويزو المكناسي»، والتي يقول فيها: (وغدا نمشي نزورا.. في دمنهورا.. عند بحر التورا)[2].. وبحر التورا أي بحر التوراة كناية عندهم عن «نهر النيل»[3].

❑ اهتمام خاص بقبر «أبي حصيرة» الذي تكلم عنه «المسيري» (1938م: 2008م) في الموسوعة، ومن مظاهره «مولد أبي حصيرة» الذي يصرون على الدعوة لزيارته، وتفوح إعلانات شركات السياحة الصهيونية برابطة تربط بين زيارة مدينة التاريخ

= هذا اليهودي بتقديسهم لمدينة «دمنهور»، بل أخبره بالحرف الواحد: أنه لو قامت بين اليهود والمسلمين مقتلة عظيمة فلن يريق اليهود في دمنهور أي دماء أيا كان موقفها منهم، لأنه في شريعتهم لا ينبغي لهم ذلك(انتهى).. فتعجبت من ذلك. ولكن زال عجبي في أثناء إعدادي لبحث عن»التراث التنسكي اليهودي»؛ حين تبين لي أنه في الفكر اليهودي عند اتهامهم بجريمة»فرية الدم» (أي خطف وقتل الأطفال غير اليهود وإقامة الطقوس التعبدية الخاصة بدم القتيل) فإنهم غالبا ما يبررون ويرغون ويزبدون دون ذكر الحقائق؛ لعدم اعتنائهم بآراء الآخرين فيهم، وأنهم قلما يستميتون في نفي اتهامهم بجريمة مثل هذه بالأدلة والبراهين والحجج، والتنظير التاريخي للحدث، والدفع بالأدلة لمحاولة إثبات البراءة في ذلك؛ مثلما فعلوه مع «دمنهور المصرية». لحرصهم على إثبات براءتهم من إراقة أي دم في دمنهور؛ لعدم جواز ذلك في شريعتهم، لأنهم يعتبرونها مدينة مقدسة (انظر: تقرير عن الفرية الدموية لليهود في دمنهور المصرية) (15 سبتمبر عام 1879م (September 15, 1879) - A report on blood libels in Damanhur Egypt)، على الرابط الإليكتروني للموقع الصهيوني: http://zionism-israel.com/ hdoc/ Damanhur_Blood_Libels.htm

(1) قاسم، عبده قاسم، اليهود في مصر، دار الشروق، مصر، 1993م، ص38.

(2) انظر الأنشودة على اليوتيوب على الرابط: https://www.youtube.com/ watch?v=FtWA09hvGf8

(3) أخبرني شاعر العامية «أشرف الغرباوي» أنه أثناء إقامته في دولة المغرب الشقيق: أنه كلما زار منطقة بها يهود مغاربة، كان يكفي ليحظى بعظيم احتفاء أن يعلمهم أنه من مدينة «دمنهور».

القديم بالجنة الموعودة، وكذا: منحه الجنسية الإسرائيلية بعد 131 عاما من وفاته، مما يومئ بخطة ما تلوح في الأفق الصهيوني تكون من مفرداتها «دمنهور» المصرية[1].

صورة لدعوة زيارة «قبر «أبي حصيرة» تنشر في أوربا وأمريكا

❑ اهتمام خاص بــ «دمنهور» من مراكز الدراســات الصهيونية، وكذا المراكز المهتمة بالشئون الصهيونية مثل (مركز الدراسات الشرقية) بكل ما يخص «دمنهور» بعلاقتها سواء بــ «أبي حصيرة» بشكل خاص، وباليهود بشكل عام[2].

ynet news.com | jewish world

Rabbi Levi Brackman • Rivkah Lubitch • Rabbi Michael Graetz

News
Opinion
Realty
Money
Culture
Jewish
Travel

Israelis make pilgrimage to rabbi's tomb in Egypt

Hundreds of pilgrims flock to tomb of a 19th-century Rabbi Yaakov Abuhatzeira in Nile Delta, after Egyptian President Mubarak reportedly accepts PM Netanyahu's request to allow unlimited number of visitors

Alexandria, Egypt (archives) Photo: Einav Baracani

Published: 01.05.10, 07:39 / Israel Jewish Scene

Hundreds of Israelis came to Egypt on Sunday for an annual pilgrimage to the tomb of a 19th-century Jewish holy man in the Nile Delta, airport officials said.

Last year, Egypt denied the pilgrims entry because the anniversary fell during Israel's offensive on Gaza and there were

الصحافة الإسرائيلية تحث الصهاينة على زيارة دمنهور.

(1) مقال بعنوان: «نتنياهو يمنح أبو حصيرة الجنسية الإسرائيلية بعد 131 عاما من وفاته» بجريدة روز اليوسف اليومية، بتاريخ 1/ 8/ 2009.

(2) انظر: يوسف، سوزان السعيد، المعتقدات الشعبية حول الأضرحة اليهودية، دار عين للدراسات الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 1997م.

ثانيا: القدسية الوظيفية للأضرحة

من هو «أبو حصيرة»: هل هو يهودي أم مسلم؟.. وهنا عدة أقوال:

القول الأول: («**أبو حصيرة**» **حاخام يهودي مغربي**):

«حيث يزعم اليهود أنه حاخام يهودي من أصل مغربي يدعى «أبو يعقوب» وأنه مدفون في مقابر اليهود ضمن رفات 88 يهوديا. و بدأ اليهود في التوافد على المقبرة المزعومة منذ 1907م الذي أعلن فيه عن تلك المقبرة، وكان توافدهم من أواخر ديسمبر حتى أواخر يناير، وتوقف هذا الاحتفال بعد قيام الثورة (23يوليو1952م). وبعد توقيع اتفاقية « كامب ديفيد» عام 1978م طلب اليهود رسميا من مصر تنظيم رحلات دينية للقرية للاحتفال بـ«أبا حصيرة» والذي كان يستمر وقتها إلى أسبوعين، وقد وصلت أعداد اليهود إلى عدة آلاف. وكانت الاحتفالات عبارة عن رقص وغناء وشرب خمر وذبح بعض الخراف. ونجح اليهود في زيادة مساحة المقبرة من 350 مترا إلى 8400 متر وحولوها لما يشبه حائط براق جديد»[1].

القول الثاني: («**أبو حصيرة**» **مسلم مغربي**):

فقد «استطاع «مصطفى رسلان» محامي أحد أهالي قرية «دمتيوه» والذي قدم دعوى قضائية ليطالب بوقف تلك الاحتفالات اليهودية المشينة أن يقدم مفاجأة لهيئة المحكمة هي أن «أبا حصيرة» هو مسلم مغربي عاش في «مراكش» باسم «محمد بن يوسف الصاني»، وكان يعمل في إصلاح النعال، وأنه كان ناسكا زاهدا أتم سبع حجات إلى الكعبة وكان ينوي الذهاب إلى بيت المقدس ليصلي هناك لولا أن وافته المنية. أما كنية «أبي حصيرة» فسببها أنه لم يملك من حطام الدنيا إلا حصيرة ينام عليها. وكان الناس يعتقدون صلاحه، ولما مات استغل أحد التجار اليهود موته ودفنه في مقابر اليهود، وساعده على ذلك أن جنسية الرجل

(1) موسوعة تاريخ أقباط مصر، بقلم عزت اندراوس، على الرابط: http://www.coptichistory.org/untitled_1760.htm

كانت غامضة. بل إن هناك بعض المغاربة يؤكدون بالوثائق الثابتة أن «محمد بن يعقوب» الشهير بـ «أبي حصيرة» يمتد نسبه إلى «طارق بن زياد» فاتح الأندلس»[1].

القول الثالث: («أبو حصيرة» مسلم فلسطيني):

وهي أقوى رواية في كل الروايات عن حقيقة «أبي حصيرة» كما تقول الباحثة «عواطف سيد أحمد»[2]. وصاحب الرواية الحاج محمد أبي حصيرة (100 سنة) عميد عائلة «أبي حصيرة» في غزة، وقد صرح بأن القبر يخص جدهم الكبير، وأنهم يحتفلون بمولده كل سنة في غزة، وأنه قد زار قبر جده صغيرا في «دمنهور». ويؤكد أن «أبا حصيرة» كنية- لأنه مات في أثناء زيارته لمصر- وهو يلف نفسه بها ليحمي نفسه من الأحوال الجوية آنذاك، فلما دفنوه سموه (أبا حصيرة)، وأنه ليس له أي صلة بعائلة «أبي حصيرة» في المغرب التي تصادف التشابه فيها بين الاسم والكنية[3].

حائط قبر «أبي حصيرة»، يتخذه اليهود (حائط مبكى جديد)

(1) أبي حصيرة، مولد وصاحبه زائف، أحمد، عواطف السيد، أبي حصيرة مولد وصاحبه زائف، دار روافد، مصر، ط1، 2012م، ص82.
(2) المرجع السابق، ص80.
(3) انظر: جريدة الشرق الأوسط، عبد الله عيسى، غزة، السبت 31 يناير 2001م، العدد 8082.

ثالثا: تاريخ ظهور «أبي حصيرة» يدعو للشكوك

لم يظهر قبر «أبي حصيرة» على الخرائط المساحية لمدينة «دمنهور» إلا في عام 1910م، وقبل ذلك لم يكن له وجود في الخرائط[1]، واللافت للنظر أنه لم يأت ذكر «أبي حصيرة» في سياقات الحديث عن الموالد إلا وشابه الظن والتخمين، فمثلا «مكفرسون» الذي عاش وعمل بالحكومة المصرية في الفترة من (1901م: 1946م) في كتابه «الموالد في مصر» تكلم بصيغة المبنى للمجهول عن مولد ذو بعض الأهمية في «دمنهور»، ويذكر في ذلك أن التحريات أظهرت معلومات غامضة عنه، وكذا متناقضة. وكذلك «نيكولاس بيخمان» في كتابه «الموالد والتصوف في مصر» يتكلم عن المولد، ويذكر معه عبارات تدل على الإرسال، وتفيد الشك وعدم اليقين.. وكذا الباحثة «سوزان السعيد» في دراستها عن «المعتقدات الشعبية حول الأضرحة اليهودية» تذكر ما يوافق الرؤية اليهودية للضريح، لكنها تعترف بأن كل المصادر التي استقت منها ما كتبته عن «أبي حصيرة»، كلها مصادر إسرائيلية، ومع ذلك خلت من أي إشارة إلى علاقته بـ «دمنهور» وظروف مجيئه وحياته وموته، وعللت ذلك أن «أبا حصيرة» عند الصهاينة تحول إلى ملحمة شعبية يمتزج فيها الخيال بالواقع[2].

وربما يكون القول الفصل عند الباحثة «عواطف سيد أحمد» التي ناقشت روايات كثير من الباحثين، وجمعت كثيرًا من الروايات الميدانية، ثم قالت: «إن ما تم جمعه من روايات تشير إلى زعميته أكثر من حقيقته، والروايات القليلة التي تسمح بقبول الزعم غير موثقة»[3].. ثم تلخص الأمر على مستوى القبول الشعبي من أهل المنطقة للأسطورة فتقول: ليس بالضرورة أنه أسفل كل قبة شيخ باستخدام المثل الشعبي (فاكر تحت القبة شيخ)، وتناجي الأمر بالمأثور الشعبي الآخر فتقول: «فيا «أبا حصيرة» (إحنا دافنينه سوا)، والذي لم تكشف عنه الوثائق، قد تكشفه علاقتنا بالمكان»[4].

(1) أبي حصيرة، مولد وصاحبه زائف، مرجع سابق، ص83.

(2) المرجع السابق، ص54: 58، بتصرف واختصار.

(3) المرجع السابق، ص71.

(4) المرجع السابق.

رابعا: مكانة الأسطورة والخرافة في نسق التدين اليهودي

وهنـا مكمن الداء، ذلك أنه في عقائد اليهود يؤمنون بالأسـطورة وبالروايات الشـعبية. والرواية الشـعبية جزء لا يتجزأ مـن العقيدة الصهيونية، وبها يعتقدون. كما أنهم يقدسـون تاريخهـم، ويعتبرون آراء الحاخامات ورغباتهم مقدسـة لأنهم وُضع فيهـم السر الإلهي، فأي اختلاق أو تخيل أو أمنية لحاخام هي حقائق مقدسة وجب إتباعها.

لـذا «يؤكـد الحاخامات عـلى أن الـرب اختارهم وأقام العهـد معهم، فلم تعد القداسـة مقصورة على أوامر الرب ونواهيه، وإنما يتمثل في نتاج الحاخامات التشريعي والقصصي»[1]. وعن أثر الأسطورة على الوجدان الشعبي اليهودي يقول «د. حسن ظاظا» (1919م: 1999م): «وقـد تكون الأسـطورة التي يؤمن بها فئـة من الناس أعمق أثرا من الوثيقـة التاريخية، وقد تكون البدعة التي اختلطت بالدين، أقوى عندهم من الدين نفسـه، وقد تكون حادثة قديمة عندهـم أضخم بكثير من الحادثة نفسـها»[2]. وفي هذا يقول «جنزبـرج» (1873م: 1953م): «لقد كان اليهود أعظم نقلة للفولكلور»[3]

فالصهاينة لا يهمهم توثيق الروايات، ولا كونها حقيقة أو خيالًا أو حتى افتراء، المهم أنه تم تبني الرواية من الحاخامات وانتقلت إلى الوجدان الشعبي، هنا تصبح عندهم عقيدة.

و بتطبيق ذلك على قضية قبر «أبي حصيرة»، تجد أن الصهاينة ينسبون إليهم «أبا حصيرة» سـواء كان يهوديا أو مسـلما أو حتى بلا ديانة، فمجرد دخوله في أساطيرهم، ولو عن طريق الوهم يعتبرونه في شرعتهم الشاذة منتميا إليهم .

---

(1) نبي الله إدريس بين المصرية القديمة واليهودية والإسلام، ص36.

(2) ظاظا، حسن، الشخصية الإسرائيلية، دار القلم، دمشق، ط1، 1999م، ص12، 13.

(3) جنزبرج، لويس، قصص اليهود، ترجمة: جمال الرفاعي، المجلس الأعلى للثقافة، عدد 465، القاهرة، 2002م، والكلام من مقدمة محمد حسن خليفة، ص40.

قبر «أبي حصيرة» على هضبة عالية لإدعاء القدسية

خامسا: «أبو حصيرة» نموذج للضريح المصطنع

في مسألة «أبي حصيرة» تلك تتعاظم الأسطورة، ويتقازم التفكير العلمي، وتعلو العواطف، وتهبط العقلانية، لأن ضريح أبي حصيرة هو مثال لحالة نموذجية في محاولة توظيف المكان لأغراض استيطانية، إذ يتجسد فيه قول «هوبسياوم»: «أن التراث يمكن أن يصنع أو يخترع»[1]، وهو مثل قول «جلنر» (1925م: 1995م) حين قال: «إن فكرة «الولي» صناعة محلية».. ذلك أن الذهنية الشعبية بلورت هذا التصور في المثل القائل: (فاكر تحت القبة شيخ) و(إحنا دافنينه سوا)[2]. ففيه تجلت رغبة الصهاينة الدفينة في تلفيق وهم يبدو كواقع للسيطرة على مكان ما؛ بغرض استهدافه استيطانيا، بخلق قداسة مصطنعة على هذا المكان، عن طريق ضريح الولي الذي يحقق لمريديه مآربهم من الأمان والحماية.

وهذا القبر أو قل الضريح يحقق عدة أغراض كلها تنصب على مخاطبة العقل الجمعي

(1) هوبسياوم، إيريك، وتيرنس ريجر، اختراع التقاليد، ترجمة: مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 2004م، ص12.
(2) أبي حصيرة مولد وصاحبه زائف، ص9، باختصار.

سواء المصري أو اليهودي أو العالمي من منطقة كهنوتية تستدعي حرمة الأموات، لمغازلة الوجدان الشعبي بالعاطفة لا بالعقل.

«فقد يصطنع الوجدان الجمعي وليا هو في الحقيقة كائن من الكائنات كالأشجار والحيوانات وغيرها.. مثل «مقام الشيخ هريدي» بـ «طهطا» في محافظة «سوهاج»، الذي يأتي ذكره في أدبيات التاريخ على أنه أشهر الثعابين المصرية على الإطلاق.. الذي رفعته سذاجة العامة، واحتيال المشايخ إلى مرتبة «ولي» من الدرجة الثانية»[1]. وضريح هذا الثعبان الواقع في سفح الجبل عال مرتفع، يؤدي دورا وظيفيا بطعم الكهنوتية المقدسة في كونه في مكان مرتفع؛ فكأنما هو واسطة بين السماء والأرض[2]. وهو يتشابه في ذلك مع ضريح «أبي حصيرة»، الذي اصطنع على تبة مرتفعة للغرض نفسه، ويتشابه «أبو حصيرة» مع «الثعبان هريدي» أيضا في العلاقة بين الضريح ومن اصطنعه، فكما يقولون: **(ضريح مصطنع، ومريد مبتهج بما اصطنع).**

فالصهاينة يعتنقون مقولة فلكلورية تقول: «العالم لا يعترف إلا بمن يحسن التعريف بنفسه، و يلتمس إلى ذلك كل السبل»[3]. لذا يقرر «روجيه جارودي» (1913م: 2012م) في كتابه الشهير «الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية» أن اليهود هم أبرع الناس في اختلاق جذورهم في كل أرض يطئونها، مكرسين لهذا الوجود باختراع التراث الذي بدوره يؤصل هويتهم، واختلاق الأساطير المؤسسة لدولتهم المزعومة، فكما يقول: «وظيفة الأسطورة دائما هي التعبئة، والتعبئة مقدمة لمواجهة، والمواجهة استعداد لصراع، والصراع بعد ذلك وصفة جاهزة للحرب. وهكذا فإن الأسطورة مسكونة غالبا بشبح مقاتل. والشبح المقاتل له في بعض الظروف قدرة على القتل أكبر من قوة فارس على القتال»[4].

(1) المرجع السابق، ص23،22، باختصار.
(2) إلياد، مرسيا، المقدس والمدنس، ترجمة: عبد الهادي عباس المحامي، دار دمشق، ط1، 1998م، ص39.
(3) مرسي، أحمد علي، وفاروق جودي، الفولكلور والإسرائيليات، دار المعارف، مصر، 1977م، ص10.
(4) جارودي، روجيه،الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية، ترجمة: محمد هشام، تقديم: محمد حسنين هيكل، دار الشروق، مصر، ط4، ص5.

وهـذه الروايات للماضي سـواء اتفق على تسـميتها (أسـطورة أو تاريخا) ليسـت نتيجة الذاكرة الجماعية، ولكنها نتاج مجموعات معينة من الناس في المجتمع»[1].

ولعل إسرائيل أدركت هذه القيمة الوظيفية للأضرحة فراحت ترسـم سياسات رسمية تعتمد على الفهم التوراتي تسـعى إلى التكريس لقدسـية الأمكنة لتحقق أهدافها الاستيطانية، وخلق مرجعية جديدة لها معبرة عن أيدلوجيتها الصهيونية»[2].

والسؤال الذي يفرض نفسه: إن كانت هذه هي عقيدتهم في تقديس الأساطير والحكايات الشعبية التي لا يؤمن بها الآخر، لماذا يفرضون هذه المعتقدات على شعب آخر لا يؤمن إلا بما وثق وثبت؟.. بمعنى: ما ذنب الآخر أن ينتمي لأسـاطير قد تكـون مختلقة؟، وتطالبهم بتبنيها وتحمل تبعاتها عنتا وتعسـفا وقسرًا عن غير موافقة لما تقتضيـه أصول معتقداتهم.. والإجابة على ذلك تقتضي فهم طبيعة إيمانهم بأسطورة «شعب الله المختار»، بتوابعها ومقتضياتها.

وقـد تنبه القضاء الإداري المصري لهذه المصيدة حين قضى برفض دعوى (مجلس الطائفة اليهودية بالقاهرة)؛ والتي طالب فيها بوقف إنشـاء الطريـق الدائري الجديد حول القاهرة، والذي سيتعارض - كما تنص الدعوى - مع بعض اللحود الخاصة بمقابر اليهود في تلك المنطقة، وتستند هذه الدعوى إلى نزع ملكية المقابر لا يتماشى مع عقيدتهم[3]. وقد علق «عرفة عبده علي» على تلك الدعوى: «أنها في جوهرها «إعلان سـياسي» بتفوقهم على سائر البشر، وإعلاء لعقائدهم وتقاليدهم فوق عقائد كل أهل الأراضي»[4].

وهذا يلخص طريقة تعاملهم مع الشعوب الأخرى، فالمطلق ما يرونه مطلقا، ولا تفاوض عليـه. ولا يعامل الآخر بالمثل، بـل على الآخر أن يتعامل مع تصورهم للدين والكون والحياة والإنسان على أنه مقدس لا يقبل حتى النقاش في مسألة التعايش مع الآخر.

---

(1) وايثلام، كيث، اختلاق إسرائيل القديمة إسكات التاريخ الفلسطيني، ترجمة: سحر هنيدي، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، عدد249، 1999م، ص58.

(2) أبي حصيرة، مولد وصاحبه زائف، ص51.

(3) علي، عرفة عبده، ملف اليهود في مصر الحديثة، مكتبة مدبولي، مصر، ط1، 2001م، ص190.

(4) المرجع السابق.

صهيوني يقرأ التلمود في ساح «أبي حصيرة»

سادسا: لماذا «أبو حصيرة»، ولماذا «دمنهور» بالذات

فالملاحظ فيما سبق: أن مدينة «دمنهور» عند الصهاينة تحظى باهتمام وتركيز خاص على تطويعها لنسق التدين اليهودي. وكما يؤكد «كيث وايتلام» في كتابه (اختلاق إسرائيل، إسكات التاريخ الفلسطيني) على حقيقة مهمة تفسر لنا الاهتمام غير العادي بقبر «أبي حصيرة» بـ«دمنهور» بالذات؛ وهي: «الفكرة الجوهرية التي تركز عليها الدراسات التوراتية هي اعتبار مملكة إسرائيل القديمة حقيقة تاريخية لا جدال فيها. ومن ثم التأكيد على وجود استمرارية تاريخية.. حيث توظف أحداث التاريخ القديم في خدمة الأطماع السياسية الصهيونية المعاصرة»[1] ثم يؤكد على مفهوم المخالفة لذلك أنهم يسعون في المقابل إلى طمس أي مفهوم مماثل لأي استمرارية لتاريخ الغير بين الماضي والحاضر[2]. وهم يتمتعون بقدرة على سرد الروايات التي من شأنها أن تكرس لمصالحهم وتحقق إستراتيجيتهم الاستيطانية، أو إعاقة سرد روايات أخرى تتعارض مع مخططهم ومنعها من التشكل والظهور[3].

(1) اختلاق إسرائيل القديمة، مرجع سابق، ص58، باختصار.
(2) المرجع السابق.
(3) أبي حصيرة، مولد وصاحبه زائف، ص50.

و«دمنهور» مستهدفة في ذلك لأن استمراريتها التاريخية خارج النسق اليهودي، فطمس استمراريتها واجب عندهم في عقائدهم حتى يبرروا أسطورة الشعب المختار، بإثبات أنه حتى «دمنهور» القديمة بل والأقدم منهم لهم فيها جذور.

والمهتمون بعلاقة المكان بالأشخاص يرون في هذا الضريح بالنسبة لأهالي المنطقة أنه صورة من صور الاغتصاب وسلب الإرادة، والإجبار على شيء فرض عليهم ليجبرهم على قداسة ما لمكانه بطعم القهر لمقاصد سياسية لا روحية فيها[1]. فقبر «أبي حصيرة» في «دمنهور» في جوهره (إعلان هيمنة سياسية بطعم الغصب والإجبار) على مدينة يعتقد اليهود أنها تمثل لهم شيئا ما. لأن «دمنهور» و«دمشق» المدينتان الوحيدتان في العالم اللتان تستطيعان هدم قداسة «معجزة البقاء اليهودي» بأسلحة معرفية تخضع لسليم المعقول وصحيح المنقول. فنجاح الصهاينة في إخضاع مدينة ديانة البشرية الأولى التي تسبق عصر التوراة لأساطيرهم المقدسة؛ هو نجاح لإجبار المدينة على دخول جحر الضب الذي يراد لها، لتعترف بتحكم النسق اليهودي للتدين عليها، بذا تحقق ما يريدون؛ إذ أن هذا (هو المطلوب إثباته).

.. وعليه فإن زرع الضريح المصطنع، هو زرع لهوية مصطنعة، تضرب بجذور وهمية، وتنشئ ذاكرة وماضيا مصطنعا.

سابعا: رؤية «المسيري» لقضية «أبي حصيرة»

و«د. عبد الوهاب المسيري» (1938م: 2008م) لم يدخل نفق تحكم النسق الصهيوني في المسألة المعرفية فلم يناقش كونه مسلما أم يهوديا، وإنما ناقش الأمر بمنطق كونه يهودي، بل وكونه رمزا من الرموز الدينية أيضا لعلمه بطبيعة علاقتهم بالأسطورة؛ لكنه قيض أركان فكرتهم الأساسية عن طريق مقارنة استخدم فيها «دمنهور» و«الدماهرة». وتهدف هذه المقارنة لدحض جذر المشكلة، التي تتمثل في اعتقادهم في قدسية تاريخهم، و«معجزة البقاء اليهودي».

---

(1) انظر: راغب غلسا، ومجموعة مؤلفين، الرواية العربية، واقع وآفاق، دار ابن رشد للطباعة والنشر، مصر، ط1، 1981م، ص226..

فيقـول في الجزء الخامـس من الموسـوعة: «هو يعقوب (الثـاني) ابن مسـعود. من علماء القبَّـالاه، ولـه عدة مؤلفات عـن التوراة والقبَّالاه نُـشرت كلها في القدس. سـافر من المغرب إلى فلسـطين، وفي الطريـق، نـزل «دمنهور» حيث عمل إسـكافياً، وبـدأت علاقته تتوطد مع اليهـود المقيمـين فيها وجمعته صداقة حميمـة بأحد التجار من أعضاء الجماعـة اليهودية. وبعد وفاتـه، صرح صديقـه بأن ابن مسـعود توقَّع موته قبـل أن يموت بأيام، وهو مـا أحاط موته بهالة أسطورية. ويُقال أيضاً إن أحد أصدقائه أراد نقل جثمانه إلى «الإسكندرية»، وأثناء نقل الجثـة هطلت الأمطار بشـدة، ففُسِّر هذا بأنه تعبير عن رغبتـه في أن يظل مدفوناً بقرية ديمتوه القريبة من «دمنهور». ويُقال إنه سُمِّي «أبو حصيرة» لأنه أثناء سفره بحراً إلى سوريا تحطمت السـفينة التي كانت تقله وهوت إلى القاع ومات كل من عليها إلا يعقوب الذي اسـتطاع أن يطفو فوق حصيرة على سـطح الماء حتى وصل إلى سـوريا. ومن الواضح أن هذا تفسير شعبي أسـطوري لأن اسـم الأسرة يعود إلى القرن السـادس عشر الميلادي. وهو من كلمة «حصير» العبريـة وهـي من كلمة «حضرة» أو بلاط الملك. و«حصـيرة» على هذا تدل على أنه كان من عائلة مُقرَّبة من السـلطان بالمغرب. وقد بـنى اليهود له ضريحاً في قرية ديمتوه وكانوا يذهبون إليه للتبرك به، واتخذوا من مقبرته ما يشـبه حائطاً جديداً للمبكى حيث يُقام الاحتفال بمولده كل عام. وبعد توقيع اتفاقيات كامب ديفيد، سـمحت الحكومة المصرية للإسرائيليين بزيارة المقبرة، ويـأتي لها مئات القاصدين من أنحاء العالم، وبالذات إسرائيل. وقد هاجرت أسرة أبي حصيرة من المغرب إلى إسرائيل، ومن بين أفرادها كبير حاخامات الرملة وأحد الوزراء وهو «أهارون أبو حصيرة» مؤسس حزب «تامي» الذي يعبِّر عن مصالح اليهود المغاربة»[1].

.. لكـن «المسـيري» يدحض أصول المعتقدات الصهيونية بمناقشـة ادعاءاتهم التي تهدف لتحكم نسـقهم القائم على الأسـاطير والظنون وآمـال الحاخامات. ومنها مـا عالجه في الجزء الثاني للموسـوعة، مثل: (إشـكالية الجوهر اليهودي)، و(إشـكالية الوحدة اليهودية والنفوذ اليهـودي)، و(إشـكالية العبقريـة والجريمـة اليهوديـة)، و(إشـكالية العزلـة والخصوصية اليهودية)، و(إحساس اليهودي الدائم بالنفي الأزلي)، و(إشكالية الهوية اليهودية)، و(مسألة الحدودية والهامشـية)، و(إشـكالية معـاداة اليهود). وكـذا ما عالجه في الجـزء الرابع، مثل:

(1) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ج5، ص283، 282.

(إشكالية التاريخ اليهودي) المتفرع عنها (التاريخ المقدس أو التوراتي)، و(الرؤى اليهودية للتاريخ)، و(الرؤية الصهيونية للتاريخ)، و(المصير اليهودي- الوحدة والتشابك)، و(القدر اليهودي)، و(الاستمرار اليهودي)، و(البقاء اليهودي)، و(التمركز اليهودي)، و(التأريخ من خلال الكوارث)، و(احتكار الضحية).. إلخ.

ثم يستخدم «دمنهور» بالذات ليدحض معجزتهم في البقاء المترتب عليها أساطير كثيرة منها أسطورة (شعب الله المختار).

فيقوم بمقارنته الذكية في الجزء الرابع من الموسوعة بين علاقة كل من اليهود والدماهرة بالتاريخ لدحض زعم اليهود بمعجزة البقاء اليهودي. ففي إطار فخر اليهود ببقاء اليهود واليهودية عبر الأزمان، وإلى الآن؛ يشرح «المسيري» جمود اليهود واليهودية على تدين لا وجود له، ويثبت لهم احتفاظهم بالشكل، وينفي عنهم تمسكهم بالمضمون، ويقارنهم بتدين الدماهرة الذين هم أقدم تاريخيا من اليهود، حيث نفى عن أهل «دمنهور» الجمود على شكل انتمائهم لـ «حورس» القديم، وأثبت لهم دورانهم مع الحق المتجدد في ثباتهم على مضمون التوحيد لله عبر الأزمان؛ فبقاء «دمنهور» حجة لدحض زعم اليهود بمعجزة البقاء؛ حيث يقول: «إن ما حدث ليس معجزة بقاء وإنما هو استمرار وجمود لدال (اليهود واليهودية) مع تَغيُّر وتبعثر في المدلولات. فكلمة «يهودية» التي كانت تشير إلى نسق ديني يتسم بحد أدنى من الوحدة أصبحت تشير إلى عدد هائل من الحركات الدينية التي لا يربطها رابط. وكذلك فإن مصطلح «يهودي» أصبح يشير إلى مجموعات غير متجانسة من البشر. إن بقاء اليهود بهذا المعنى لا يختلف مثلاً عن بقاء الدماهرة (أهل دمنهور)، وهي مدينة مصرية في دلتا النيل استمرت منذ بداية التاريخ البشري تحمل نفس الاسم وتوجد في نفس المكان، ومع هذا لا توجد علاقة كبيرة بين الدمنهوري العربي المسلم المعاصر والدمنهوري الذي عاش في نفس المدينة منذ آلاف السنين في المدينة التي سُمِّيت باسم الإله حوريس التي يُقال إنه وُلد فيها أو بالقرب منها وسمِّيت باسمه، فكلمة «دمن» معناها «مدينة»، وكلمة «هور» من كلمة «حوريس»، فهي إذن مدينة الإله حوريس الذي لا يعرف أهل «دمنهور» عنه شيئاً!»[1].

(1) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ج4، ص37، 38.

.. وعليه فإن هذا يدحض ما سوف يدعيه اليهود في يوم من الأيام - وسيأتي قريبا كعهدنا بهم - من وجود حقوقا تاريخية في «دمنهور» عن طريق أكذوبة «أبي حصيرة». فتاريخيا آخر بلد يفكر اليهود أن لهم فيها حقوقًا تاريخية هي «دمنهور»، لأنها بالمنطقة نفسها لها من الحقوق التاريخية على الكون كله؛ فهرمس الحكيم الذي سميت مدينة «دمنهور» باسمه «هرموبوليس بارفا» معروف فضله الحضاري على كل الثقافات والديانات في الكون كله؛ بما فيها الرؤية اليهودية، خاصة في التراث التنسكي اليهودي (كما سبق بيانه).

ثامنا: «دمنهور» تمثل إشكالية عقائدية خطيرة عند اليهود

والسر الذي يكمن في أن «دمنهور» تمثل إشكالية عقائدية لليهود، هو في الاعتبار الآتي:

دمنهور و«الأشمونين» مدينتا «هرمس» مؤسس الحضارة الإنسانية الذي يصر اليهود على نسبته إليهم[1]. و«دمنهور» تتميز عن «الأشمونين»؛ حيث لم تدفنها الرمال، والحياة مستمرة فيها بلا انقطاع، فبالتالي تتمتع بخاصية «الاستمرارية» التي تجعلها الشاهد الثقافي

(1) النسق المعرفي اليهودي نسق استعلائي لا يعترف لأي أحد بفضل تأثير عليه، لأنه يعتبر الكتاب المقدس مرجعية نهائية. وبرغم كون «هرمس» (أخنوخ أو إدريس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) ليس من أنبياء التوراة؛ فإنه يحظى عندهم بمكانة قل أن يحوزها عندهم نبي، فالتوراة - المحرفة - لا تقدر الأنبياء بل ترميهم زورا بأفظع البهتان. وذلك بسبب أهميته في تأسيس الحضارة الإنسانية؛ التي يدعون - زورا - أنهم مؤسسيها؛ برغم أن «هرمس» يسبق نزول التوراة بآلاف السنين. وحتى يتجنبوا هذا الخلط ادعوا أنه ملاك، بل رئيس للملائكة - حسبما زعموا - في كتابتهم (انظر: نبي الله إدريس بين المصرية القديمة واليهودية والإسلام، ص12). للتأكيد على رؤيتهم الاستعلائية على باقي الأمم؛ هذا بالنسبة لأخنوخ أو إدريس. أما بالنسبة لهرمس أو تحوت أو طوط فلابد من رؤية مغايرة لأنهم لو نسبوه إليهم وهم متأخرون عنه تاريخيا وهو مرتبط بحضارة توحيدية أخرى (المصرية القديمة)؛ لبطل السحر وانكشفت الألعوبة. فالحل إذن إما أن يتجاهلوه؛ وهذا أمر مستحيل لعظم دوره الحضاري، الذي يحرصون على نسبته إليهم، وإما أن ينسبوه إلى أحد أنبياء التوراة زورا . وهو ما حدث بالفعل حيث نسبوه إلى أهم أنبياء التوراة (سيدنا «موسى» عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ)، وقالوا أن النبي «موسى» هو «هرمس طوط») راجع: نقد العقل العربي، وبالتالي تم ضم هذا التصور داخل نسيج الفكر الغربي، وخاصة في عصر النهضة، وهذا ما يؤكد عليه المسيري في الموسوعة حين يقول: «كان الظن السائد في عصر النهضة أن «موسى» و«هرمس» هما شخص واحد أو أن أحدهما تعلم من الآخر» (موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ج5، ص298).

على كل التطورات الحضارية في العالم. علاوة على أن «دمنهور» بهذه الخاصية أقدم من الديانة اليهودية ذاتها. وهذا يقدح في مجموعة من الأفكار الأساسية التي تقوم عليها أركان الفكر الصهيوني، مثل:

أ. فكرة «معجزة البقاء اليهودي»:

وهي الفكرة التي يزعم فيها اليهود بمعجزة بقاء اليهود واليهودية عبر الأزمان، وإلى الآن، وقد رد «المسيري» على هذه المعجزة الوهمية بقوله: «إن بقاء اليهود بهذا المعنى لا يختلف مثلاً عن بقاء الدماهرة (أهل دمنهور)، وهي مدينة مصرية في دلتا النيل استمرت منذ بداية التاريخ البشري تحمل نفس الاسم وتوجد في نفس المكان، ومع هذا لا توجد علاقة كبيرة بين الدمنهوري العربي المسلم المعاصر والدمنهوري الذي عاش في نفس المدينة منذ آلاف السنين في المدينة التي سُمِّيت باسم الإله حوريس التي يُقال إنه وُلد فيها أو بالقرب منها وسمِّيت باسمه، فكلمة «دمن» معناها «مدينة»، وكلمة «هور» من كلمة «حوريس»، فهي إذن مدينة الإله حوريس الذي لا يعرف أهل «دمنهور» عنه شيئاً!»[1].

ب. فكرة «شعب الله المختار»:

وهي الفكرة القائمة على زعم الفكرة السابقة «معجزة البقاء اليهودي» التي تؤدي لاعتناق مقولة أن اليهود هم «شعب الله المختار».

ج. فكرة «الحقوق التاريخية»:

وهي الفكرة التي تترس بالزمن الماضي في ادعاء حقوق تاريخية لليهود في المنطقة لأنهم بذا يستشهدون بالماضي المتحفي الذي ليس له وجود في الوقت الحاضر، فكما يقول «المسيري»: «فالوجود التاريخي لليهود في فلسطين هو جزء من تاريخ متحفي ميت، طويت صفحته مع وصول الأشوريين ثم البابليين ثم اليونانيين فالرومان فالبيزنطيين (الروم)، وأخيرا الفتح الإسلامي. والتاريخ الإسلامي هو وحده التاريخ الحي الممتد من الماضي إلى الحاضر، فهو

(1) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ج4، ص37، 38.

تاريخ الجماعة البشرية التي تقطن فلسطين في الوقت الحاضر، أما التاريخ اليهودي أو اليوناني فهي تواريخ ليس لها امتداد في الوقت الحاضر، ومن ثم تحولت إلى تواريخ متحفية»[1]. وعند الاستشهاد بهذا الماضي المتحفي ستشكل مدينة «دمنهور» عقبة كئودا في مثل هذا الادعاء؛ لأن ماضي «دمنهور» المتحفي يطاول السحاب أمام الماضي اليهودي نفسه.

د. فكرة «الاستمرار اليهودي»:

الذي تعطي القداسة لما يسمى «التاريخ اليهودي» المقدس، لأنه كما يقول «المسيري»: «الاستمرار اليهودي يعطي حقوقا مطلقة مستمرة لا تنقطع ويسقط الحقوق القائمة للآخرين. فباسم هذا الاستمرار يدعي الصهاينة لأنفسهم شرعية احتلال فلسطين وطرد أهلها، لأن الدولة اليهودية حسب رؤيتهم هي وريثة الدويلات اليهودية التي قامت منذ آلاف السنين»[2].. وهذا الاستمرار لا تنافس فيه «دمنهور» مع اليهود وفقط، بل تتفوق عليهم لأن استمراريتها أقدم من الديانة اليهودية نفسها. لذا يؤكد « كيث وايتلام» على: «الفكرة الجوهرية التي تركز عليها الدراسات التوراتية هي اعتبار مملكة إسرائيل القديمة حقيقة تاريخية لا جدال فيها. ومن ثم التأكيد على وجود استمرارية تاريخية.. حيث توظف أحداث التاريخ القديم في خدمة الأطماع السياسية الصهيونية المعاصرة»[3]، ثم يؤكد على مفهوم المخالفة لذلك أنهم يسعون في المقابل إلى طمس أي مفهوم مماثل لأي استمرارية لتاريخ الغير بين الماضي والحاضر[4].

هـ فكرة «التاريخ اليهودي المقدس»:

ولبيان هذا لابد من التفرقة بين تدين اليهود (تاريخ اليهود)، وتدين المسلمين (تاريخ المسلمين): لأن التدين في الرؤية الإسلامية عبارة عن نسخة اجتهادية من الدين، إما على صواب، وإما على خطأ؛ حيث لا معجزة للمسلمين في البقاء، بل إن البقاء للدين الذي كفل الله له الحفظ بخاصية «التجديد الإسلامي» التي هي مقابل للاستخلاف في الأرض كما يقول

---

(1) المسيري، عبد الوهاب، في الخطاب والمصطلح الصهيوني، دار الشروق، مصر، ط2، 2005م، ص185.

(2) المرجع السابق.

(3) اختلاق إسرائيل القديمة، ص58، باختصار.

(4) المرجع السابق.

«د. محمد أحمد المسير» (1948م: 2008م) «فالاستخلاف في الأرض هو تعبير عن التجديد الديني الذي يعود بالقيم بعد اندثار، ويعلو بها بعد هبوط، ويتقدم بها بعد تقهقر، وينشرها بعد تقلص.. وهذا هو الإصلاح الحقيقي»(1). وهذا التجديد سنة من سنن الله كان يتم منذ «آدم» عَلَيْهِ السَّلَامُ بالأنبياء حتى خاتمهم ﷺ. يقول الإمام شلتوت (1769م: 1821م): «**جاء الإسلام هكذا مجددا لدين «إبراهيم»، وهو الدين عند الله، ولقد قدر الله سبحانه وتعالى لدينه وأصلح ما أفسد القوم فيه، ورده على عهده الأول، عهد «إبراهيم» و«إسماعيل»**»(2). وهذا ما تؤكده فكرة اللبنة في قول الرسول ﷺ: «**فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين**» [رواه مسلم والإمام أحمد]. ثم صار التجديد بعد خاتمية النبوة منوطا بأفراد الأمة جميعا أي (بالإنسان). كما ورد في حديث رسول الله ﷺ صراحة؛ حيث يقول في الحديث الصحيح: «**إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها**» [رواه أبو داود]. فتدين المسلمين متجدد دائما على أصل ثابت راسخ، وتدين اليهود راكد دائما على أصل فان مبدل. «فالتجديد هو قانون الحياة الأبدي، لأنه لازمة من لوازم سنة التداول الحضاري المطردة في البشر»(3).. و«المسيري» يعبر عن ذلك قائلا: «التغيير في العالم الشرقي يأخذ شكل الاستمرار أو العودة إلى ما مضى. ويتضح هذا مثلا في الإسلام، فالرسول ﷺ ومن خلال نظرة انثروبولوجية، بصرف النظر عن الإيمان من عدمه، لم يتحدث عن الانقطاع بل عن الاستمرار على خط النبي «إبراهيم» عَلَيْهِ السَّلَامُ ومن تلاه على أساس «التوحيد»(4).. ووفقا للرؤية الإسلامية فإن «دمنهور» التي هي أقدم المدن، وأكثرها استمرارية، وبدايتها توحيدية، وأكثرها خبرة تدينية مما مر عليها من أنساق مختلفة (توحيدية ووثنية) تختزل خبرتها التدينية بانتهائها للرؤية الإسلامية التي يبعث الله كل فترة من يجددها ويعيدها إلى صفائها الأول. ولا يؤمن

(1) المسير، محمد أحمد، التجديد الديني بين الوهم والحقيقة، كتاب المؤتمر الدولي السادس للفلسفة، كلية دار العلوم، مصر، 2001م، ص141.

(2) الإسلام عقيدة وشريعة، ص114، 115، بتصرف .

(3) برغوث، الطيب، مدخل إلى سنن الصيرورة الاستخلافية على ضوء نظرية التدافع والتجديد، مركز الراية للتنمية الفكرية، سوريا، ط1، 2006م، ص165.

(4) حوارات، مرجع سابق، ج3، ص153.

أهلها بمعجزة بقاء[1]. فإله المسلمين لم يحل في تاريخهم كما يعتقد اليهود بأن إلههم قد حل في تاريخهم، الذي يعدونه مقدسا. وهي بذا تترس بالماضي الحي الممتد من الماضي إلى الحاضر، وليس الماضي المتحفي كما اليهود واليونان.. وبهذا تتشكل هويتها داخليا بشكل تراكمي، تنبع من الذات الحضارية، وتنتج نماذج مختلفة نابعة من هذه الهوية توليدا لا نمطا واحدا سوى في الرؤية الكلية (المرجعية العليا) التي ضمن الله لها الحفظ بفكرة «التجديد»، تسعى لإعمار الأرض استخلافا. لأن الهوية عند «المسيري» ليست فلكلورا بل رؤية فلسفية للإنسان تنبع من ذاته لا يمكن للإنسان أن يبدع من دونها[2]. مما ينتج نماذج حضارية عديدة تنبع من الذات، ولم تتشكل خارجها.. وهنا مكمن الخطورة.

و. فكرة «المرجعية العليا للكتاب المقدس»:

وهي مرجعيته في رؤية الكون والإنسان والحياة، وعلاقة كل منهم بالإله.. فكما يقول «ماجد الصعيدي»: «الرؤية الغربية الحديثة التي درست نشأة الحضارة الإنسانية من منظور تطوري ارتكز على ما جاء في الكتاب المقدس من تاريخ تم تفسيره بشكل متحيز ودون موضوعية أو حياد، ليصب في اتجاه المقولة اليهودية بأنهم شعب الله الذي عرف - قبل غيره - فكرة التوحيد. لذلك قرأ المؤرخون الغربيون في العصر الحديث الحضارة المصرية بوصفها حضارة وثنية»[3].. ولابد لتاريخ «دمنهور» المستمرة في جزئه الخاص بما قبل اليهودية أن يؤرخ له على أنه وثني، وأن «دمنهور» لم تعرف التوحيد قبل اليهودية، وذلك ليتم التوافق مع رؤية الكتاب المقدس للتوحيد.. فبالتالي.. هناك في هذا الأمر احتمالان: **الاحتمال الأول:** لو تم التأريخ لدمنهور كمهد لديانة أولى وثنية؛ فإن ذلك دليل على صدق رؤية اليهود للعالم، وصدق نظريتهم للتوراة كمرجعية عليا للتوحيد في العالم، والتي يدين لهم الغرب بها كما سبق.. **والاحتمال الثاني:** لو تم التأريخ لدمنهور كمهد لديانة توحيدية؛ فإن ذلك يدل على خطأ التصور الغربي عن نشأة الحضارة الإنساني تطورا، وكذا يدل على خطأ المقولات

(1) يراجع في تقويض المسيري لمعجزة البقاء اليهودي: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ج4، ص26 - 34.

(2) حوارات، ج3، ص154.

(3) هرمس في المصادر العربية، مرجع سابق، ص63.

اليهودية العليا، مثل المرجعية العليا للتوراة للتوحيد في العالم، ومقولة «شعب الله المختار»، ومثـل مقولة «معجزة البقاء اليهودي».. إلخ.. فلنا أن نتخيل ما يمكن أن يكون بالتسليم بأن أولى حضارات العالم التي كانت قبل اليهودية كانت حضارة توحيدية.

تاسعا: هل تنبه «عبد الوهاب المسيري» لهذا؟

ولأن «د. عبد الوهـاب المسـيري» (1938م: 2008م) مـن أكثر المفكريـن تناولا لتلك الظواهر، وخاصة في موسوعته «اليهود واليهودية والصهيونية»، ولأنه أيضا من أبناء مدينة «دمنهـور» الذيـن تتبعوا تاريخها و كتبوا عنهـا توثيقا وتحليلا، فيتوجـب علينا في هذا المقام التترس بموسوعته للإجابة على هذا السؤال (هل تنبه «المسيري» لهذا؟).

والإجابة: نعم تنبه لهذا.. حين استخدم «دمنهور» بالذات في مقارنة مع اليهود لدحض معجـزة البقـاء اليهودي التـي تصب في اتجاه أنهم شـعب الله المختار، وذلـك في الجزء الرابع مـن الموسـوعة[1]. ورغم تخصيصه لدمنهـور في ذلك، فإنـه تكلم أيضا عن ذلك بشـكل عام حينما تحدث عن سـمات الخطاب الصهيوني المراوغ ذاكرا من حيله ما أسماه «تغليب عنصر المـكان» بحيث يتم التعامل مع أي أرض كجغرافيـة بدون تاريخ[2] فلابد من تحييد مثل هذه المدينـة صاحبـة التاريخ الأقدم من ديانتهم أصلا، لأنها بذا تشـكل أزمة عقائدية لتصوراتهم عن الإله والإنسان والكون والحياة.

---

(1) حيث يقول: «إن ما حدث ليس معجزة بقاء وإنما هو استمرار وجمود لدال (اليهود واليهودية) مع تغير وتبعثر في المدلولات. فكلمة «يهودية» التي كانت تشير إلى نسق ديني يتسم بحد أدنى من الوحدة أصبحت تشير إلى عدد هائل من الحركات الدينية التي لا يربطها رابط. وكذلك فإن مصطلح «يهودي» أصبح يشير إلى مجموعات غير متجانسة من البشر. إن بقاء اليهود بهذا المعنى لا يختلف مثلاً عن بقاء الدماهرة (أهل دمنهور)، وهي مدينة مصرية في دلتا النيل استمرت منذ بداية التاريخ البشري تحمل نفس الاسم وتوجد في نفس المكان، ومع هذا لا توجد علاقة كبيرة بين الدمنهوري العربي المسلم المعاصر والدمنهوري الذي عاش في نفس المدينة منذ آلاف السنين في المدينة التي سُمِّيت باسم الإله حوريس التي يُقال إنه وُلد فيها أو بالقرب منها وسمِّيت باسمه، فكلمة «دمن» معناها «مدينة»، وكلمة «هور» من كلمة «حوريس»، فهي إذن مدينة الإله حوريس الذي لا يعرف أهل دمنهور عنه شيئا!» (موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ج4، ص37، 38).

(2) في الخطاب والمصطلح الصهيوني، مرجع سابق، ص42.

أخيرا: «المسيري» والصهاينة وجها لوجه في «دمنهور»

لأنه من عجائب القدر أن تكون «دمنهور» هي موطن «صائد الذئاب المتلونة» أو «طائر أفراح المستقبل»[1] الدكتور «عبد الوهاب المسيري»، الذي دك الحصون المعرفية للصهاينة، فهو صاحب الموسوعة التي نسفت حصون «بارليف» الاجتماعية لهذه الدولة الطفيلية. فهم ينشدون «أبا حصيرة» في «دمنهور» المقدسة عندهم، و«المسيري» ينشد في «موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية» تفكيك الكيان الصهيوني معرفيا.. وقد نجح في ذلك بلا شك بشهادة معظم المختصين. ومن ذلك ما ذكرته الباحثة الأردنية «فاطمة الصمادي»: «كانت فكرة «أنسنة العدو» من أكثر أفكار الدكتور «المسيري» جراءة، فهي تشكل صدمة للذين اعتادوا في الخيال والواقع أن يصنفوا العدو شيطانا، يأتي بأفعال يعجز عنها البشر، ويحاط بهالة من التوقعات والأوهام قبل ذلك الخوف. وفي هذا الجانب تحديدا كان الدكتور «المسيري» يصر على ضرورة وقف «شيطنة» العدو لأن شيطنته تجعل منه كائنا غير مرئي وغير مدرك، تصعب مواجهته وهزيمته»[2]

ومن ضمن أدواته التحليلية التي استخدمها في ذلك؛ «دمنهور» نفسها؛ عندما دحض «معجزة البقاء اليهودي» باتخاذها مثالا على خرافة هذه المعجزة في الجزء الرابع من الموسوعة[3].

ولكن بقيت موقعة معرفية مهمة ما زالت قائمة بين الكيان الصهيوني و«المسيري».. ألا وهي «دمنهور» نفسها.. إذ إن الفائز فيهما هو من يستطيع ضمها إلى نسقه الحضاري.. فإما أن تكون «دمنهور» ضمن مقدسات اليهود يقدسون بها تاريخهم المستمر فيها فيتم ضمها إلى نسق التدين اليهودي الذي يعدونه المرجعية العليا لرؤية الكون والإنسان والحياة.. وإما أن تكون «دمنهور» غير مقدسة التاريخ طبقا لرؤية «المسيري»؛ رغم قدم التاريخ

(1) هما لقبان من ألقاب المسيري، الأول أطلقه «د. عبد الستار الراوي» والثاني «د. كرمة سامي» (انظر: عبد الوهاب المسيري في عيون أصدقائه ونقاده، سلسلة علماء مكرمون، دار الفكر، سوريا، ط1، 2007م).

(2) المرجع السابق، ص 106، 107.

(3) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ج4، ص38،37.

فيها، خاصة وأن «المسيري» يربط علاقته بـ «دمنهور» برؤيته للعالم من منظور توحيدي، فعلاقته بها يصورها منظوره للتاريخ الذي يفرق فيه بين «الماضي المتحفي» و«الماضي الحي» منحازا للهوية العربية الإسلامية كما «جمال حمدان» (1928م: 1993م)، والمتمثلة عنده في الاستمرارية الدمنهورية غير المقدسة.

لأن الكاتب في هذا السياق يستشرف مستقبل العلاقة بين الصهاينة و«مصر» عامة، و«دمنهور» خاصة؛ بادعاء حقوق تاريخية مقدسة ما، سوف يدعيها الكيان الصهيوني بمكيدة القدسية الوظيفية لضريح «أبي حصيرة» في وقت ما، لتأكيد تحكم نسق التدين اليهودي على العالم كله؛ ابتداءا من «دمنهور» التي لها استمرارية تاريخية أقدم من تاريخ اليهودية نفسها، ناهيك عن الصهيونية.. والكاتب يزعم هنا أنه في محاولة اجتهادية لتكملة مسيرة «المسيري» في التصدي لتصور الصهاينة عن «دمنهور» مدينة النبي «إدريس».

لذا فالصورة الاعتبارية الرمزية لدى الكاتب في تلك المسالة؛ هي:

(الكيان الصهيوني اليهودي وجها لوجه مع «المسيري» في «دمنهور» معرفيا).

الخاتمة

..«التاريخ ظل الإنسـان على الأرض.. والجغرافيا ظل الأرض على الزمان»..

(من مقولات «د. جمال حمدان» في كتابه «اسـتراتيجية الاستعمار والتحرير»).

الخاتمة

لما ألف المؤرخ الكبير الإمام «ابـن كثير» كتابه «البداية والنهاية»، ربما كانـت الرؤية في ذلك أننـا - أي بني «آدم» جميعا - نسـكن في التاريخ بين بدايـة خلق الكـون ونهاية الزمان بأحداث الآخـرة. فلكل بداية في هذا الكون نهاية.

وتلك هي رؤية القرآن للتاريخ؛ فالناس أحرار في التاريخ، يفعلون فيه ما يشاءون، ثم إلى ربهم ينقلبون، فيحاسبون على ما كانوا يفعلون؛ إن خيرا فخير وإن شرًا فشر.

لكن الله سـبحانه وتعالى لم يترك دينه عبثا لتحريف الجاهلين وانتحال المبطلين وتأويل الغالـين، وقـد كانت مهمة تصحيح ذلك قبل خاتمية النبوة بسـيدنا محمـد ﷺ تقع على عاتق الأنبياء والرسل.

فبرغم أن الصيرورة التاريخية للتوحيد لم تنقطع من الأرض منذ بدء الخليقة وحتى الآن، فإن كثير من الأفكار المحرفة والباطلة والمؤولة مازال لها صدى إما في معتقد سـار وفلسـفة تعتنق، أو في طائفة تتعصب وحركة تتحزب، أو غير ذلك.. وتلك مشيئة الله في خلقه.

وفي تلـك المسـيرة الكونيـة هناك أنبيـاء ارتبطـت بالبداية عنـد كل البشر مثـل «آدم» و«شيث» عَلَيْهِمَاٱلسَّلَامُ، وآخرين ارتبطت - على بعض الأقوال - بأحداث النهاية مثل «عيسى» و«إلياس» عَلَيْهِمَاٱلسَّلَامُ. لكن يبقى من بين جميع الأنبياء «إدريس» عَلَيْهِٱلسَّلَامُ هو الوحيد الذي قيل إنه علم على البدايات، فهو قد أدرك من حياة جده الأكبر «آدم» عَلَيْهِٱلسَّلَامُ 308 سـنة على بعض الأقوال. وقيل عنه أيضا إنه علم على النهايات، بقولهم عنه أنه «المخلص المنتظر».

ولمـا قام الكاتب بتركيز الضوء على معظم ما قيل عـن النبي «إدريس»، وجد أنه متعدد الأسـماء بشكل يستعصي على الحصر، وتختلف أسـماؤه باختلاف الثقافات، إذ أن الظن ليشير

بأنه أكثر شخصية تناولتها أقلام في التاريخ الإنساني كله، وذلك لعظم أثره وتأثيره في كل الفلسفات القديمة والمعاصرة تقريبا، وكذا فإنه ذو حضور خاص في كل الديانات، سواء السماوية منها أو الوضعية كذلك. بل إنه مقتحم بقوة لكثير من الفنون والآداب، علاوة على كل فروع العلوم الإنسانية تقريبا، وكذا كثير من العلوم التطبيقية أيضا.

ومن أشهر أسمائه: «إدريس» و«أخنوخ» و«هرمس» و«تحوت».. الاسم الأول: في الثقافة العربية الإسلامية، والثاني: في الثقافة العبرية والكتاب المقدس، والثالث: في الثقافة اليونانية والغربية، والأخير: في المصرية القديمة.

وقد تفاعل الكاتب مع بعض الأفكار التي تدعي إن «هرمس» عبارة عن نسيج فكري وليس شخصًا حقيقيًا، ومن يقول بهذا؛ بعضهم ممن يتعصب لجنسه حتى لقبت تلك الحالة بـ «التعصب الآري» ضد الحضارة المصرية. ومنهم من يتعصب لدينه؛ بتفسيره نشأة الحضارة الإنسانية بالمنظور التطوري الذي يرتكز على ما جاء في الكتاب المقدس من تاريخ تم تفسيره بشكل متحيز ودون موضوعية أو حياد، ليصب في اتجاه المقولة اليهودية بأنهم شعب الله الذي عرف - قبل غيره - فكرة التوحيد. لذلك قرأ المؤرخون الغربيون في العصر الحديث الحضارة المصرية بوصفها حضارة وثنية. وإن كان المفكر المصري «د. عبد الرحمن بدوي» ممن يقول بكونه نسيجًا فكريًا تأثرا بآراء الأب «فسيتوجيير» و«ماسينيون». فإنه قد تصدى لهم بالنقد كثير من الباحثين والمفكرين، منهم الفيلسوف المغربي «د. محمد عابد الجابري»، الذي أكد بحثا على كون «هرمس» ما هو إلا شخص حقيقي يحاكيه الكثير، علاوة على ثلة من الباحثين والمؤرخين الذين أبانوا أثر «هرمس» في مجمل حضارة الإغريق، ومن ثم في الحضارة الغربية كلها.

وقد عرج الكاتب بحثا على الكتب المنسوبة لـ «هرمس» فيما تسمى بـ «الهرمسيات» أو «متون هرمس» وأثرها الواضح الجلي في معظم ثقافات العالم قديما وحديثا. وقد تجلى عصر النهضة الغربية بما يفوح بذلك تأثرا وتأثيرا، وكذا فقد أثرت الهرمسيات في بعض الأديان سماوية كانت أم وضعية، كما تأثر بها كثير من المذاهب الإسلامية، علاوة على بعض الأفكار والحركات السرية مثل الماسونية وغيرها.

كما بان جليا العمق الحضاري لرسالة النبي «إدريس» وسبقه في التمدن الدنيوي بصوره المختلفة «هرمس» و«تحوت» و«أخنوخ». فقد كانت رسالته عالمية، وكان له صحف سماوية، وله كثير من الحكم والمقولات المنتشرة إلى الآن على ألسنة الشعوب، وقيل عنه أنه كان ملكا على مصر. كما كانت ديانته - على الراجح - هي ديانة الصابئة التي ذكرها القرآن ضمن الديانات التوحيدية.

كما حط الكاتب الرحال على ما يشاع بالتواطؤ عن الحضارة المصرية القديمة، أنها حضارة وثنية بالكلية؛ ملقيا ضوءا كثيفا على خطأ الغربيين في الترجمة لكلمة واحدة من كلمات اللغة المصرية القديمة هي «نثرو»، كانت سببا في وصم تلك الحضارة بالوثنية. وكلمة «نثرو» تم ترجمتها بمعنى «إله» بينما هي في حقيقتها بمعنى «كائن إلهي» أو «ملاك».

ثم تناول الكاتب علاقة النبي «إدريس» عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بمصر، موضحا كونه لم يولد في «منف» المعروفة بـ«ميت رهينة» بالجيزة الآن؛ مرجحا كونه ولد في مدينة «دمنهور» بمحافظة البحيرة، وأنه قد سكن مدينة «الأشمونيين» بالمنيا، وارتبط اسمه بمدينتي «إدفو» بأسوان و«ميت رهينة» بالبدرشين - جيزة.

ولم ينسّ الكاتب أن يفعل ما قطعه على نفسه في المقدمة بذكره لكل ما تيسر له مما نقل أو كتب أو قيل عن النبي «إدريس» بصوره المختلفة في الثقافات المختلفة، سواءا كان خبرا أو أثرا أو رواية أو أسطورة.. أو حتى خرافة. بهدف إلقاء الضوء على مكانته في الديانات والعقائد والمذاهب والنحل والحركات والأفكار والفلسفات قديما وحديثا، وللتدليل على محورية حركة النبوة في التأريخ لشعوب الأرض حتى في الأساطير.

فقد ورد في سيرته أخبار تفيد بكونه جدًّا أعلى للنبي «محمد» صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وأنه نبي «دين القيمة» المذكور في القرآن الكريم، وأنه من أول أولي العزم من الرسل، وأنه مؤلف «كتاب الموتى» الفرعوني، وأنه ذو علاقة ما بالملكين «هاروت وماروت» وكذا الرجال الصالحين المذكورين في القرآن الكريم «ود وسواع ويغوث ويعوق ونسرا»، وأنه صورة لنبي آخر هو «إلياس» عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وأن «الخضر» عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ هو إحدى صوره، وأنه هو «ذو القرنين»، وأن الشخصيات الأسطورية المصرية القديمة قد ترمز إليه، مثل «أوزوريس» و«أخناتون» و«حورس الكبير».

كما تم الإطلاع على الأساطير والأفكار والعقائد التي نسجت على روايات موته عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، مثل: ما نسب إليه أنه رفع إلى السماء، وأنه حي ولم يمت، وأنه المقصود بمن يرد عند سؤال الله «لمن الملك اليوم»، وأنه أول من خالط الملائكة والأرواح المجردة، وأن طبيعته ملائكية، وأنه رسول بين السماء والأرض، وأنه بطل الأسطورة الشمسية، وأنه أول من صعد إلى الفضاء، وإنه يتجلى في أزمان عدة.

كما تم ذكر ما نسب إليه من أعمال بين الحقيقة والخيال، مثل: أنه أول من اخترع الكتابة، وأنه هو «اللوجوس» أي الكلمة الإلهية الخلاقة، وأنه أول كيميائي، وأنه أول من تكلم في علم الفلك، وأنه أول طبيب في التاريخ، وأنه شيخ الصناع والحرفيين وأول من حاك الثياب، وأنه واضع أول تقويم «التقويم التحوتي»، وأنه أول من مدن المدن، وأنه كان ملكا على مصر، وأنه أول رائد للسحر والتنجيم، وأنه هو الكوكب «عطارد»، وأنه هو مكتشف الموسيقى ومخترع القيثارة والمزمار، وأنه رمز للسلام في العالم، وأنه «نصير الرياضيين».

بل إن الأمر قد طال بنايات محورية في حركة التاريخ، مثل: «الكعبة المشرفة» التي قالوا أنها من بناياته، والأهرامات التي قالوا عنه فيها أنه أول بانٍ لها. كما ادعى البعض أنه هو «خوفو» نفسه، وان «أبو الهول» ما هو إلا عمل فني تعبيري ميتافيزيقي بالدرجة الأولى صنع تخليدا لذكراه.

ثم التعريج على بعض الأفكار التي ارتبطت به مثل: «فكرة الخلاص»، وذلك بتتبع أثر «فكرة الغائب المنتظر» (المخلص) في حركة التاريخ، وتجليات فكرة المخلص الغائب، بخلاف التوظيف السياسي لفكرة المخلص المنتظر. وكذا أفكار «الحركات الماسونية السرية» التي تأثرت به، بخاصة «الحركة الروزيكروشيانية»، وكذا تأثر الماسونية بالمصرية القديمة على وجه العموم.

وبعد ان رجح الكاتب كون أن «دمنهور» هي أقرب المدن التي يمكن أن تكون هي مدينة النبي «إدريس؛ لزم عنده وقفة غير قصيرة لفرز تلك المدينة معرفيا. وذلك بالتدليل على زعم الإستمرارية الحضارية لتلك المدينة منذ فجر التاريخ وحتى الآن، وعرض مبسط

لمكانتها المعاصرة في الثقافة الغربية، وكذا عرض للمدينة الإيطالية التي شيدت تقديسا لها، مع البحث عن سر الاهتمام غير العادي لليهود بـ «دمنهور» منذ الأزل.

فلئن ادعى اليهود لأنفسهم عبقرية بقاء؛ فلأبناء تلك الأرض المصرية - الدماهرة مثالا - استمرارية تاريخية حقيقية تدحض هذا الزعم بوجود تلك العبقرية المزعومة أصلا. لأن الدماهرة لا يدعون أنفسهم عبقرية بقاء ولا يعرفون شيئا عن «حورس القديم» الذي تسمى مدينتهم باسمه (ديمن حورس أو دمنهور)، إنما ينتمون إلى ذاك التشكيل الحضاري الآني المتغير بمتغيرات الزمان والمكان، والثابت في خبرتهم التدينية بركيزة «التوحيد».

مما يسوغ للكاتب اعتبار أن الوجود المستمر لمدينة «دمنهور» المستمر «زمانا ومكانا» واحتفاظها بهويتها المصرية القديمة التي ما كانت وثنية، والتي تنطق بمظاهر ثقافية كثيرة لذاك الاستمرار؛ ما هو إلا تأكيد وبيان على صحة رؤية الكون التوحيدية.

فوفقا للرؤية التوحيدية فإن «دمنهور» التي هي من أقدم المدن، وأكثرها استمرارية، وبدايتها توحيدية، وأكثرها خبرة تدينية مما مر عليها من أنساق مختلفة (توحيدية ووثنية) تختزل خبرتها التدينية بانتهائها للرؤية التوحيدية التي يبعث الله كل فترة من يجددها ويعيدها إلى صفائها الأول. ولا يؤمن أهلها بمعجزة بقاء. فإلههم لم يحل في تاريخهم كما يعتقد اليهود بأن إلههم قد حل في تاريخهم، الذي يعدونه مقدسا.

فـ «دمنهور» بهذا التصور تمثل إشكالية عقائدية لصورة التدين اليهودي الحالي، فكما أنها تدحض فكرة «البقاء اليهودي»، تدحض كذلك أفكار «شعب الله المختار» و«الاستمرار اليهودي» «الحقوق التاريخية» و«التاريخ اليهودي المقدس» و«المرجعية العليا للكتاب المقدس».

مما ينبئ في تصور الكاتب بكون الهوية المصرية المرتبطة بتاريخ المصريين القدماء ما هي إلا شاهد حضاري وثقافي على أن بدء الخليقة منذ «آدم» عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ؛ لم يكن سوى بدء توحيدي، ثم حدث فيه كثير من الانحرافات وشابه بعض الوثنيات التي يدور معظمها في فلك حقائق نبوية حرفت وأولت لتصبح وثنية، فيبعث الله الأنبياء والرسل كل يعيد للتوحيد وجهه المشرق كتجديد له، وكان من جراء ذلك أن يأتي النبي يلي أخاه وأحيانا كثيرة

يعـاصره.. حتى جاءت «خاتمية النبوة» بـ «محمد» ﷺ كصـورة أصيلة لتوحيد الأنبياء من قبل تهتدي بهداهم وتستقي من المعين نفسه الذي استقوا منه.

ثـم رصد الكاتـب رصدا يعبر فيه عن رؤيتـه لعجائب القدر أن تكـون «دمنهور» هي موطن الدكتور «عبد الوهاب المسيري»، الذي دك الحصون المعرفية للصهاينة، فهو صاحب الموسوعة التي نسفت حصون «بارليف» الاجتماعية لهذه الدولة الطفيلية - بتعبيره- ثم ينهي الكاتب هذا الكتاب بصورة شـبه درامية تلخص لاسـتشرافه المسـتقبل من معركة معرفية قادمة بين العرب والصهاينة يكون موضوعها «دمنهور» بقوله: «المسيري» والصهاينة وجها لوجه في «دمنهور» معرفيا».

لـذا فقـد بان جليا بأن مـصر التي هي أم الدنيـا - كما قال «ابن خلـدون» و«المقريزي» - والتـي تعتبر مدينة «دمنهـور» بالتبعية جزءًا منها؛ هي: «**منطقة إنطلاقة الإنسـانية العاقلة والتوحيد في العالم**»..

كما بان بأن فكرة «الزمكانية الإيمانية» المرتبطة باسـتمرارية مصر بمدنها المستمرة عبر التاريخ في المكان نفسه، وكذا ابتداء النموذج الجمعي للمصريين بفكرة «التوحيد»، وانتهاؤه أيضا إلى نفس الفكرة حاليا؛ لهي النواة الأساسـية لادعـاء الكاتب بأن هوية مصر ما هي إلا «هويـة وجودية توحيدية» تنبع من رؤيتها للكون، ومرتبطة بالصيرورة التاريخية للتوحيد في تلـك البقعـة المباركة من أرض الله. إذ إنهـا البلد الوحيد في العالم الذي تجلي الله سـبحانه وتعالى لأرضه ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ﴾ [الأعراف: 143].

ثم الصلاة على الحبيب.. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كامل رحومه

«دمنهور» في 3 نوفمبر 2016م.

المصادر والمراجع

أولا: الكتب

1) ابـن أبي أصيبعـة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: محمد باسـل عيون السـود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998م.

2) ابـن الجـوزي، عبد الرحمن بـن علي، تلبيس إبليس، تحقيق: عصام فارس الحرسـتاني، المكتب الإسـلامي، بيروت، لبنان، 1994م.

3) ابن الكندي، عمر بن محمد بن يوسـف، فضائل مصر المحروسة، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، مصر، ط1، 1997م.

4) ابن النديم، الفهرست، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 1997م.

5) ابن إياس، محمد بن أحمد، بدائع الزهور في وقائع الدهور، كتاب الشعب، مصر، 1960م.

6) ابن جلجل، أبي داود سـليمان بن حسـان الأندلسي، طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق: فؤاد السـيد، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، مصر، 1955م.

7) ابن حبان، صحيح ابن حبان، تحقيق: أحمد شاكر، دار المعارف، مصر، 1952م.

8) ابن حزم، علي بن أحمد، الفصل في الملل والنحل والأهواء، مكتبة الخانجي، مصر، بدون تاريخ.

9) ابن حنبل، الإمام أحمد، المسند، دار المنهاج، تحقيق: أحمد معبد عبد الكريم، جدة، السعودية، 2008م- 1429هـ.

10) ابن خلدون، عبد الرحمن، العبر وديوان المبتدأ والخبر، بيت الأفكار الدولية، تونس، 2009م.

11) ابن دقماق، الانتصار لواسطة عقد الأمصار، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.

12) ابـن ذولاق، فضائل مصر وأخبارها وخواصها، تحقيق: عـلي محمد عمر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مهرجان القراءة للجميع، مصر، 1999م.

13) ابـن ظهيرة، محمد بن محمد، الفضائل الباهرة في محاسـن مصر والقاهرة، تحقيق: مصطفى السـقا و كامل المهندس، مطبعة دار الكتب، مصر، 1969م.

14) ابن فاتك، أبو الوفا المبشر، مختار الحكم ومحاسـن الكلم، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، منشـورات المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، أسبانيا، 1980م.

15) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1988م.

16) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، التفسير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، الرياض، السعودية، ط2، 1999م.

17) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، قصص الأنبياء، المكتبة الإسلامية للنشر، مصر، 2002م.

18) ابن منظور، محمد بن مكرم، معجم لسان العرب، دار الحديث، مصر، 2003م.

19) أبو رحمة، محمد، الإسلام والديانة المصرية القديمة، مكتبة مدبولي، مصر، ط1، 2005م.

20) أبو زهرة، محمد، تاريخ المذاهب الإسلامية، دار الفكر العربي، مصر، 1996م.

21) أبو زهرة، محمد، مقارنات الأديان، قسم الديانات القديمة، دار الفكر العربي، مصر، 2006م.

22) أبوزيد، حمدي بن حمزة، فك أسرار ذي القرنين، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، السعودية، ط1، 2004م.

23) أبو سعدة، رءوف، من إعجاز القرآن، دار الهلال، مصر، 1993م.

24) أبي الصلت، أمية بن عبد العزيز، الرسالة المصرية، نواد المخطوطات، تحقيق: عبد السلام هارون، مج1، مكتبة البابلي الحلبي، مصر، ط2، 1973م.

25) أبي داود، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، تحقيق: شعيب الأرناؤط، دار الرسالة العلمية، دمشق، سوريا، ط1، 2009م.

26) إجناتيس، جولدتسهير، العقيدة والشريعة، ترجمة: محمد موسى، وعبد العزيز عبد الحق، وعلي حسن عبد العزيز، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1946م.

27) أحمد شلبي، مقارنة الأديان، رقم4، ديانات الهند الكبرى، مكتبة النهضة المصرية، مصر، ط1، 1995م.

28) أحمد، عواطف السيد، أبي حصيرة مولد وصاحبه زائف، دار روافد، مصر، ط1، 2012م.

29) الإدريسي، أبو جعفر، أنوار علوي الأجرام في الكشف عن أسرار الأهرام، تحقيق: ألريش هارمان، منشورات المعهد الألماني للأبحاث، ط1، 1991م.

30) إرثر، كورتل، قاموس أساطير العالم، ترجمة: سهى الطريحي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1993م.

31) أرمان، أدولف، ديانة مصر القديمة، ترجمة: عبد المنعم أبو بكر وأنور شكري، مكتبة مدبولي، مصر، ط1، 1995م.

32) إسماعيل، حمادة، انتفاضة 1935م بين وثبة القاهرة وغضبة الأقاليم، دار الشروق، مصر، ط1، 2005م.

33) الأقفهسي، شهاب الدين بن العماد، أخبار نيل مصر، تحقيق: لبيبة مصطفى، ونعمات محمد، دار الكتب، مصر، ط1، 2006م.

34) الألوسي، محمود بن عبد الله، روح المعاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1994م- 1415هـ.

35) إلياد، مرسيا، المقدس والمدنس، ترجمة: عبد الهادي عباس المحامي، دار دمشق للطباعة والنشر، دمشق، سوريا، ط1، 1998م.

36) إمام، عبد الفتاح، معجم الديانات وأساطير العالم القديم، مكتبة مدبولي، مصر، ط1، 1998م.

37) إمام، عبد الله، وجيه أباظة الثائر والإنسان، عربية للطباعة والنشر، مصر، ط1، 1994م.

38) إمام، عبد الله، وجيه أباظة صفحات من النضال الوطني، عربية للطباعة والنشر، مصر، ط1، 1995م.

39) إميلينيو، إميل كليمنت، معجم البلاد والأماكن المصرية في العصر المسيحي، ترجمة: حلمي عزيز، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، ط 1، 2005م.

40) أمين، أحمد، المهدي والمهدوية، دار نوابغ الفكر للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2009م.

41) الأندلسي، ابن صاعد، طبقات الأمم، تحقيق: حسين مؤنس، دار المعارف، مصر، 1993م.

42) الأنصاري، ناصر، المجمل في تاريخ مصر، النظم السياسية و الإدارية، دار الشروق، مصر، ط1، 1993م.

43) بارندر، جافري، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ترجمة: إمام عبد الفتاح، سلسلة عالم المعرفة، رقم173، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1993م.

44) باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، دار الوراق، لندن، انجلترا، 2009م.

45) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق: عيد السلام بن عمر علوش، دار الرشد، الرياض، السعودية، 2006م.

46) بدج، واليس، آلهة المصريين، ترجمة: حسين محمد يونس، مكتبة مدبولي الصغير، مصر، ط1، 1998م.

47) البدراوي، رشدي، قصص الأنبياء والتاريخ، نشر المؤلف، مصر، 1996م.

48) بدوي، عبد الرحمن، الأفلاطونية المحدثة عند العرب، دار القلم، مصر، ط2، 1977م.

49) بدوي، عبد الرحمن، مذاهب الإسلاميين، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1997م.

50) بدوي، عبد الرحمن، موسوعة الفلسفة، ج2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1984م.

51) بدوي، عبد السلام محمد، من أنباء الرسل، كتاب الشعب، مصر، 1997م.

52) برستيد، هنري جيمس، فجر الضمير، ترجمة: سليم حسن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2011م.

53) برستيد، هنري، تاريخ مصر، ترجمة: حسن كمال، مكتبة مدبولي، مصر، ط2، 1996م.

54) برنال، مارتن، أثينا السوداء، المجلس الأعلى للثقافة، ترجمة: محمود إبراهيم السعدني، ط1، 2005م.

55) برنيري، ماري لويزا ، المدينة الفاضلة عبر التاريخ، ترجمة: عطيات أبو السعود، سلسلة عالم المعرفة، رقم225، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1997م.

56) بسطامي، محمد سعيد، مفهوم تجديد الدين، دار الدعوة، الكويت، ط1، 1984م.

57) بشور، وديع، الميثولوجيا السورية وأساطير آرام، مؤسسة فكر للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1981م.

58) البغدادي، عبد القاهر بن طاهر، الفرق بين الفرق، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط2، 1977م.

59) البغدادي، عبد اللطيف بن يوسف، الإفادة والاعتبار في الأمور والمشاهدات والحوادث المعاينة بأرض مصر، إعداد: عبد الرحمن عبد الله الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط2، 1998م.

60) بكري، حسين بن محمد الديار، تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع، دار صادر، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.

61) بكري، مصطفى، داعش الحقيقة والوهم، دار نهضة مصر، مصر، ط1، 2015م.

62) بلدي، نجيب، تمهيد لتاريخ مدرسة الإسكندرية وفلسفتها، سلسلة الدراسات الفلسفية، دار المعارف، مصر، ط1، 1962م.

63) بهجت، أحمد، أنبياء الله، دار الشروق ودار الريان للتراث، مصر، ط15، 1987م.

64) بوزنر، جورج، معجم الحضارة المصرية، ترجمة: سلامة أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، مصر، 2001م.

65) بيجوفيتش، علي عزت، الإسلام بين الشرق والغرب، ترجمة: يوسف عدس، تقديم: عبد الوهاب المسيري، دار الشروق، مصر، ط8، 2016م.

66) البيضاوي، عبد الله بن عمر، طوالع الأنوار من مطالع الأنظار، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1991م.

67) تاريخ أبي الفداء، الملك المؤيد إسماعيل، تحقيق: محمود أيوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1997م.

68) الترمذي، سنن الترمذي، ترقيم: أحمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، 1994م.

69) تشيرني، ياروسلاف ، الديانة المصرية القديمة، ترجمة أحمد قدري، هيئة الآثار المصرية، مشروع مائة كتاب، رقم6، مصر، 1987م.

70) توتل، فردينان، قاموس المنجد، المطبعة الكاثوليكية، الطبعة اليسوعية، بيروت، 1965م.

71) توسي، ماريو، وكارلو ريو ردا، معجم آلهة مصر القديمة، ترجمة ابتسام محمد عبد المجيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، سلسلة مصريات، 2008م.

72) توماس، هنري، أعلام الفلسفة، ترجمة: متري أمين، دار النهضة العربية، مصر، 1964م.

73) توينبي، أرنولد، تاريخ البشرية، تحقيق: نقولا زيادة، الأهلية للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، ط4، 2003م.

74) الجابري، عابد، تكوين العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط11، 2011م.

75) جارودي، روجيه،الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية، ترجمة: محمد هشام، تقديم: محمد حسنين هيكل، دار الشروق، مصر، ط2، 1998م.

76) الجبرتي، عبد الرحمن بن حسن، تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، تحقيق: حسن محمد جوهر، لجنة البيان العربي، مصر، 1959م.

77) جدعان، فهمي، في الخلاص النهائي، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 2012م.

78) جلبي، أوليا، سياحتنامة مصر، تحقيق: محمد علي عوني وعبد الوهاب عزام وأحمد السعيد سليمان، دار الكتب والوثائق القومية، مصر، ط1، 2009م.

79) جلي، أحمد محمد أحمد، دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، السعودية، ط3، 2008م.

80) جنزبرج، لويس، قصص اليهود، ترجمة: جمال الرفاعي، المجلس الأعلى للثقافة، عدد465، مصر، 2002م.

81) جيمز، ت.ج.هـ، كنوز الفراعنة، ترجمة أحمد زهير أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1999م.

82) حاتم، عماد، أساطير اليونان، الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1988م.

83) الحاكم، محمد بن عبد الله، مستدرك الحاكم، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2002م.

84) حامد، إسماعيل، موسوعة الأساطير الفرعونية، مكتبة النافذة، مصر، ط1، 2009م.

85) حامد، إسماعيل، هرمس الحكيم وعلاقته بالنبي إدريس، دار مشارق، مصر، ط1، 2009م.

86) الحزيمي، ناصر، أيام مع جهيمان، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط1، 2011م.

87) حسن، سليم، موسوعة مصر القديمة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1992م.

88) حسين، فضيلة عبد الرحيم، فكرة الأسطورة وكتابة التاريخ، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2008م.

89) الحكيم، سليمان، مصر الفرعوبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2005م.

90) حمدان، جمال، شخصية مصر، دراسة في عبقرية المكان، دار الهلال، مصر، 2001م.

91) حواس، زاهي، الأهرامات والمشاهير وأنا، كتاب اليوم، دار أخبار اليوم، مصر، 2017م.

92) حواس، زاهي، معجزة الهرم الأكبر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2004م.

93) خان، محمد عبد المعيد، الأساطير والخرافات عند العرب، دار الحداثة، بيروت، لبنان، 1981م.

94) خشيم، علي فهيم، آلهة مصر العربية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1998م.

95) خليل، أحمد خليل، مضمون الأسطورة في الفكر العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط3، 1986م.

96) دائرة المعارف الأسلامية، النسخة العربية، ترجمة: محمد ثابت الفندي وآخرون،نشر لجنة الترجمة بالقاهرة، مصر، 1934م.

97) الدبس، المطران يوسف إلياس، تاريخ سوريا الديني والدنيوي، المطبعة العمومية الكاثوليكية، بيروت، لبنان، 1902م.

98) دراوور، الليدي، الصابئة المندائيون، ترجمة: نعيم بدوي وغضبان الرومي، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، سوريا، ط2، 2006م.

99) دروزة، عزة، تاريخ الجنس العربي في مختلف الأطوار والأدوار، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط1، 1959م.

100) درويش، هدى، نبي الله إدريس بين المصرية القديمة واليهودية والإسلام، دار السلام، مصر، ط1، 2009م.

101) الدسوقي، وائل إبراهيم، الماسونية والماسون في مصر، دار الكتب والوثائق القومية، مصر، 2008م.

102) دفتري، فرهاد، خرافات الحشاشين وأساطير الإسماعليين، ترجمة: سيف الدين القصير، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، سوريا، 1996م.

103) الدمشقي، محمد بن أبي طالب، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، طبعة لايبتزج، سانت بيتر سبرج، 1923م.

104) دوجلاس بريور، وايملي تيتر، مصر والمصريون، ترجمة عاطف معتمد ومحمد رزق، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، مصر، 2010م.

105) دي بور، ت.ج، تاريخ الفلسفة في الإسلام، لجنة التأليف والنشر والترجمة، مصر، ط3، 1954م.

106) ديماس، فرانسوا، آلهة مصر، ترجمة: ذكي سوس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1998م.

107) ديورانت، وول، قصة الحضارة، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، مصر، 1958م.

108) ذكري، أنطون، الأدب والدين عند قدماء المصريين، مطبعة المعارف، مصر، 1923م.

109) الذهبي، محمد السيد حسين، الإسرائيليات في التفسير والحديث، سلسلة البحوث الإسلامية، مجمع البحوث الإسلامية، الكتاب رقم37، مصر، 1971م.

110) الرازي، محمد بن عمر بن حسين، تفسير الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2004م.

111) الرافعي، عبد الرحمن، الثورة العرابية والاحتلال الانجليزي، دار المعارف، مصر، ط4، 1984م.

112) رسائل إخوان الصفا، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، بدون معلومات نشر.

113) روبير سوليه، مصر ولع فرنسي، ترجمة: لطيف فرج، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2002م.

114) الزبيدي، محمد بن محمد المرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، المطبعة الخيرية بمصر، بدون تاريخ.

115) الزركلي، خير الدين، الأعلام، طبعة دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط16، 2005م.

116) زكي، أحمد كمال، الأساطير، دراسة حضارية مقارنة، مكتبة الشباي، مصر، ط1، 1975م.

117) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط4، 1986م-1407هـ.

118) زويل، أحمد، عصر العلم، دار الشروق، مصر، ط1، 2005م.

119) زيتون، محمد محمود، إقليم البحيرة، دار المعارف، مصر، 1962م.

120) زيدان، يوسف، دوامات التدين، دار الشروق، مصر، ط1، 2013م.

121) سارتون، جورج، تاريخ العلم، دار المعارف، مصر، 1991م.

122) سالم، صلاح، الأساطير المؤسسة للإسلام السياسي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2014م.

123) سبانو، أحمد غسان، هرمس الحكيم بين الألوهية والنبوة، دار قتيبة، دمشق، سوريا، ط1، 2002م.

124) السعدني، عزت، فجر الضمير المصري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2008م.

125) السمعاني، منصور بن محمد، تفسير السمعاني، دار الوطن، الرياض، ط1، 1997م.

126) السواح، فراس، الأسطورة والمعنى، دراسات في الميثولوجيا والديانات الشرقية، دمشق، سوريا، ط1، 1997م.

127) السواح، فراس، مغامرة العقل الأولى، دراسة في الأسطورة السورية وبلاد الرافدين، دار علاء الدين، دمشق، سوريا، 1993م.

128) السواح، فراس، موسوعة تاريخ الديانات، دار علاء الدين، دمشق، سوريا، ط1، 2006م.

129) السيار، نديم، المصريون القدماء أول الحنفاء، نشر المؤلف، مصر، 2004م.

130) السيار، نديم، قدماء المصريين أول الموحدين، نشر المؤلف، مصر، 1996م.

131) السيار، نديم، ليسوا آلهة ولكن ملائكة، نشر المؤلف، ط2، مصر، 2003م.

132) السيد، رمضان، تاريخ مصر منذ أقدم العصور حتى عام 332 قبل الميلاد، وزارة الثقافة، هيئة الآثار المصرية، مصر، 1988م.

133) السيسي، وسيم، في البدء كانت مصر، الدار المصرية اللبنانية، مصر، 2017م.

134) السيسي، وسيم، هذه هي مصر، الدار المصرية اللبنانية، مصر، ط3، 2014م.

135) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، الدر المنثور، ج10، دار هجر، مصر، ط1، 2003م.

136) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، مصر، 1967م.

137) شاروبيم، ميخائيل، الكافي في تاريخ مصر القديم، دار الكتب المصرية، مصر، 1998م.

138) شاه، إدريس، الصوفيون، ترجمة: بيومي قنديل، المركز القومي للترجمة، مصر، ط3، 2016م.

139) شتا، إبراهيم الدسوقي، التصوف عند الفرس، سلسلة كتابك، رقم62، دار المعارف، مصر، 1978م.

140) شرف الدين، محمد شادي، ذو القرنين ويأجوج ومأجوج، دار إبداع، بيروت، لبنان، ط2، 2016م.

141) شريف، عمرو، الوجود رسالة توحيد، نيو بوك للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2015م.

142) شلبي، أحمد، أديان الهند الكبرى، مكتبة النهضة المصرية، مصر، ط11، 1997م.

143) شلش، علي، الماسونية في مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر،1993م.

144) شـليوة، سمير عبد العزيز، الدخيل والإسرائيليات، في تفسير القرآن الكريم، جامعة الأزهر القاهرة، مصر، 1983م.

145) الشماع، بسام، نصوص مصرية قديمة غيرت التاريخ، دار المعارف، مصر، ط1، 2016م.

146) الشهرسـتاني، محمـد بـن عبد الكريم، نهايـة الإقدام في علم الـكلام، تحقيق: أحمد فريـد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2004م- 1425ه..

147) صالح، عبد العزيز، الشرق الأدنى القديم، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 2006م.

148) صالح، عبد العزيز، حضارة مصر القديمة وآثارها، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ط3، 1992م.

149) صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربية، مصر، ط1، 1992م.

150) الصعيدي، ماجد، هرمس في المصادر العربية، دار الكرز، مصر، ط1، 2007م.

151) الصليبي، كمال، خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط6، 2006م.

152) طاهر، عمر، صنايعية مصر، دار الكرمة، مصر، ط1، 2016م.

153) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار سويدان، بيروت، لبنان، 1967م.

154) طه، سمير محمد، أحمد عرابي ودوره في الحياة المصرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1986م.

155) الطهطاوي، محمد عزت، النصرانية والإسلام، مطبعة التقدم، مصر، 1979م.

156) ظاظا، حسن الشخصية الإسرائيلية، دار القلم، دمشق، سوريا، ط1، 1999م.

157) عامر، عطية، رسائل توت في الحكمة والفلسفة، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 1999م.

158) عبـد الرحمـن، حكمت نجيب، الكيمياء عند العرب، أبحاث النـدوة العالمية الأولى لتأريخ العلوم عند العرب، جامعة حلب، سوريا، 1976م.

159) عبـد العزيـز، إبراهيـم، أنا نجيب محفـوظ، الهيئة المصريـة العامـة للكتاب، مكتبـة الأسرة، مصر، 2012م.

160) عبد العزيز، علاء، تاريخ مصر القديم، نشر المؤلف، مصر، بدون معلومات طباعة.

161) عبد العظيم، عبد المنعم، إدريس نبي من مصر، نسخة إليكترونية، جمعية رواد الثقافة بأرمنت، مصر.

162) عبد الفتاح، سيد صديق، أغرب الأعياد وأعجب الاحتفالات، دار الأمين، مصر، ط1، 1994م.

163) عبد المتعال، علاء الدين، هرمس مثلث الحكمة بين الأسطورة والواقع، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، 2003م.

164) عبد الوهاب المسيري في عيون أصدقائه ونقاده، سلسلة علماء مكرمون، دار الفكر، سوريا، ط1، 2007م.

165) عبد الوهاب النجار، قصص الأنبياء، دار ابن كثير، دمشق، سوريا، ط4، 2004م.

166) عطية، صلاح، ضرب الإسكندرية، المقدمات والنتائج، كتاب تراث الجمهورية، رقم 31، مصر.

167) العقاد، عباس محمود، إبراهيم أبو الأنبياء، المكتبة العصرية، بيروت وصيدا، لبنان، 1953م.

168) العقاد، عباس محمود، الله، دار الهلال، مصر، 1991م.

169) العقاد، عباس محمود، عبقري الإصلاح والتعليم: محمد عبده، سلسلة أعلام العرب، مكتبة مصر، 1962م.

170) عكاشة، ثروت، موسوعة الفن المصري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1990م.

171) علي، عرفة عبده، ملف اليهود في مصر الحديثة، مكتبة مدبولي، مصر، ط1، 2001م.

172) عمارة، محمد، نقض الإسلام وأصول الحكم، سلسلة في التنوير الإسلامي، رقم19، نهضة مصر، مصر، 1998م.

173) عمران، أحمد، قراءة في التشيع، دار كرم، بيروت، لبنان، ط1، 1996م.

174) عوض، السيد حنفي، علم الإنسان، المكتب الجامعي الحديث، مصر، ط1، 2010م.

175) غربال، محمد شفيق، الموسوعة العربية الميسرة، دار الشعب، مصر، 1965م.

176) غربال، محمد شفيق، تكوين مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، مصر، 2009م.

177) فريك، تيموثي، وبيتر غاندي، متون هرمس، حكمة الفراعنة المفقودة، ترجمة: عمر الفاروق، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، عدد257، ط1، 2002م.

178) فهيم، حسين محمد، أدب الرحلات، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد138، 1998م.

179) فؤاد، نعمات أحمد، شخصية مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط5، 1989م.

180) فوزي، إسماعيل، الديانة الزرادشتية، دار علاء الدين، دمشق، سوريا، بدون معلومات طباعة.

181) قاسم، عبده قاسم، اليهود في مصر، دار الشروق، مصر، 1993م.

182) القرطبي، محمد بن أحمد بأبي بكر، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، مصر، ط2، 1964م.

183) القرماني، أخبار الدول وآثار الأول، عالم الكتب، بيروت، لبنان، تحقيق: فهمي سعد وأحمد حطيط، ط1، 1992م.

184) القزويني، زكريا بن محمد، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1998م.

185) قطب، سيد، في ظلال القرآن، دار الشروق، مصر، ط6، 1981م.

186) قطب، محمد علي، يهود الدونمة، سلسلة اعرف عدوك، رقم1، دار الأنصار، مصر، ط1، 1978م.

187) القفطي، علي بن يوسف، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2005م.

188) القلقشندي، صبح الأعشى في كتابة الإنشا، دار الكتب المصرية، مصر، 1922م.

189) القنوجي، محمد صديق خان بن حسن، أبجد العلوم، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 2002م.

190) القهوجي، عوض، الفتح الإسلامي لمصر، نشر المؤلف، ط1، 1999م.

191) كتاب «محافظة البحيرة»، الهيئة العامة للاستعلامات، مصر، 1984م.

192) كتاب الموتى الفرعوني (برت إم هرو)، ترجمة عن الهيروغليفية: واليس بدج، ترجمة عن العربية: فيليب عطية، مكتبة مدبولي، مصر، ط1، 1988م.

193) كرزويه، موريس، موسوعة تاريخ الحضارات العام، ترجمة: فريد داغر، وفؤاد أبو ريحان، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ط1، 1964م.

194) كريم، سيد، السحر والسحرة عند قدماء المصريين، نهضة مصر، مصر، ط2، 2008م.

195) كريم، سيد، لغز الحضارة المصرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1996م.

196) كريمر، صموئيل نوح، الأساطير السومرية، ترجمة: يوسف داود عبد القادر، مطبعة المعارف، بغداد، 1971م.

197) كلاوس، مانفريد، الإسكندرية أعظم عواصم العالم القديم، ترجمة: أشرف نادي أحمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط1، 2009م.

198) كمال، أحمد عادل، حجر رشيد والهيروغليفية، الزهراء للإعلام العربي، مصر، ط1، 1993م.

199) لالاند، أندريه، موسوعة لالاند الفلسفية، منشورات عويدات، بيروت، ط1، 1996م.

200) ليدر، س. هـ، أبناء الفراعنة المحدثون، ترجمة: أحمد محمود، دار الشروق، مصر، ط2، 2009م.

201) الماجدي، خزعل، كشف الحلقة المفقودة بين أديان التعدد والتوحيد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2014م.

202) الماضي، مروان، الإدارة الأمريكية المحافظة، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 2005م.

203) مجموعة مؤلفين، الرواية العربية، واقع وآفاق، دار ابن رشد للطباعة والنشر، مصر، ط1، 1981م.

204) مجموعة مؤلفين، تقديم: محمود زقزوق، الموسوعة الإسلامية العامة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر، 2003م.

205) مجموعة مؤلفين، كتاب المؤتمر الدولي السادس للفلسفة، كلية دار العلوم، مصر، 2001م

206) محمد، عبير إبراهيم، أنماط التراث الشعبي في محافظة البحيرة، رسالة دكتوراة، جامعة حلوان، 2003م.

207) محمد، هشام، الإسكندر الأكبر، دار مشارق، مصر، ط1، 2008م.

208) المختار من رحلات ابن بطوطة، وصف مصر والشام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، مصر، 1999م.

209) مختصر موسوعة مصر القديمة، سليم حسن، إعداد: عريان لبيب حنا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2008م.

210) مخطوطات البحر الميت، تحقيق: أندريه دوبون سومر ومارك فيلوننكو، ترجمة: موسى ديب الخوري، دار الطليعة الجديدة، دمشق، سوريا، 1998م.

211) مدكور، إبراهيم، معجم العلوم الاجتماعية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1975م.

212) مرسي، أحمد علي، وفاروق جودي، الفولكلور والإسرائيليات، دار المعارف، مصر، 1977م.

213) مري، مرجريت، مصر ومجدها الغابر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط1، 1998م.

214) المسعودي، أخبار الزمان، الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1996م.

215) المسيري، عبد الوهاب، اللغة والمجاز، دار الشروق، مصر، ط2، 2006م.

216) المسيري، عبد الوهاب، اليد الخفية، دار الشروق، مصر، ط3، 2005م.

217) المسيري، عبد الوهاب، حوارات، تحرير: سوزان حرفي، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 2009م.

218) المسيري، عبد الوهاب، رحلتي الفكرية، دار الشروق، مصر، ط3، 2008م.

219) المسيري، عبد الوهاب، في الخطاب والمصطلح الصهيوني، دار الشروق، مصر، ط2، 2005م.

220) المسيري، عبد الوهاب، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، دار الشروق، مصر، ط1، 1999م.

221) مصطفى، ياسر، رحلة العائلة المقدسة في مصر، دار الفاروق، مصر، ط1، 2009م.

222) مظهر، سليمان، قصة الديانات، مكتبة مدبولي، مصر، 1995م.

223) المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد، الخطط، تحقيق: محمد مصطفى زيادة، دار التحرير للطبع والنشر، مصر، 1967م.

224) منصور، أنيس، الذين عادوا إلى السماء، دار نهضة مصر، مصر، ط1، 2012م.

225) المنوفي، محمود أبو الفيض، الدين المقارن، دار نهضة مصر، مصر، 1990م.

226) منير، عمرو عبد العزيز، مصر في الأساطير العربية، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، 2016م.

227) مهدي، فالح، البحث عن منقذ، دار ابن رشد، بغداد، العراق، ط1، 1981م.

228) مهران، محمد بيومي، دراسات في الشرق الأدنى القديم، الحضارة المصرية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، بدون معلومات طباعة.

229) موسوعة وصف مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2003م.

230) موسى، سلامة، مصر أصل الحضارة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2012م.

231) موسى، محمد العزب، أسرار الهرم الأكبر، دار المعارف، مصر، 1992م.

232) ميكس، ديمتري و كريستين فافار، الحياة اليومية للآلهة الفرعونية، ترجمة: فاطمة عبد الله محمود، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2000م.

233) مينار، لويس، هرمس مثلث العظمة أو النبي إدريس، ترجمة: عبد الهادي عباس، دار الحصاد، سوريا، ط1، 1998م.

234) نبهان، خالد علي، كشف المستور في الخبر المكنون، مكتبة النافذة، مصر، ط1، 2008م.

235) نجيب، أحمد أفندي، الأثر الجليل لقدماء وادي النيل، مكتبة مدبولي، مصر، ط1، 1991م.

236) النسفي، عبد الله بن أحمد بن محمود، تفسير النسفي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم، بيروت، لبنان، ط1، 1998م.

237) النشار، علي سامي، ديموقريطس فيلسوف الذرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط1، 1996م.

238) النشار، مصطفى، المصادر الشرقية للفلسفة اليونانية، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط1، 1998م.

239) النشار، مصطفى، من الإبستمولوجيا إلى الفانتازيا، نيو بوك للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2017م.

240) النشار، مصطفى، تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط2، 2004م.

241) نوح، مختار، موسوعة العنف في الحركات الإسلامية المسلحة، دار سما للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 20014م.

242) نور الدين، عبد الحليم، اللغة المصرية القديمة، بدون دار نشر، مصر، ط8.

243) نور الدين، عبد الحليم، مواقع ومتاحف الآثار المصرية، دار الخليج العربي للطباعة والنشر، مصر، 1998م.

244) النووي، يحيى بن شرف، شرح صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1972م-1392هـ.

245) نيبور، كارستن، رحلة إلى بلاد العرب وما حولها، رحلة إلى مصر، ترجمة: مصطفى ماهر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2012م.

246) النيسابوري، الحسن بن حسين، تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1995 - 1416هـ.

247) الهاشمي، محمد يحيى، الإمام الصادق ملهم الكيمياء، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1993م.

248) هاري، جاميسون، إيمحتب، إله الطب والهندسة، ترجمة: محمد العزب موسى، هيئة الآثار المصرية، مشروع المائة كتاب، رقم12، مصر، 1988م، ص17.

249) هالسيل، جريس، النبوءة والسياسة، ترجمة: محمد السماك، دار الشروق، مصر، ط2، 2003م.

250) الهروي، علي بن أبي بكر، الإشارات إلى معرفة الزيارات، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ط1، 2002م-1423هـ.

251) هلال، نبيل هلال، اعتقال العقل المسلم، دار الكتاب العربي، دمشق، القاهرة، ط3، 2005م.

252) الهمدان، حاتم، ذو القرنين، إي كتب، لندن، انجلترا، ط1، 2015م.

253) الهمداني، الحسن بن أحمد، الإكليل، تحقيق: محمد بن علي الأكوع الحوالي، طبعة دار الحرية، بغداد، العراق، 1980م.

254) هوبسـياوم ، إيريك، وتيرنس ريجر، اختراع التقاليد، ترجمة: مطبوعات مركز البحوث والدراسـات الاجتماعية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، مصر، 2004م.

255) هورنونـج، أريـك، ديانة مصر الفرعونية، ترجمـة: محمود ماهر، مصطفى أبو الخـير، مكتبة مدبولي، مصر، 1995م.

256) هيرودوت يتحدث عن مصر، ترجمة محمد صقر خفاجة، دار القلم، مصر، 1996م.

257) الوافي، محمد عبد الكريم، يوسـف باشـا القرمانلي والحملة الفرنسـية على مصر، المنشـأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، ليبيا، ط1، 1984م.

258) الواقدي، فتوح الشام، المكتبة التوفيقية، مصر، بدون معلومات طباعة.

259) وايثلام، كيث، اختلاق إسرائيل القديمة إسـكات التاريخ الفلسـطيني، ترجمة: سـحر هنيدي، سلسـلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، عدد249، 1999م.

260) وحيدة، صبحي، في أصول المسألة المصرية، دار الكتب والوثائق المصرية، مصر، 2011م.

261) اليـاسري، حميد مصطفى ناجي، الأسـطورة وأثرها في حياة العرب الاجتماعية قبل الإسـلام، رسـالة ماجستير، جامعة الكوفة، كلية الآداب، العراق، 2002م.

262) يوسـف، سـوزان السعيد، المعتقدات الشـعبية حول الأضرحة اليهودية، دار عين للدراسات الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، مصر، 1997م.

ثانيا: الدوريات والحوليات والصحف

1) جريدة أخبار اليوم، بتاريخ 3/ 6/ 1995م.

2) جريدة الأهرام، بتاريخ 10/ 6/ 1995م

3) جريدة الشرق الأوسط، بتاريخ 31/ 1/ 2001م، وبتاريخ 7/ 3/ 2011م.

4) جريدة الوقائع المصرية، عدد28، إبريل 1955م.

5) جريدة روز اليوسف اليومية، بتاريخ 1/ 8/ 2009م.

6) مجلة الآثار، العدد الأول، يونيو2009م.

7) مجلة المجلة، لندن، بتاريخ 29/ 7/ 3013م.

8) مجلة ذاكرة مصر المعاصرة، الصادرة عن مكتبة الإسكندرية، العدد السادس، إبريل 2011م.

9) مجلة الفكر السياسي السورية، عدد6، السنة الثانية، 2001م.

ثالثا: مواقع الشبكة العنكبوتية

1) مدونة «عبد المنعم عبد العظيم»: http://monemazim.blogspot.com.eg.

2) موسوعة تاريخ أقباط مصر: http://www.coptichistory.org.

3) موقع الحوار المتمدن: http://www.ahewar.org.

4) موقع الشيخ «بسام جرار»: /http://www.islamnoon.com.

5) موقع الشيخ عبد الله الزبير، على الرابط: http://www.azubair.com.

6) موقع «الصهيونية» الإسرائيلي: /http://zionism-israel.com.

7) موقع بوابه الأهرام: http://gate.ahram.org.eg.

8) موقع بوهيميا: http://www.bohemea.net.

9) موقع حركة مصر المدنية: http://www.civicegypt.org.

10) موقع موسوعة ويكيبيديا: https://ar.wikipedia.org.

11) شبكة «لينز عرب»: http://www.linz-arab.com.

رابعا: مواد مرئية ومسموعة

1) أنشودة الشيخ «مويزو المكناسي»، المملكة المغربية، موقع اليوتيوب، على الرابط: /https://www.youtube.com.

الفهرس

الموضوع	صفحة
الإهداء	5
تقديمات الأكاديميين	7
(1) تقديم «أ.د. هدى درويش»	9
(2) تقديم «أ. د. محمد رفعت الإمام	11
(3) تقديم «أ. د. نديم السيار»	13
شهادات ذاتية عن الكتاب	19
(1) كلمة «د. محمد فتحي السنوسي»	21
(2) كلمة «أ. أبو الفتوح قلقيلة»	23
(3) كلمة «أ. د. سعيد هويدي»	25
مقدمة المؤلف	27
الفصل الأول: النبي «إدريس» في الثقافات المختلفة	33
المبحث الأول: «إدريس» النبي أم «هرمس الإغريقي» أم «تحوت المصري»؟	35
المطلب الأول: إشكالية تعدد أسماء «هرمس الحكيم» في الثقافات المختلفة	36
المطلب الثاني: التعريف بنسخه المختلفة	38
أولا: نسخته العربية «إدريس»	38
ثانيا: نسخته العبرية «أخنوخ»	39
ثالثا: نسخته الإغريقية «هرمس الحكيم»	40
▪ الهرامسة المشهورة ثلاث	41

رابعا: نسـخته المصرية القديمة «تحوت المصري» 42
▪ كتاب الموتى الفرعوني 43
المطلب الثالث: هل هرمس شـخص حقيقي أم نسيج فكري 46
أولا: «هرمس» شخصية حقيقية 47
ثانيا: إشـكالية تعصب الجنس الآري 49
المطلـب الرابع: أثر «هرمس مثلث الحكمة» في حضـارة الإغريق 50
المبحث الثاني: الكتب المنسوبة لـ «هرمس» (الهرمسيات) 54
المطلب الأول: ما هي الهرمسـيات (متون هرمس).. وإلى من تنتسب؟ 54
▪ أهم الكتابات الهرمسية 57
المطلب الثاني: أثر الهرمسيات في ثقافات العالم 58
المبحث الثالث: الارتباط بين «هرمس» و«تحوت» و«أخنوخ» والنبي «إدريس» 67
أولا: العلاقة بـين «أخنوخ» والنبي «إدريس» 67
ثانيا: العلاقة بـين «هرمس» والنبي «إدريس» 68
ثالثـا: العلاقة بين «هرمس» و«أخنوخ» 69
رابعا: العلاقة بين «تحـوت» و«أخنوخ» 70
خامسـا: العلاقة بين «هرمس» و«تحوت المصري» 70
سادسـا: ضعف الارتباط بين «هرمس المصري» وأساطير «هرمس اليوناني» 72
▪ أسطورة «هرمس» اليونانية 72
▪ غراميات «هرمس» ونزواته 74
سابعا: مبالغات الأساطير ليست حجة على التاريخ 75
وأخيرا: الخلاصة 77
الفصل الثاني: سيرة ومسيرة النبي «إدريس» 79
المبحث الأول: آثاره وزمانه وديانته 81

أولا: رسالته وأعماله 81
▪ العمق الحضاري لرسالته، وسبقه في التمدن الدنيوي 82
▪ عالمية رسالته 82
▪ «إدريس» ملكا على مصر 83
ثانيا: عمله 83
ثالثا: صحف «إدريس» 84
رابعا: بعض من حكمه ومقولاته 85
خامسا: العصر الذي عاش فيه........................ 88
أ) مقاربة «نديم السيار» باستخدام النسخة العربية (إدريس النبي) 88
ب) مقاربة «أحمد غسان سبانو» باستخدام النسخة الإغريقية (هرمس الحكيم) 89
سادسا: ديانته «ديانة الصابئة التوحيدية» 90
▪ التباس الأمر في قضية ديانة الصابئة 93
المبحث الثاني: نفي الوثنية المطلقة عن الحضارة المصرية 95
الإشكالية الناتجة عن خطأ ترجمة كلمة «نثرو» المصرية القديمة 102
المبحث الثالث: علاقته بمصر 106
أولا: مولده ونشأته 106
ثانيا: سيدنا «إدريس» ولد في مصر ولم يولد في «منف» المعروفة 108
ثالثا: سيدنا «إدريس» ولد ونشأ في «دمنهور»، ثم سكن «الأشمونين» بصعيد مصر 111
رابعا: إشكالية أخرى مهمة 112
خامسا: حسم موطن «حورس» الأصلي لصالح مدينة «دمنهور» 114
سادسا: مقاربة في العلاقة بين «هرمس» و«حورس» باستخدام «دمنهور» .. 115

الفصل الثالث: ما نسب إليه من أخبار بين الحقائق والأباطيل 121
المبحث الأول: الأسطورة في سيرته 123
أولا: حجية الأسطورة في الدراسات التاريخية 125
ثانيا: ضعف حجية الأسطورة في الفكر الإسلامي 127
ثالثا: هل الإسرائيليات من الأساطير؟ 128
رابعا: الأسطورة وزمن النبي «إدريس» 129
▪ الموقف الراجح من التعامل مع الأساطير 131
المبحث الثاني: ارتباط سيرته بما ورد عنه من أخبار بين الحقيقة والأسطورة 132
أولا: الحقائق الموثقة عن النبي «إدريس» 132
ثانيا: قولهم بأنه في عمود نسب النبي محمد 134
ثالثا: قولهم بأنه نبي «دين القيمة» 135
رابعا: ما قيل عنه أنه من أولي العزم من الرسل 135
خامسا: ما نسب إليه أنه مؤلف «كتاب الموتى» الفرعوني 136
سادسا: ما نسب إليه من علاقة بالملكين هاروت وماروت 137
▪ خبر استغاثة الملائكة بإدريس 139
سابعا: ما نسب إليه من علاقة بود وسواع ويغوث ويعوق ونسر 139
ثامنا: هل «إدريس» هو «إلياس» عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ؟ 140
▪ حديث مقابلة رسول الله للنبي «إلياس» 142
تاسعا: ما نسب إليه أنه «الخضر» 142
▪ «الخضر» عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وفكرة الطواف الذي لم يمت 143
عاشرا: ما نسب إليه أنه «ذو القرنين» 144
حادي عشر: ما نسب إليه أن الشخصية الأسطورية «أوزوريس» ترمز إليه 145
ثاني عشر: ما نسب إليه من باب التشابه اللفظي مع أخناتون و«أوزوريس» 148

ثالث عشر: ما نسب إليه أنه «حورس الأول» أو القديم 149

المبحث الثالث: الأساطير والأفكار والعقائد التي نسجت على روايات موته 151

أولا: أخبار موته عَلَيْهِ السَّلَامُ 151

ثانيا: ما نسب إليه أنه رفع إلى السماء 154

ثالثا: ما نسب إليه أنه حي ولم يمت 154

رابعا: ما نسب إليه أنه المقصود بمن يرد عند سؤال الله «لمن الملك اليوم» ... 155

خامسا: ما نسب إليه أنه أول من خالط الملائكة والأرواح المجردة 155

سادسا: ما نسب إليه أن طبيعته ملائكية 156

سابعا: ما نسب إليه أنه رسول بين السماء والأرض 156

ثامنا: ما نسب إليه أنه بطل الأسطورة الشمسية 158

تاسعا: ما نسب أنه أول من صعد إلى الفضاء 158

- سفر أخنوخ غير المعترف به 159
- سفر أخنوخ والمركبة الفضائية 160

عاشرا: ما قيل عن تجليه بعد ذلك في أزمان أخرى 160

المبحث الرابع: ما نسب إليه من أعمال بين الحقيقة والخيال 163

أولا: ما نسب إليه أنه أول من اخترع الكتابة 163

ثانيا: ما نسب إليه أنه «اللوجوس» 164

ثالثا: ما نسب إليه أنه أول كيميائي 167

رابعا: ما نسب إليه أنه أول من تكلم في علم الفلك 168

خامسا: ما نسب إليه أنه أول طبيب 169

سادسا: ما نسب إليه أنه شيخ الصناع والحرفيين وأول من حاك الثياب 171

سابعا: ما نسب إليه أنه واضع أول تقويم «التقويم التحوتي» 172

ثامنا: ما نسب إليه أنه أول من مدن المدن 173

تاسعا: ما قيل عنه أنه كان ملكا على مصر 173
عاشرا: ما نسب إليه أنه أول رائد للسحر والتنجيم 174
حادي عشر: ما نسب إليه أنه هو عطارد 176
▪ قصة كتاب «الحكماء السبعة» الطلسمي 177
ثاني عشر: ما نسب إليه أنه هو مكتشف الموسيقى ومخترع القيثارة والمزمار 177
ثالث عشر: ما نسب إليه أنه رمز للسلام في العالم 178
رابع عشر: ما نسب إليه أنه نصير الرياضيين 178
المبحث الخامس: ما نسب إليه من علاقته بالكعبة والأهرامات 179
أولا: ما نسب إليه أنه أول بانٍ للأهرام 179
ثانيا: هل خوفو هو «هرمس»؟ 182
ثالثا: خرافة عبادة الأهرام 184
رابعا: ما نسب إليه من علاقته بتمثال «أبو الهول» 184
خامسا: «أبو الهول» عمل فني تعبيري ميتافيزيقي بالدرجة الأولى 185
▪ الحديث المزعوم بين النبي «موسى» وتمثال «أبو الهول» 187
سادسا: علاقته بالكعبة المشرفة 187
سابعا: المصرية القديمة تشير إلى علاقة ما بالأراضي المقدسة 189
الفصل الرابع: ما نسب إليه من علاقة ببعض الأفكار 191
المبحث الأول: «هرمس» وفكرة الخلاص 193
المطلب الأول: أثر فكرة الغائب المنتظر (المخلص) في حركة التاريخ 196
المطلب الثاني: تجليات فكرة المخلص الغائب 199
المطلب الثالث: التوظيف السياسي لفكرة المخلص المنتظر 206
المبحث الثاني: الماسونية وأفكار «هرمس الحكيم» 214
أولا: تعريف الماسونية 215

▪ التعريف التراكمي للماسونية 216

ثانيا: «الحركة الروزيكروشيانية» 217

ثالثا: تأثر الماسونية بالمصرية القديمة 218

رابعا: مدينة «هرمس» في عيون الماسونين وأصحاب الديانات الجديدة 221

خامسا: مدن أخرى لـ «هرمس» 222

1) مدينة الأشمونيين بمحافظة المنيا 222

2) مدينة «إدفو» بمحافظة أسوان 223

3) قرية ميت رهينة مركز البدرشين بمحافظة الجيزة 224

الفصل الخامس: مدينة النبي «إدريس» معرفيا 227

المبحث الأول: المكانة التاريخية لإقليم البحيرة ومدينة «دمنهور» 229

المطلب الأول: بعض مظاهر الاستمرارية الحضارية منذ فجر التاريخ لإقليم البحيرة 232

المطلب الثاني: المكانة المعاصرة للإقليم في الثقافة الغربية 245

المطلب الثالث: مدينة «دمنهور» الايطالية تقديس لمدينة «دمنهور» المصرية 247

المبحث الثاني: نظرة اليهود في تقديس مدينة «دمنهور» 255

أولا: ما سر الاهتمام غير العادي لليهود بـ «دمنهور» منذ الأزل؟ 255

ثانيا: القدسية الوظيفية للأضرحة.. «أبي حصيرة» أنموذجا 258

ثالثا: تاريخ ظهور «أبي حصيرة» يدعو للشكوك 260

رابعا: مكانة الأسطورة والخرافة في نسق التدين اليهودي 261

خامسا: «أبي حصيرة» نموذج للضريح المصطنع 262

سادسا: لماذا «أبو حصيرة»، ولماذا «دمنهور» بالذات 265

سابعا: رؤية المسيري لقضية «أبي حصيرة» 266

ثامنا: «دمنهور» تمثل إشكالية عقائدية خطيرة عند اليهود 269

تاسعا: هل تنبه عبد الوهاب المسيري لهذا؟ 274
أخيرا: المسيري والصهاينة وجها لوجه في «دمنهور» 275
الخاتمة 277
المصادر والمراجع 285